

مناقشة معاصرة لقضايا المرأة المسلمة



الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

١٢٧ ش أثر النبي خلف مسجد الرحمن مصر القديمة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ – ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني yuness2005@hotmail.com

نحو خطاب ديني جديد

مناقشة معاصرة لقضايا المرأة المسلمة

محمد يونس هاشم



هاشم ، محمد يونس .

مناقشة معاصرة لقضايا المراة المسلمة / محمد يونس هاشم

الجيزة : دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١٧.

ص ٢٠٨– ٢٤ سم

تدمك ٩٧٨٩٧٧٥١٧٢٥٩٤

١– المرأة المسلمة .

أ– العنوان

٢١٠.٤

رقم الإيداع / ١٩٩٢٤ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي 4- 59 - 5172 -977 - 978

المقدمة

الأستاذ نبيل من أولئك المعلمين الذي يعتبرون التدريس رسالة وليس فقط مجرد مهنة فهو مؤمن بأن الله تعالى شرَّف المُعلِّمين بأن جعلهم ورثة الأنبياء والمرسلين، وكان كثيراً ما يردد الحديث الشريف " إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ " [رواه أَبُو داود والترمذي]

لذا كان الأستاذ نبيل يكثر من القراءة والاطلاع في مجالي : اللغة العربية والدين الإسلامي ليكون جديراً بأن يكون من ورثة الأنبياء .

اختارت إدارة المدرسة الأستاذ نبيل ليدرس لفصل ١/١ فصل الفائقات الذي أنشأته المدرسة هذا العام .

في بداية العام الدراسي كان الأستاذ نبيل سعيداً وهو يشرح درساً في التربية الإسلامية عن تجديد الخطاب الديني مفهومه ودواعيه .

جاء في هذا الدرس :

التجديد سُنَّة من سُنن الكون وضرورة من ضرورات العصر التي لا غنى عنها قال رسول الله ﷺ " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا " [رواه أبو داود والحاكم والبيهقي] والفرد والمجتمع معنيان دائماً بالتجديد والتحديث والتغيير والإبداع لما ينطوي عليه ذلك من تطور وتقدم ويتوقف التجديد على فهم الواقع وتعرف سلبياته ومحاولة علاجها ، وتجديد الخطاب الديني من القضايا العصرية الضرورية وبخاصة في ضوء مستجدات الواقع المعاصر ومتطلباته وتحدياته والذي لم يعد سمته الجمود والانغلاق والانعزالية والتقليد بل

الحراك والانفتاح والإبداع حتى يتمكَّن هذا الخطاب من مواجهة قضايا ، وهموم الأفراد والمجتمعات ، وتعزيز القيم الإنسانية التي تسهم في تنمية المجتمعات كما أن الخطاب الديني المتجدِّد أصبح ضرورة للإسهام بفاعلية في مخاطبة الآخر والحوار معه .

والتجديد في الخطاب الديني لا يكون في ثوابت وأصول الدين والعقيدة وإنما في تطوير لغته ومضمونه والمطالبة بأخذ كل ما هو جديد لمواكبة الواقع المعاصر والتغيرات الحادثة والمستجدات المستمرة ، وما يحيط بها من تحديات ، وليس عملاً عشوائياً ارتجالياً وإنما عمل منظم وبرنامج فكري شامل متكامل يسبقه أهداف وخطط وأساليب واستراتيجيات ومتطلبات مادية وبشرية تشمل الفرد الداعية ومؤسسات الدعوة ومؤسسات المجتمع كله .

يجب إلقاء الخطاب الديني بلغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ويجب قيامه علي الحكمة والموعظة الحسنة مصداقاً لقوله تعالي: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] وعلي الحوار الحسن مصداقاً لقوله تعالي ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] وقيام الدعوة في الخطاب الديني علي البصيرة مصداقاً لقوله تعالي ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] وقال رسول الله ﷺ في الحديث النبوي الشريف " بلِّغوا عنِّي ولو آيةً " [البخاري] .

وينقسم هذا الحديث إلي ثلاثة مقاطع المقطع الأول " بلِّغوا " وهو تكليف والمقطع الثاني " عنِّي" وهو تشريف والمقطع الثالث " ولو آيةً " وهو تخفيف وبالتالي فإن الخطاب الديني يجب أن يكون تكليفاً وتشريفاً وتخفيفاً. كما يجب قيامه علي التوافق بين الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة حيث إن السنة النبوية المطهرة هي المُبيِّنة للقرآن الكريم ...

رفعت سارة يدها ، وسارة الطالبة الثالثة على محافظة القاهرة في المرحلة الإعدادية .

– تفضلي يا بنتي اذكري اسمك وسلي ما شئتِ .

– أنا اسمي سارة ، وأريد أن أسال حضرتك وهل من الخطاب الديني المتجدِّد أن يقال إن المرأة قد خُلِقَت من ضلع أعوج وأنها ناقصة عقل ودين ؟!

رفعت طالبة آخرى يدها وسمح لها الأستاذ بالكلام .

– أنا اسمي شروق . كيف يُقَال هذا عن المرأة وهي نصف المجتمع؟!

– أنا اسمي سلمى . لقد أصبحت المرأة في الغرب ملكة متوجَّة ، ورئيسة وزراء وتشارك الرجل في جميع الأعمال .

وأيدت طالبات أخريات كلام سارة وشروق وسلمى .

قال الأستاذ نبيل مبتسماً : كأنَّ هناك اتفاقاً مسبقاً بينكن .

سارة : إن الموضوع يخص النساء جميعاً وليس قضية فردية .

قال الأستاذ : أنا أتفق معكن فكثيرٌ من المنتسبين للدين يسيئون فهم النصوص الواردة في حق النساء ، وقضايا المرأة في الإسلام تحتاج فهماً معاصراً وإلى تجديد الخطاب الديني الذي يتناولها .

سارة : بالضبط يا أستاذ وإلا كان الكلام عن تجديد الخطاب الديني مجرد شعار مُفَرَّغ من المضمون .

– ولكن هذا الموضوع كبير جداً ، ولا يتسع وقت حصة الدين للحديث عنه.

– لنناقشه في الحصص الآتية .

– والمنهج الدراسي المقرر ماذا نفعل فيه يا سارة ؟

– هذا الموضوع أهم .

– والموضوعات المقررة عليكن مهمة جداً خاصة بعد تطويرها في المناهج الحديثة .

– نحن نستطيع قراءة موضوعات الكتاب بأنفسنا ، المهم أن نناقش القضايا التي تهم المرأة .

– أنا عندي اقتراح ، في كلِّ حصة دين بعد أن نشرح ما هو مقرر عليكن نجيب عن سؤال أو أكثر من أسئلتكن ، وبهذا نجمع بين الحسنيين.

– ولكن يا أستاذ حصة الدين لن تكفي لهذا وذاك .

– العام الدراسي أمامنا طويل ، وأعدكن أن أية حصة احتياطية أدخلها لكن سوف نجعلها كلها لإجابة أسئلتكن .

دقَّ جرس الحصة .

قالت بعض الطالبات : الحصة التالية أستاذها غائب ابقَ معنا يا أستاذ .

– للأسف أنا عندي حصة الآن لفصل ٥/٢ ، إن شاء أنا عند وعدي لكُنَّ فلا تقلقن ، ولتكون أمامكن فرصة كافية للاتفاق على الأسئلة التي تردن معرفة إجابتها.

***

تجديد الخطاب الديني وقضايا المرأة المعاصرة

قال الأستاذ نبيل سوف نكمل اليوم الدرس الذي بدأناه الحصة الماضية

- درس تجديد الخطاب الديني يا أستاذ .
- لكننا نريد أن تجيب حضرتك عن أسئلتنا .
- لقد اتفقنا الحصة الماضية على أن نشرح الدرس المقرر ثم نجيب عن الأسئلة ، ويبدو أنكُنَّ قد جمعتن أسئلة كثيرة .
- كثيرة جداً يا أستاذ ونريد أن عرف إجابتها جميعاً .
- إن شاء الله . والآن نبدأ درس اليوم :

مكونات الخطاب الديني:

أ- الرسالة من حيث محتواها ومضمونها ولغتها .

ب- المُرْسِل : وهو الفرد الذي تقع على عاتقه مسئولية توصيل مضمون الخطاب الديني .

ج- المُسْتقبِل : وهو الجمهور الذي تُوَجَّه إليه الرسالة ليستفيد منها في حياته .

د- وسائل الاتصال اللازمة والمناسبة وتشمل وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة وبخاصة كيفية استثمار التكنولوجيا الحديثة .

هـ- التقويم والمتابعة المستمرة سواء على مستوى الأفراد أم الفرد الداعية أم على مستوى مؤسسات الدعوة ، أم الإعلام ، أم مؤسسات المجتمع عامة .

سمات الخطاب الديني المتجدد

لكي يحقق الخطاب الديني أهدافه المنشودة يجب أن يكون :

١- يربط نصوص ومبادئ العقيدة الدينية بواقع الحياة المعاصرة بأسلوب متجدد دائماً .

٢- يكون شاملاً متكاملاً منفتحاً يعزِّز الحوار بين الأديان والثقافات العالمية ، ويبرز القواسم المشتركة بينها ، مع عدم مخالفته لجوهر وثوابت وأصول الدين والعقيدة أو نسيانه أو تجاهله لقضايا الأفراد والمجتمعات .

٣- يبعث على التفاؤل والأمل في نفوس الأفراد لا على التشاؤم واليأس .

٤- يشجع على الفكر والإبداع لا على الجمود والانغلاق .

٥- يحافظ على هوية الأفراد الدينية والثقافية ويعزِّز من انتماء الأفراد للأوطان وتماسك المجتمعات ، ويؤكد على القيم والمفاهيم الإنسانية التي ترقى بالفرد والمجتمع ، مثل الإخاء ، والمودة ، والإيثار ، والتعاون ، والعدل ، والمساواة .

٦- يبرز إنجازات وإيجابات وأمجاد الحضارة العربية ويستلهم منها الدروس والعبر للتشجيع على التقدُّم العلمي والتكنولوجي والحضاري ودوره الفعال في رقي وتطوُّر المجتمعات واستشراف آفاق المستقبل .

قالت سارة : بإذنك يا أستاذ يكفي هذا القدر من شرح الدرس ونبدأ في الأسئلة.

- يبدو أن الأسئلة مهمة وأنتن متشوقات لمعرفة الإجابة .

- مهمة جداً يا أستاذ .

- تفضلن .

- هل صحيح أن المرأة خُلقت من ضلع أعوج ؟

- لماذا كانت النساء أكثر أهل النار ؟

- هل المرأة تبطل الوضوء كالكلب ؟
- لماذا المرأة تعدل نصف الرجل في الشهادة والميراث ؟
- لماذا لا تُزوج المرأة نفسها إلا بولي ذكر ؟
- لماذا من حق الرجل أن يتزوَّج أكثر من واحدة دون إذن الزوجة ؟
- هل صحيح أن الملائكة تلعن الزوجة التي ترفض معاشرة زوجها ؟
- هل صحيح أن النساء سبب فتنة الرجال ؟
- كيف تكون النساء ناقصات عقل ودين ؟
- هل النساء حبائل الشيطان ؟
- لماذا لا يفلح قوم ولُّوا عليهم امرأة ؟
- هل صحيح أنه لا يجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ؟

قال الأستاذ نبيل ضاحكاً : أحسُّ أن هذه الأسئلة ليست وليدة الساعة إنما أمر دبِّر بليل .

قالت سارة : إنه أمر دبِّر بنهار .

- كيف جمعتن كل هذه الأسئلة .

قالت سارة وهي تبتسم : بعد الحصة الماضية شكَّلنا فريق عمل لإعداد الأسئلة وبعد جمعها ، وزَّعناها على الطالبات ، هذا كل ما حدث .

- هذه ليست أسئلة إنها مظاهرة نسائية .

قالت سارة : إنها ثورة ضد استبداد الرجال .

- ولكن هذه الأسئلة تحتاج إلى بحث شاق ووقت طويل للإجابة عنها .

- نحن سوف نساعد حضرتك بكتابة نسخة من هذه الأسئلة تكون معك حتى تبحث عنها كما تشاء .

– لن أبحث بمفردي ولكن لا بد أن نبحث جميعاً في هذه القضايا .

قالت سارة : عن أي قضية تريدني أن أبحث يا أستاذ ؟

– أنا أريدك أن تبحثي في أساس هذه القضايا جميعاً .. أريدك أن تبحثي عن الفروق الفسيولوجية والفكرية بين الرجل والمرأة .

– وما أهمية هذا الموضوع بالنسبة للظلم الواقع على المرأة ؟

– عندما تأتين بنتيجة بحثك سوف أقول لك .

دق جرس الحصة

قال الأستاذ : نكمل في الحصة القادمة إن شاء الله .. ولا تنسي يا سارة ما كلفتك به ، وأذكرك بوجوب توخِّي الدقَّة العلميَّة وتجنيب الهوى والرأي الشخصي في البحث .. تعديني .

– أعدك يا أستاذ .

***

لَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى

– واليوم نستكمل درس تجديد الخطاب الديني وأرجو أن ننتهي منه هذا اليوم فقد طال حديثنا عنه .

– المهم ألا يكون ذلك على حساب إجابة الأسئلة يا أستاذ .

– سأجتهد والله المستعان .

التعاون الدولي في ظل العولمة :

ويقصد به تكاتف جميع الدول على حلِّ المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً في العالم وقد جاء هذا المبدأ في سياق أهداف أو مقاصد الأمم كما يقصد به الارتباط والتنسيق في ميدان معين أو في مجالات متعددة من أجل تقليل الاختلافات الموجودة بين دولتين أو أكثر ، وهذا المبدأ فرضته العولمة التي أصبحت سمة العالم المعاصر ، إزالة الحواجز بين الدول بعضها البعض وبين الثقافات .

التسامح مع الآخر :

لم يفرق الإسلام بين المسلم وغير المسلم في المعاملات العامة ؛ لأن الجميع سواسية أمام القانون ، لا تفضيل ولا محاباة ، حتى وإن كان أحد الخصمين مسلماً رفيع المكانة ، والآخر غير مسلم .

فالإسلام لم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سلم وحسن صلة معهم ، قال تعالى ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ

يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة ٨ ، ٩] .

وحضَّ النبي ﷺ على التسامح وحببه إلى المسلمين قولاً وفعلاً حيث قال " أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا وَانْتَقَصَهُ وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَة " [رواه أبو داود والبهقي] .

قالت سارة : قلت حضرتك إن الإسلام لم يفرِّق بين المسلم وغير المسلم في المعاملات العامة فلماذا فرَّق بين الرجل والمرأة ؟!

– هل قمت بالبحث الذي كلفتك به الحصة الفائتة ؟

– نعم يا أستاذ .

– هل راعيت فيه الدقَّة العلميَّة وجنَّبت الهوى والرأي .

– نعم يا أستاذ .

– إذن اقرئي علينا نتيجة بحثك .

الفروق الفسيولوجيّة والعقليّة بين الرجل والمرأة

قالت سارة سأقرأ ما توصَّلت إليه من بحث في الفروق الفسيولوجيَّة والعقليَّة بين الرجل والمرأة مع أني لا أدري حتى الآن علاقة هذا البحث بالظلم الواقع عليها : هنالك اختلافات كبيرة بين الرجال والنساء في العديد من الأمور كالتركيب الجسدي والهرمونات، بالإضافة إلى التركيب النفسيّ، والعقليّ، وهناك العديد من الدراسات العلمية والطبية التي تقارن بين الرجل والمرأة والتي كشفت عن العديد من الاختلافات .

توجد كثير من الفروق التشريحية والوظيفية بين الجنسين . التي أظهرتها الدراسات العلميَّة منها أن النساء تمتلك ثلاث وظائف لها تأثير كبير على

سلوكهن ومشاعرهن، بينما هذه الوظائف الثلاث مفقودة كلياً في الرجال: الدورة الشهرية، والحمل، والإرضاع، كذلك فأنماط الهرمونات مُعَقَّد ومُتَنوِّع عند النساء، فعلى سبيل المثال، تتخم الغدّة الدرقية أثناء الحمل والدورة الشهرية، مما يجعل المرأة أكثر مقاومة للجو البارد، ويجعل الجلد أكثر نعومة وخالياً من الشعر ، كذلك فعدد كريات الدم الحمراء أقل بنسبة ٢٠% في النساء، مما يجعلهن يتعبن بسرعة أكثر من الرجال، وقلب المرأة أصغر من قلب الرجل بـ ٢٥%، وعدد ضرباته أسرع بـ ١٠% (٨٠ مقابل ٧٢ خفقة في الدقيقة في الرجل)، وقلب المرأة يحتاج إلى وقت أطول للراحة. وضغط الدم عند النساء أقل بـ ١٠ ملليمترات زئبق من ضغط الرجل، مما يجعل النساء أقل عرضة للإصابة بارتفاع ضغط الدم ، وحجم الرئتين في الرجال أكبر من النساء بـ ٢٥ – ٣٠ %، وحجم الكبد أصغر في النساء بنسبة ٢٠ % أمّا كتلة العضلات، فهي أكبر في الرجال بنسبة ٥٠ %، كما أنّ قوة عضلات النساء توازي ٨٠ % فقط من قوة عضلات الرجال، مما يجعل الرجال أكثر قوة وسرعة من النساء ، هذا بالإضافة إلى قلَّة الأوعية الدموية التي تغذّي عضلات النساء بالمقارنة مع كثرتها في الرجال' ومن ناحية القوة الجسمية، فقوة المرأة تعدل قرابة ثلثي قوة الرجل ، وقوة الجزء العلوي من جسم المرأة تساوي نصف قوته في الرجل، بينما الجزء السفلي يقارب ٧٠ % من قوة نظيره في الرجل .

الاختلافات العقليّة والنفسيّة بين الرجل والمرأة

قال الأستاذ : أحسنت يا سارة هذا عن الفروق الفسيولوجية بين الرجل والمرأة فماذا عن الاختلافات العقليَّة والنفسيَّة ؟

– الحقيقة هناك اختلافات في التفكير بين الرجل والمرأة نتيجة للاختلاف في تركيبة الدماغ الناجمة عن الاختلافات الجينية فيه ، ولأن الرجل يستخدم الجانب الأيسر من عقله، بينما المرأة تستخدم الجانب الأيمن من عقلها . وصفات الجانب الأيسر (الأرقام – التحليل – الترتيب – القرارات – التخطيط – الواقعية) .

أما صفات الجانب الأيمن من العقل (العاطفة – الخدمات – الخيال – الإبداع– التناسق – الإلحان – الذوق) .

ومن الأمثلة على الاختلافات في التفكير بين الرجل والمرأة، ما يلي :

غالباً ما تكون المرأة أكثر ميلاً للشفقة والرحمة، وبالمقابل الرجل أكثر قدرة على القسوة والعدوانيّة .

الرجال أكثر قدرة من النساء على فهم ما يتعلّق بالأنظمة الميكانيكيّة .

تمتلك النساء ذاكرة بصريّة أقوى من الرجال .

يقدر الرجال على تمييز المجسّمات أكثر من النساء .

لا يستطيع الرجال إلا تحليل موضوع واحد بشكل عميق، وللنساء القدرة على استيعاب أكثر من موضوع في وقت واحد ودون مشاكل .

دق جرس الحصة ومع ذلك قال الأستاذ نبيل : أكملي يا سارة .

– الرجال قادرون على حلّ المسائل الرياضيّة بنسبة أكبر من النساء .

للنساء مقدرة حسيّة أكبر من الرجال، كسماع صوت طفلها يبكي بالليل .

لماذا ليس الذكر كالأنثى ؟

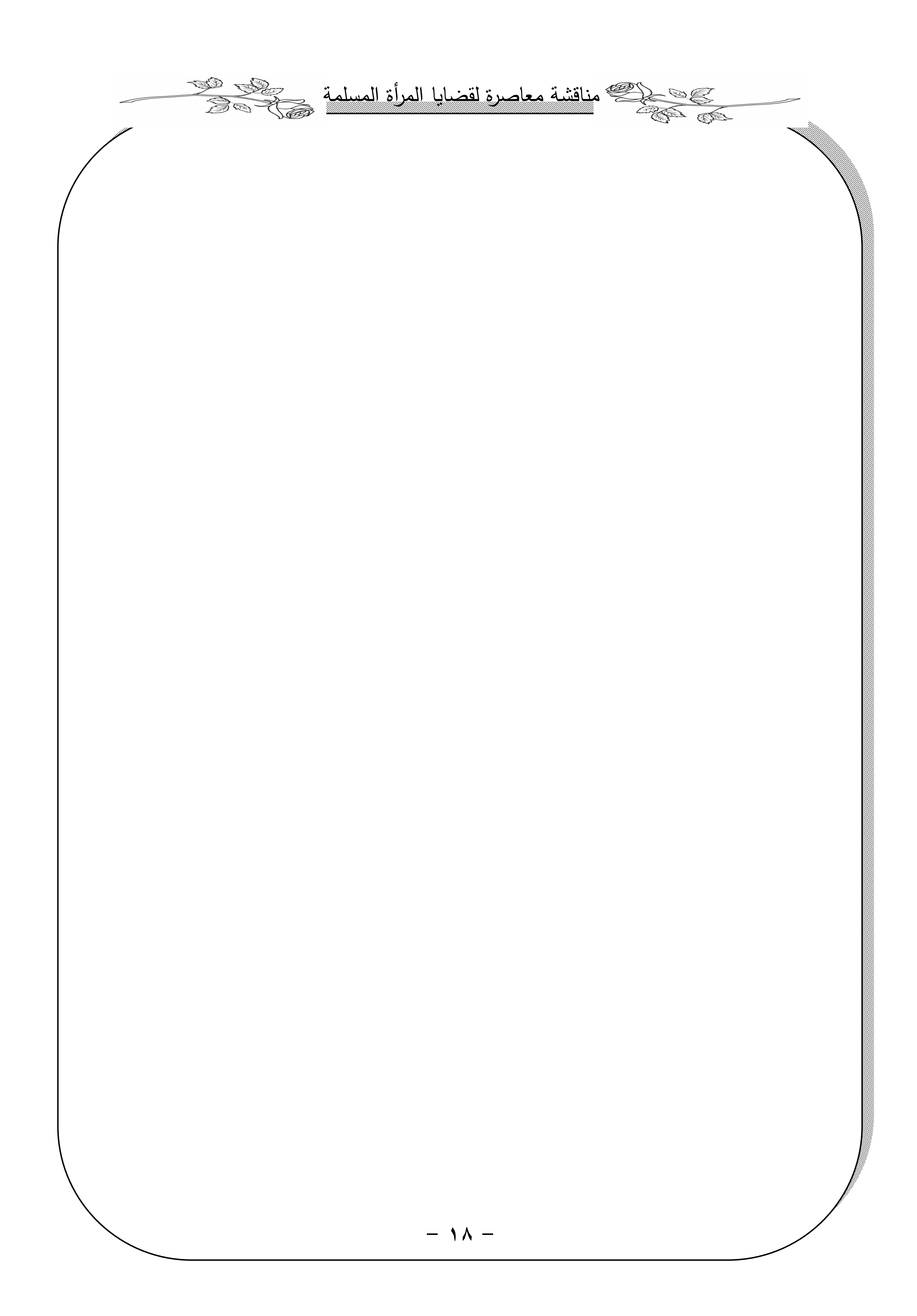
قال الأستاذ – بعد هذا البحث الموضوعي الذي قامت به سارة والذي نشكرها عليه أقول لكن لماذا كلفتها بهذا البحث حتى نعرف أن الله تعالى جعل هناك اختلافات فسيولوجية وعقلية ونفسية بين الرجل والمرأة ليكمل أحدهما الآخر ويعمل العمل المناسب لطبيعته فيجب على الرجل والمرأة أن يستفيدا من اختلافاتهما من خلال التعامل والتفاهم والتقبُّل لهذه الاختلافات والتكامل بين بعضهم البعض حتّى لا يشعرا بوجود نقص، أمّا إذا أصرّ كلاهما على أن أسلوبه هو الصحيح فهذا سيؤدّي إلى حدوث خلافات فيما بينهما ، وخصوصاً أنّ اختلافاتهما لا تعني تفضيل أحد على الآخر، بل أنّ لكلّ أحد ما يميّزه .

يكفي هذا اليوم ونكمل في حصة قادمة إن شاء الله ، فقد انتهت الحصة منذ خمس دقائق .

– يا أستاذ عندنا أسئلة كثيرة ، وعندنا الحصة الرابعة أستاذها غائب بالله عليك خذها يا أستاذ .

نظر الأستاذ في جدوله وقال : الحمد لله ليس عندي حصة في هذا الوقت سأكون معكن الحصة الرابعة إن شاء الله .

***



الفرق بين العدل والمساواة

بمجرد دخول الأستاذ نبيل فصل ١/١ قالت سارة : هذه حصة احتياطيَّة نجعلها كلها للأسئلة .

- سلي ما شئت يا سارة .

- الحصة الماضية تحدَّثنا عن الفروق الفسيولوجيَّة والعقليَّة بين الرجل والمرأة ، وأنا أتوقَّع أن تجعل هذه الاختلافات بين الرجل والمرأة مدخلاً لتبرير عدم المساواة بينهما .

- أنا أحييكِ على ذكائك يا سارة أنا بالفعل كنت أمهِّد لإقرار أن الإسلام لم يسوِّ بين الرجل والمرأة .

وهنا صاحت الطالبات : كيف هذا ؟ الله عادل ومستحيل أن يظلم المرأة .. لا البنت مثل الولد ..

قال الأستاذ نبيل : الرجاء الهدوء حتى أبيِّن لكن ، وإذا عُرف السبب ...

- بَطُلَ العجب .

- الحقيقة أن الذين ينادون بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء لا يراعون الفروق بينهما كنوعين مختلفين ، ويسارع بعض المسلمين الغيورين على الإسلام بموافقتهم في ذلك فيزعمون أن الإسلام دين المساواة كأنهم باعترافهم هذا يدفعون تهمة لصقت بالإسلام زوراً والحقيقة أن الإسلام دين العدل وليس دين المساواة .

تعريف العدل وشروطه

- ما الفرق يا أستاذ بين العدل والمساواة أليسا شيئاً واحداً ؟

تقول معاجم اللغة : " العدل: الإنصاف ، وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه ، والعَدْل هو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فيَجور في الحكم ، وقيل : العَدْل تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً، ومن أسماء الله تعالى: الحَكَم العَدْل" ويمكن أن تتأكدن من هذا بالعودة لمعاجم اللغة العربية.

ومن هذه التعريفات للعدل يتبيَّن لنا مقوماته التي يجب أن يشتمل عليها وهي أن يكون :

أولاً : مُنَزَّهاً عن الهوى .

ثانياً : غير جائر في الحكم .

ثالثاً : مقوِّماً (اسم فاعل) ما ليس من جنسه .

وبناء على هذا التعريف إذا أردنا ميزان عدل للإنسان فمن الذي يضعه ؟

هل يضعه الإنسان نفسه ؟

- بالطبع لا .. لأن الإنسان غير مُبَرَّأ من الهوى .

- كما أن الإنسان من نفس جنس المُقَوَّم (اسم مفعول) فكيف يكون هو الخَصْم والحكم في آن واحد ؟!

كيف يتحقَّق العدل ؟

- كيف يتحقق العدل إذن ؟

- العدل يقضى أن خالق الإنسان هو الذي يضع له ميزانه وهو الذي يحكم به

وإذا قلنا أن العدل هو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه فإن شريعة الله هي عين العدل .

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] .

قالت سارة : والعدل يقضي بالمساواة بين الرجل والمرأة وبين جميع الناس .

– لا .. يا سارة العدل يقضي بعدم المساواة بين الناس فلا يمكن أن يسوِّى بين المصلح والمفسد ؛ لذا لم يأمر القرآن بالمساواة أبداً إنما يأمر بالعدل ، وعليه : فالإسلام لم يساوِ بين الرجل والمرأة في الأمور التي لو ساوى بينهما لظلم أحدهما ؛ لأن المساواة في غير مكانها ظلم .

– وما الأمور التي ساوى الإسلام فيها بين الرجل والمرأة ، والأمور التي فرق بينهما ؟

– إذا أتيتن لي ببحث عن الأمور التي ساوى الإسلام فيها بين الرجل والمرأة أخبرتكن بالأحكام التي فرَّق فيها بينهما .

قالت سارة : أنا أعدُّ هذا البحث يا أستاذ .

– لا .. نريد طالبة أخرى حتى يشترك أكبر عدد من الطالبات في البحث .

رفعت بعض الطالبات أيديهن .

– شروق .. أريد بحثاً دقيقاً يا شروق .

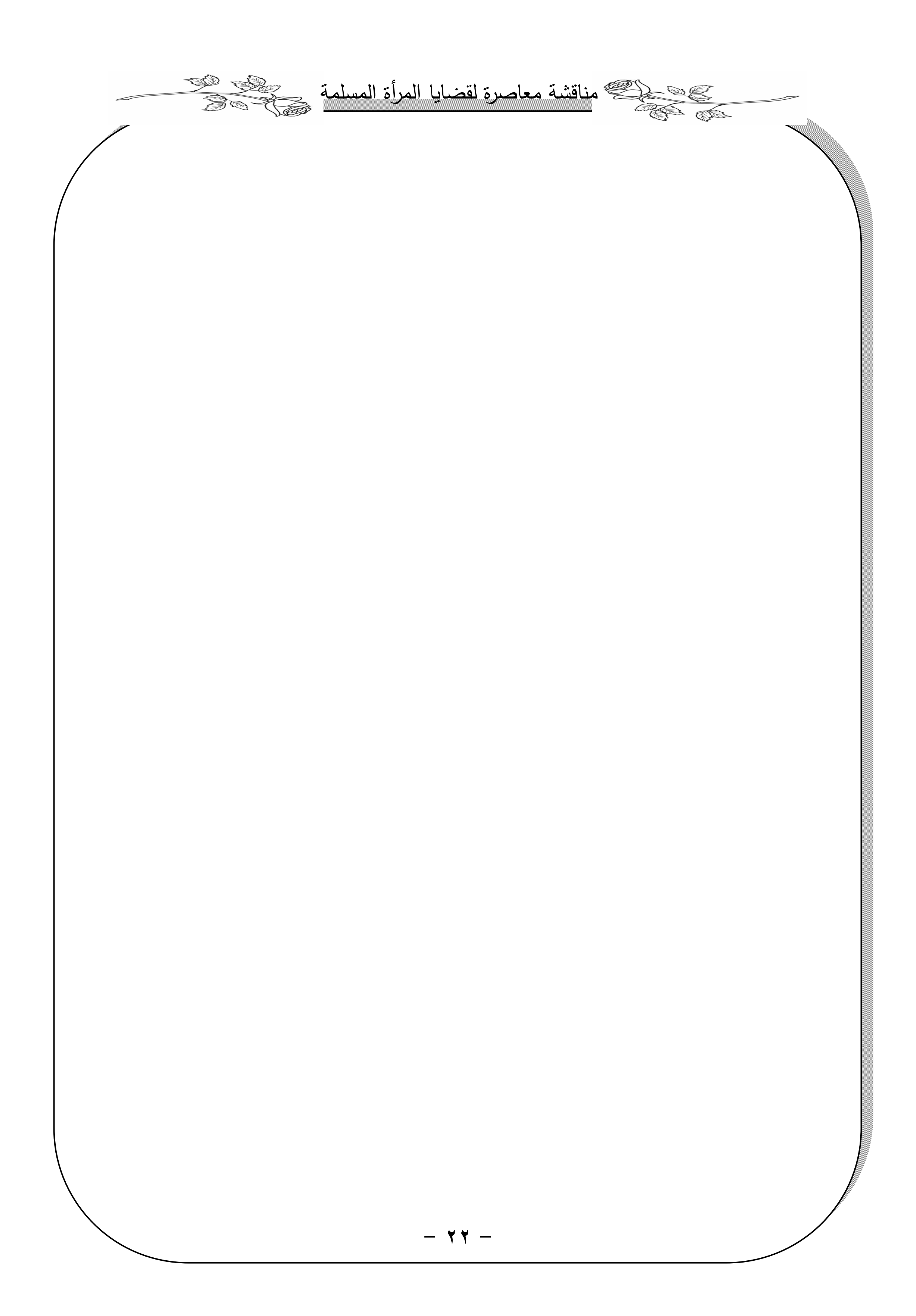
– إن شاء الله يا أستاذ .

– وأنصحك بالرجوع لكتاب الأمام الأكبر د. سيد طنطاوي " أدب الحوار في الإسلام " .

– وأين أجد هذا الكتاب ؟

– ابحثي عنه في مكتبة المدرسة ، فإن لم تجديه فسأعطيك منه نسخة هدية فقد كان هذا الكتاب مقرراً على الصف الثالث الثانوي وعندي منه عدة نسخ .

***



فيمَ ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة ؟

ثمرة الإيمان بالله تعالى

– حصة اليوم عن ثمرة الإيمان بالله : إن المؤمن الصادق في إيمانه يراقب الله تعالى في سائر سلوكياته وكامل تصرفاته ، فهو لا يتغيب عن عمله إلا لعذر ، بل يبذل قصارى جهده في عمله بغية إتقانه وتجويده ، كما أنه لا يغش ، ولا يختلس ولا يسرق ، ولا يزني ، ولا يشرب الخمر ، ولا يلعب ميسراً ، ولا يتلف المال العام ، ولا يقطع طريقاً ولا يهدد أحداً من المواطنين ، ولا يقف وقفات احتجاجية من أجل تعطيل عجلة الإنتاج ، ولا يسطو سطواً مسلحاً على المواطنين.

إنَّ تجنُّب هذه السلوكيات وغيرها له مردوده على تنمية المجتمع المسلم وتطوره، حيث يصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مترابطاً متماسكاً قوياً ، مجتمعاً آمناً لا يعرف الجريمة مطلقاً ، مجتمعاً يقدِّر الوقت والجهد ، مجتمعاً يتسلَّح بالعلم ، مجتمعاً يسعى نحو التقدم والرقي .

قالت سارة : والمجتمع الإسلامي هذا كيف يسعى نحو التقدُّم والرقي ، وهو لا يساوي بين الرجل والمرأة ، مع أن المرأة نصف المجتمع ؟

– قومي يا شروق أجيبي سارة .

– كيف أجيبها وأنا أؤيدها في رأيها ؟!

– أجيبها بأن تعرضي علينا نتيجة البحث المُلكَّفة به عن المساواة ، أم أنك لم تعديه ؟!

– لقد أعددته يا أستاذ ولخَّصت ما قاله د. سيد طنطاوي في كتاب " أدب الحوار في الإسلام " .

– تفضَّلي .

– يقول د. سيد طنطاوي : " إذا جئنا إلى القرآن الكريم الذي نزل منذ نحو خمسة عشر قرناً نجده يقرر الحقائق التالية :

١– تقرير المساواة بينهما في أصل الخلقة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

وقوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥] .

والنبي ﷺ يقول " إنَّما النِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ" [صححه الألباني] .

ومما تقدَّم يتبيِّن لنا أن الرجل والمرأة متساويان في أنهما من أصل واحد وأنه لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر من الآخر ، وأنه لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالعمل الصالح .

٢– المساواة بينهما في التكاليف الشرعية ﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[التوبة:٧١، ٧٢].

فهناك مساواة في التكاليف الشرعية وفي الثواب على العمل الصالح وفي الجزاء الأخروي .

وقد بايعت النساء النبي ﷺ كما بايعه الرجال على الإيمان والالتزام بالتكاليف الشرعية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢] .

وبذلك نرى أن شريعة الإسلام لم تفرّق بين الرجال والنساء فيما يتعلَّق بالتكاليف الشرعية من عقائد وعبادات وآداب وسلوك حميد إلى غير ذلك من وجوب التمسك بالفضائل واجتناب الرذائل .

٣- المساواة في طلب العلم والمعرفة : يقول النبي ﷺ : " طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ " [صححه الألباني] وكلمة مسلم تشمل : الذكر والأنثى .

٤- المساواة في حق العمل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] .

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[النساء:٣٢] .

وليس في شريعة الإسلام ما يمنع المرأة من أن تكون طبيبة أو مهندسة أو مدرسة أو تاجرة أو في أي عمل شريف تبغي من ورائه الرزق الحلال الذي يغنيها عن سؤال الناس ، وتؤديه بعفاف واحتشام .

لقد أباحت شريعة الإسلام للمرأة أن تضطلع بالوظائف العامة وبالأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ، والمُتَدبِّر لأحوال المجتمع النبوي وفي عهود السلف الصالح يرى أن النساء كن يقمن بكثير من الأعمال داخل بيوتهن وخارجها.

٥- المساواة في الحقوق المدنية : فشريعة الإسلام سوَّت بين الرجال والنساء في جميع الحقوق المدنية على اختلاف أنواعها كالبيع والشراء والتملك والتصرف في التملك والوكالة وغير ذلك من ألوان التصرف .

كما أباحت شريعة الإسلام للمرأة البالغة الرشيدة أن تختار الزوج الذي تريده اختياراً حرّاً ، لا إكراه ولا إجبار ، ومنعت وليها من إجبارها ، وجعلت العقد عليها دون استئذانها غير صحيح ، وأباحت لها حق المطالبة بفسخ العقد.

٦- المساواة في الكرامة الإنسانية : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ [الإسراء:٧٠]

والمقصود ببني آدم هنا : الذكور والإناث .

والقرآن الكريم ساوى بين الرجال والنساء في وجوب صيانة أعراضهم ، وفي وجوب عقوبة من يقذفهم بالتُّهم الباطلة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨] .

مفهوم القوامة في الإسلام

قالت سارة : إذا كان الله تعالى قد ساوى بين الرجل والمرأة فلماذا فضَّل الرجال على النساء فالله تعالى يقول : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

- بدأنا في الأسئلة التي طلبتن الإجابة عنها في الحصة الأولى .

- نعم يا أستاذ كفى تمهيداً ولندخل في الأسئلة مباشرة .

- معك حق يا سارة تقولين إن القرآن فضَّل الرجال على النساء في قوله الله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨] والحقيقة أن الآية الكريمة تقرِّر أن للنساء ما للرجال وعليهن

ما على الرجال كما بيَّنا من حقوق متساوية أما الدرجة للرجال على النساء فهي درجة تكليف لا درجة تشريف فالرجال مكلَّفون بالرعاية والحماية " وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " [متفق عليه] .

قال ابن عباس : " الدرجة " التي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ، الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه " .

وقبل أن تسألي عن موضوع قوامة الرجال على النساء أبادر فأجيبك .

يقول تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤] .

القوامة معناها: القيام على الشيء رعايةً وحمايةً وإصلاحاً. وليس معناها التسلُّط والقهر ، وإذا تخلَّى الرجل عن واجباته نحو زوجته فلم يُنْفق عليها ، ولم يُكْسُهَا، فإن ذلك يسلبه حق القوامة عليها، ويعطيها هي الحق في القيام بفسخ النكاح بالوسائل المشروعة، هذا هو ما يقتضيه تعليل القوامة في الآية الكريمة بالإنفاق، فليس هناك تفضيل للرجل على المرأة إنما تحديد مسئوليات يجب على الرجل القيام بها إنفاق ، رعاية ، وخدمة ، وحماية .

فهو عليه أن يعاشرها بالمعروف بالكلام الطيب، والسيرة الحميدة، والنفقة المناسبة التي تجب على مثله، وعليها هي السمع والطاعة بالمعروف، وأن تجيبه إلى حاجته، وأن تقوم بخدمته في بيته .

قالت سارة : ولكنَّ المسلمين يفهمون قوامة الرجل على أنها تعني السيطرة ، تعني أنه الرجل هو الآمر الناهي ، وأنَّ من حقه كل الحقوق وليس عليه واجبات إلا ما يتفضَّل به على زوجته، والمرأة لا حقَّ لها إلا ما يتفضَّل به زوجها عليها .

– الدين حُجَّة على الناس وليس العكس فالفهم الخاطئ للدين ليس عيب الدين إنما عيب مَنْ فَهِمَ الدين حسب هواه ، والناظر إلى علاقة النبي ﷺ مع زوجاته

يجد أنه نموذج تطبيقي عملي لما جاء في القرآن من معاشرة بالمعروف مبنية على المودة والرحمة ، والقيام على راحتهن لا قهر ولا تسلُّط .

– حضرتك تطرَّقت لأمر القوامة فى الإسلام واسمح لى فإني لم أقتنع ؛ فالقوامة جزء من مُخلَّفات الماضى، وهى خاصة بعصور مضت وظروف تغيَّرت، أنا أومن بالمساوة والنديَّة والاحترام فى العلاقة الزوجية فالمرأة اليوم تشارك زوجها في الإنفاق على البيت والاهتمام بالأطفال وبالتالى فلا حاجة لها لقوامة من أحد.

– ما شاء الله يا سارة كأني أسمع إحدى رائدات الحركة النسائية في مصر ، واسمحي لي أن أقول لك أني أشك في أنك فهمت ما قلته عن القوامة إذ لو فهمتيه حقاً لما قلت ما قلت !! والذي فهمته من كلامك أن عندك مشكلة فقط مع لفظ " القوامة " لا مع مفهومها كما بينته إذ لو تدبَّرتِ ما قلته فستجدين أن القوامة لا تتعارض مع المساواة والاحترام بل والتنافس في القيام بشئون الأسرة من نفقة ورعاية الأطفال ما دام هذا كله يصبُّ في مصلحة الأسرة كلها .

ويكفى هذا اليوم فقد أخذنا الحصة الرابعة وأغلب وقت الفسحة أيضاً .

– موعدنا يوم الخميس في حصة الدين .

– إن شاء الله .

***

فيمَ فرَّق الإسلام بين الرجل والمرأة ؟ ولماذا ؟

بعد السلام والتحية قال الأستاذ نبيل حصة اليوم عن الإيمان بالله تعالى .

نحن نؤمن بالله تعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا ؛ لأنه هو الذي خلقنا وخلق الكون كله ، وهو المطَّلع على أحوالنا وأعمالنا ، وهو الرازق الرقيب الحسيب ، وهو الذي سيحاسبنا على أعمالنا .

الأدلة الكونية على وجود الله تعالى

الأدلة الكونية على وجود الله : تذخر آيات القرآن الكريم بالأدلة على وجود الله، والتي تثبت أن الخَلْق أكبر دليل على وجود الخالق ، وإذا حاولنا تتبع الأدلة الكونية على وجود الله لما استطعنا إحصاءها ، ولكننا سنكتفي بهذا الدليل الذي ساقه إلينا رجل أعرابي قبل ظهور الإسلام عندما قال : " البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ؛ وبحار ذات أمواج ؛ أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير " .

قالت شروق : هل هذا هو تجديد الخطاب الديني يا أستاذ البعرة والبعير ؟!

– معك حق يا شروق ، وأنا عندما أريد أن أذكر الأدلة العقلية على وجود الله أتحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ و ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ و ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ و ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ...

قالت شروق : حدثنا يا أستاذ عن أوجه الإعجاز العلمي في هذه الآيات .

– ما رأيك يا سارة ؟

أحكام خاصة بالنساء

قالت سارة : لنؤجِّل الحديث عن أي موضوعات غير التي اتفقنا عليها من قبل .

– ابدئي يا سارة .

– نريد أن نعرف فيمَ فرَّق الإسلام بين الرجل والمرأة ؟ ولماذا ؟

– الحق أن شريعة الإسلام قد فرَّقت بين الرجل والمرأة في أمور معينة ؛ لأن العدالة والمصلحة ، وسعادة النوعين ، وطبيعة كل منهما تقتضي ذلك .

– اذكر لنا بعض الأمثلة يا أستاذ لو سمحت .

– في مجال العبادات نجد شريعة الإسلام قد أسقطت الصلاة عن المرأة في حال حيضها ونفاسها ، ولم تكلِّفها بقضائها بعد طهرها رحمة بها ، وأوجبت عليها الفطر في رمضان في هاتين الحالتين ،على أن تقضي ما أفطرته بعد شهر رمضان .

وفي مجال الأعباء الاقتصادية كَفَلَتْ الشريعة الإسلامية للمرأة أسباب الرزق ما يفي بحاجاتها وطلباتها ، وألقت بمعظم هذه الأعباء الاقتصادية على كاهل الرجل، فالمرأة قبل الزواج أوجبت شريعة الإسلام نفقتها على أصولها أو فروعها أو أقربائها الرجال ، ما دامت لا تملك من المال ما يكفيها ، أما في الحالة زواجها فنفقتها على زوجها ، حتى ولو كانت تملك من المال ما يغنيها عنه ، إذ أموالها الخاصة ملك لها ، اللهم إلا إذا تبرَّعت أو ساعدت غيرها بما تشاء من أموالها الخاصة برضاها واختيارها ، حتى في حالة الطلاق فإن الزوج يتحمَّل جانباً كبيراً من أمواله لزوجته ، إذ عليه أن يدفع لها مُؤَخَّر الصداق ، وعليه نفقتها من مأكل وملبس ومسكن ما دامت في العدة ، وعليه أجور حضانة أولاده منها ونفقتهم .

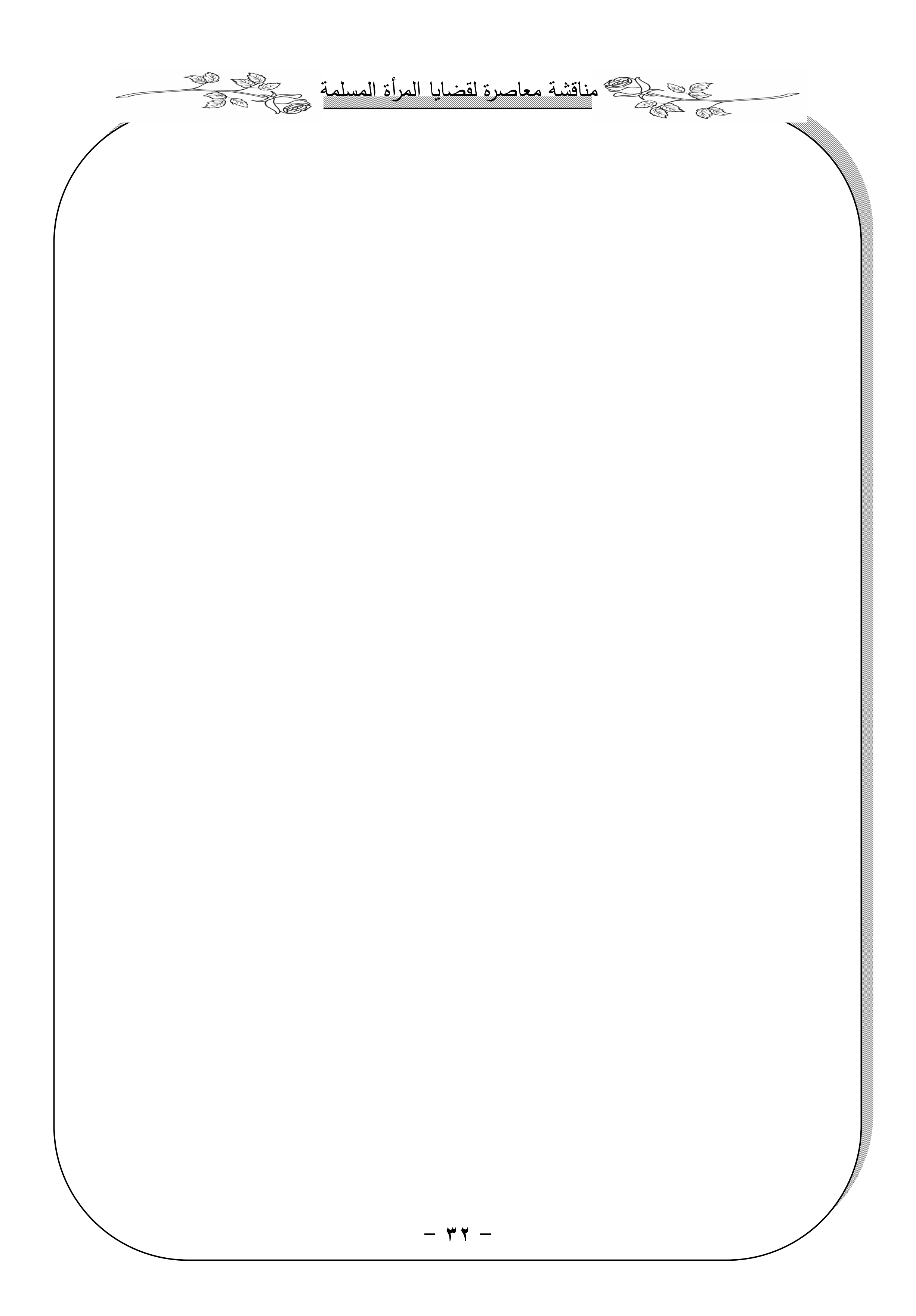
وفـي مجـال الآداب ومكـارم الأخـلاق أمـر الله تعـالى المـرأة متـى بَلَغَتْ أن تلتـزم بالحياء والعفاف والاحتشام وستر ما أمر الله تعالى بستره من جسدها يقول تعالى ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١] .

وجمهـور الفقهـاء علـى أن المقصـود بمـا ظهـر منهـا : الوجـه واليـدان ، وهـذا لا يمنـع أن تظهـر المـرأة بـالملبس الجميـل ، والمظهـر الحسـن ، وبالكيفيـة التـي تراهـا مناسبة لها بشرط أن تكون ملابسها ساترة لما أمر الله تعالى .

قالت سارة : أنا أحس أن التفريق بين الذكر والأنثى كان لصالح الذكر .

– أنـا أدعوكن لحضـور محاضـرة اليوم فـي المسرح الحصـة الرابعـة ففيها أجيب عن تساؤل سارة .

***



من مظاهر تكريم الله النساء

رحَّبت الأستاذة وهيبة الاخصائية الاجتماعية بالحضور ، ثم قالت : لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة حول إهانة الإسلام للمرأة والتقليل من شأنها فأقمنا هذه المحاضرة ، ودعونا الأستاذ نبيل أستاذ اللغة العربية والتربية الدينية الإسلامية للحديث في هذا الموضوع . فليتفضَّل .

الأستاذ نبيل : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﴿... سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] .

أما بعد :

سعدت بدعوة الأستاذة وهيبة للحديث في هذا الموضوع ، وقد لاحظت أن هناك هجمة شرسة على الإسلام واتهامه بالإساءة للمرأة ، ولقد أثارت بعض الطالبات هذا الموضوع وتلقيت عديداً من الأسئلة حوله ، وخيراً فعلت الأستاذة وهيبة أن عقدت هذه المحاضرة .

ما عَرَف الإسلام من لم يعرف الجاهلية

حقاً ما عرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية ؛ فقد كانت البيئة التي نشأ فيها النبي ﷺ ترى إنجاب البنات مَجْلبة للعار ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨ ، ٥٩] فكان الرجل في الجاهلية إذا حُمِل إليه خبر إنجاب زوجته أنثى يسودُّ وجه من الكآبة والهمِّ ويظلُّ ساكتاً من شدة ما هو فيه من الحزن ، ويختفي من أعين الناس حتى لا يروه ؛

خجلاً من إنجابه أنثى ، ثم يتفكَّر فيما يفعل في هذه المصيبة هل يبقي عليها مع في ذلك من مهانة وعار؟ أم يدفنها حية في التراب ويتخلَّص من هذا العار ؟ وكان رد القرآن حاسماً على هؤلاء فقال ما أسوأ هذا الحكم الذي حكموا به على الأنثى وفرَّقوا بينها بين أخيها الذكر وكلاهما هبة من الله لا دخل للإنسان فيه ﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشُّورى:٤٩ ، ٥٠]

لقد كان العرب في الجاهلية ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم، ويتصرَّفون فيها كيف شاءوا. فإذا منَّ عليها أبوها بعدم الوأد عاشت حياة الذل والمهانة حتى يزوجها لمن شاء ، وإذا تزوَّجت لم يكن لها على زوجها أيَّ حق، وله أن يطلقها ويردُّها بلا قيد أو شرط ، وأن يتزوج عليها أي عدد من النساء شاء ، وإذا مات عنها فإنها لا ترث فحسب بل تورَّث كالمال والبهائم يرثها ولد زوجها الأكبر إن شاء تزوجها ، وإن شاء حبسها حتى تفتدي نفسها بصداقها، أو تموت فيستولي على مالها، وكانت عِدَّة المرأة إذا مات عنها زوجها سنة كاملة، أثناءه تلبس شرَّ ملابسها، وتسكن شرَّ الغُرَف، وتترك الزينة والتطيب والطهارة، فلا تمس ماءً ولا تُقَلِّم ظُفْراً ولا تزيل شعراً ولا تبدو للناس في مجتمعهم .

ولم يكن حال المرأة في الشعوب أو الملل الأخرى بأحسن من هذه الحال فقد كانت المرأة عند الرومان أَمَةً عند الرجل ، لا حقوق لها على الإطلاق ، واجتمع في روما مّجْمَع كبير وبحث في شئون المرأة فقرر أنها كائن لا نفْس له ، وأنها لهذا لن ترث الحياة الأخروية ، وأنها رجس .

وكانت المرأة في أثينا تُبَاع وتُشْتَرى ، وكانت تعدُّ رجساً من عمل الشيطان .

ولقد قرأت أن شرائع الهند القديمة قرَّرت : أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير من المرأة ، وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها

– الذي هو سيدها – فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها في نيرانه ، وإلا حاقت عليها اللعنة .

وقد عقد الفرنسيون في عام: ٥٨٦ م ، أي في زمان شباب النبي ﷺ ، مؤتمرًا للبحث: هل تُعَدُّ المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وهل لها روح أم ليس لها روح؟ وإذا كانت لها روح، فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحًا إنسانية، فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها ؟ وأخيرًا : قرَّروا أنها إنسان، ولكنها خُلقت لخدمة الرجل فحسب.

وقد أصدر البرلمان الإنجليزي في عهد هنري الثاني ملك إنجلترا قراراً يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد . الإنجيل . لأنها نجسة.

أما المرأة عند أهل الكتاب فهي سبب نكبة البشرية وخروج آدم من الجنَّة فهي التي أغوته بالأكل من الشجرة المحرَّمة كما تقول التوراة .

فتعالين نتعرَّف على موقف الإسلام من المرأة .

لقد كرَّم الإسلام المرأة : ابنة ، وزوجة ، وأمّاً ، وأختاً .

تكريم الإسلام المرأة ابنة

بتكريم الإسلام المرأة ونبدأ ، ابنة :

القرآن الكريم يقرر المساواة بين الإناث والذكور في أصل الخلقة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] وأن الله تعالى هو الذي يهب الأبوين الإناث أو الذكور ﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشُّورى:٤٩ ، ٥٠]

ورغم أن البنت والولد هبة الله ولا دخل للإنسان في ذلك إلا أن كثيراً من الناس يفضل إنجاب الذكور عن البنات وتاريخ الشعوب يؤكد ذلك لذا فإن النبي ﷺ أرشدنا إلى فضل من رزق بالبنات وأكد أنها أحد أسباب دخول الجنة ، ولا أعلم حديثاً يبين فضل الذكور على الإناث .

قال رسول الله ﷺ في فضل إكرام الإنسان لبناته : " مَن كانَت لهُ أُنثَى ؛ فلم يئِدْهَا ، ولم يُهنْهَا ، ولم يُؤثِرْ ولدَه يعني الذُّكورَ عليْهَا ؛ أدخلَه اللهُ الجنَّةَ "

[رواه أبو داود]

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُصَلِّي وَقَدْ حَمَلَ عَلَى عُنُقِهِ أَوْ عَاتِقِهِ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا " [صححه الألباني] .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ." [رواه البخاري] .

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : " جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا ، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا ، فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا ، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ " [صحيح مسلم] .

وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : " ليسَ أَحَدٌ من أمتي يعولُ ثلاثَ بناتٍ أو ثلاثَ أخواتٍ فيُحْسِنَ إليهنَّ إلا كُنَّ لهُ سِترًا من النارِ"

[صححه الألباني]

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ كان له ثلاثُ بناتٍ، فصبَرَ علَيْهِنَّ ، وأطعَمَهُنَّ ، وسقاهُنَّ ، وكساهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ ، كُنَّ لَهُ حجابًا مِنَ النارِ يومَ القيامَةِ " [صححه الألباني] .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لا تُكْرِهوا البَناتِ ؛ فإِنَّهُنَّ المُؤْنِساتُ الغَالِياتُ " [صححه الألباني] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله " من عال جاريتَيْن حتَّى تبلغا ، جاء يومَ القيامةِ أنا وهو . وضمَّ أصابِعَه " [صحيح مسلم] .

وهذه الأحاديث وغيرها كثير تبيِّن فضل من رزقه الله بنات أو أخوَات أو عمَّات أو خالات وغيرهن فأحسن إليهن : أطعمهن، وسقاهن ، وكساهن وقام على رعايتهن وتلبية احتياجاتهن حباً ورحمة .

تكريم المرأة زوجة :

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يجعل عملية التناسل البشري تتم عن طريق الذكر والأنثى كليهما فجعل لكلٍّ منهما ميلاً فطريًّا للآخر، فإليه يسكن، وبه يأنس؛ قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ولضمان حصول المودَّة والرحمة، وتحقق وجود السكينة؛ جعل الله لهذه العلاقة قانونًا يحكمها ، وفرض على كلا الزوجين حقوقًا يؤدِّيها للآخر، وحقوقًا تؤدى له .

كيفية معاملة النبي ﷺ أهل بيته

لقد قضى النبي ﷺ حياته في خدمة من حوله وإعانتهم، فها نحن أُولاءِ نراه في خدمة أهل بيته، وكأنه يريد أن يخفِّف عنهم وطْأَة متاعب أشغال المنزل، هذه الأعمال التي يأنف معظم الرجال أن يعيروها قدرًا من تعاونهم، كانت أمرًا طبيعيّاً في حياته ﷺ إن المرأة لا تحتاج إلى من يساعدها في عملٍ ما بقدر حاجتها لأن تشعر دائماً بطيور الرحمة ترفرف حولها، وهكذا كان النبي ﷺ يغمر أهل بيته بالرحمة، وذلك كلُّ ما تتمناه المرأة من زوجها.

وقد تعدَّدت مظاهر التعبير عن الرحمة من جانب النبي ﷺ تجاه أهل بيته، فتارة نراه في خدمة أهل بيته، وتارة نراه يداعبهم ويُدخل السرور إلى قلوبهم، وتارة

أخرى نراه يتجاوز عن أخطائهم برحمة وحُنُوّ، وهكذا كانت إشارات الرحمة تنتشر في بيت النبوة، فتفيض عليه حنانًا، سُئِلَتْ عَائِشَةُ : "ما كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصنعُ في بَيْتِهِ ؟ قالت: كان يَكُون في مِهْنَةِ أَهْلِهِ (في خِدمَةِ أَهلِه) فإِذا حَضَرَتِ الصَّلاة، خَرَجَ إِلى الصَّلاةِ " [صحيح البخاري] .

لقد كان النبي ﷺ رحيمًا بالمرأة، ويوصي بالرحمة بها، بل كان يشفق على المرأة حين يسرع الحادي في قيادة الإبل التي تركبها النساء، فيقول له : رفقاً بالقوارير، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ "رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ لاَ تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ" قَالَ قَتَادَةُ يَعْنِي : ضَعَفَةَ النِّسَاءِ . [صحيح البخاري] .

وكان النبي ﷺ إذا دخل بيته، بادر بالسلام، وإذا دخل ليلاً، خافَتَ به حتى لا تستيقظ زوجته إن كانت نائمة . كما ورد في حديث المقداد قال: " ... فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ " [صحيح مسلم] .

ألهذه الدرجة ؟! يخشى أن يوقظ أهل بيته وهم نائمون حتى لا يقطع عليهم نومهم وراحتهم ! يا لها من رحمة عجيبة يجب أن تنحني أمامها جباه كل عظيم.

حقوق الزوجة على زوجها:

أولا: حُسن عِشرة ومعاملة الزوجة : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

وثبت هذا الحق في السنة فعن السيدة عائشة قالت قال رسول الله ﷺ " خيرُكُم خيرُكُم لأَهْلِهِ ، وأَنا خيرُكُم لأَهْلي " [صحيح ابن حبان وغيره] .

ثانيًا: أن يعلمها أمور دينها، ويحثها على الطاعة يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]

ثالثاً : أن يغض الطرف عن بعض أخطائها ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله : وإلى هذا يشير النبي ﷺ بقوله ويرشد الرجال في ذلك : " لا يفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ " [صحيح مسلم] "الفِرْكُ": البُغْض .

رابعاً : ألا يؤذيها بضربها في وجهها أو تقبيحها:

عن معاوية بن حيدة القشيري أنَّهُ قالَ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما حقُّ زوجةِ أحدِنا ؟ قالَ أن تُطْعِمَها إذا طعِمتَ ، وتَكْسوَها إذا اكتسيتَ ، ولا تضربَ الوجهَ ، ولا تقبِّحَ ، ولا تَهْجرَ إلَّا في البيتِ وعنِ ابنِ عبَّاسٍ ، قالَ : إنِّي لأحبُّ أن أتزيَّنَ للمرأةِ كما أحبُّ أن تتزيَّنَ ليَ المرأةُ ، لأنَّ اللَّهَ يقول : وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ "

[صححه أحمد شاكر]

خامساً : أن يعفَّها : لذا أرشد النبي ﷺ عثمان بن مظعون إلى ما لأهله عليه من الحق، لما انقطع عنهم إلى العبادة ، فقال ﷺ " وإنَّ لأهلِك عليك حقًّا "

[صححه الألباني]

سادساً : التلطُّف بالزوجة وملاعبتها وتقديرها: فقد حدثت السيدة عائشة قالت: " كانَ الحَبَشُ يلعبونَ بِحِرابِهِم فَستَرَنِي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأنَا أنْظُرُ ، فمَا زِلْتُ أنظرُ حتَّى كنْتُ أنا أَنْصَرِفُ ، فاقْدُروا قدْرَ الجَارِيَةِ الحديثَةِ السِّنَّ تسْمَعُ اللهْوَ " [البخاري] .

سابعاً : النفقة، والكسوة، والسكن بالمعروف : يقول تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

قال ابن كثير : " أي: وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف؛ أي: بما جَرَت به عادة أمثالهن، من غير إسراف ولا إقتار ، بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره ".

هذه بعض حقوق الزوجة .

مكانة الأم في الإسلام

أما مكانة الأم فهي أظهر من الاستشهاد عليها ونكتفي بذكر آية وحديث فقط .

يقول تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤] .

فالله تعالى يوصي الإنسان بالإحسان للوالدين كليهما ثم خصص الأم بذكر درجة الحمل ودرجة الرضاع فتحصل للأم ثلاث مراتب وللأب واحدة ، وأشبه ذلك بما جاء الحديث الشريف " جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ ، من أحقُّ الناسِ بحُسنِ صَحابتي؟ قال: أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثم أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثم أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك." [متفق عليه] .

فالقرآن الكريم جعل للأم ثلاث مراتب والأب مرتبة واحدة كما قال المفسرون ، والنبي ﷺ أكَّد حقَّها في البر وحُسن المعاملةِ ثلاثَ مرَّاتٍ والأب مرة واحدة ؛ بيانًا لكثرةِ أفضالِها على ولدِها، وكثرةِ ما تحمَّلَتْه مِن المتاعبِ الجِسميةِ والنَّفسيَّة أثناءَ حملِها به، ووضعِها وإرضاعِها له، وخِدمتِها وشفقتِها عليه.

لقد بلغت المرأة في الإسلام مكانة عالية ، لم تبلغها مِلَّة ماضية ، ولم تدركها أمة تالية ، ومع ذلك أثار أناسٌ بعض الشبهات حول نظرة الشريعة الإسلامية للمرأة في مواضع الاختلاف بينهما .

وهذا الاختلاف في بعض الأحكام الشرعية بين الذكر والأنثى راجع إلى مراعاة طبيعة المرأة من حيث خلقتها، وتركيبها العقلي، والنفسي، وغير ذلك من صور الاختلاف التي لا ينكرها العقلاء والمنصفون من أي دين ومن توهم أنهما سواء في كل الأمور فقد أبطل دلالة القرآن والسنة على ذلك .

يقول تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] .

وأما السنَّة فإن النبي ﷺ قد لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال . كما ثبت ذلك في البخاري من حديث ابن عباس " لعَن رسولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهينَ من الرجالِ بالنساءِ، والمُتَشَبِّهاتِ من النساءِ بالرجالِ "

[صحيح البخاري]

أكتفي بهذا القدر مراعاة لمواعيد حصصكم الدراسية ، ويسعدني أن أتلقى أسألتكم .

قالت الاستاذة وهيبة : للأسف الشديد وقت المحاضرة قد انتهى ، وإن شاء الله سوف نعقد محاضرة أخرى حول هذا الموضوع نتلقى فيه أسئلة الطالبات .

***

اختلاف عمل المرأة عن عمل الرجل

نظافة القلب في الإسلام

درس اليوم عن النظافة في الإسلام ، والنظافة في الإسلام ليست هي النظافة الحسيَّة من طهارة الجسد والملبس والمكان والبيئة فقط ؛ بل والنظافة الروحية والنفسية ، وتحقق بطهارة القلوب من الشرور والغل والحقد والحسد واليأس والبغض وطهارة العقول من الشرك والجهل والأفكار الهدَّامة ، والأقاويل الباطلة ، وترديد الأخبار المغرضة ، وترديد الإشاعات الكاذبة ، وطهارة اللسان من الكذب والسب واللعن ، والغيبة والنميمة ، وطهارة وصيانة الجوارح من من كل ما يغضب الله تعالى وإذا تأملنا في معنى الآية الكريمة : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] نجد أن الله تعالى قد ذكر التوابين قبل المتطهرين حتى يكون التطهر شاملاً لكل الأمور الحسية والمعنوية والروحية .

وأنا أحب أن أقف عند نظافة القلوب من الشرور والغل والحقد والحسد فإن بعض النساء يحسدن الرجال على ما آتاهم الله من فضله ويطالبن بالمساواة الكاملة بين النساء والرجال في الميراث والشهادة والعمل . من أن الله تعالى يقول: ﴿لا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢]

عمل المرأة

قالت سارة : ربما كانت المطالبة بالمساواة في الميراث والشهادة تصطدم بالنصوص الدينية لكن لماذا التفرقة بين عمل الرجل وعمل المرأة ، مع أن المرأة تستطيع أن تعمل كل أعمال الرجل .

قال الأستاذ نبيل : سوف نرجئ الحديث عن حكمة الإسلام في الميراث والشهادة ونتحدث عن عمل المرأة بناء على رغبتك يا سارة .

– اتفقنا .

– إن الإسلام عندما يُفرِّق بين الرجل والمرأة في شيء فإنه يراعي طبيعة كلاً منهما من جهة ، والمصلحة العامة من جهة أخرى دون إساءة لأي منهما فجعل الرجل يتحمَّل العبء الأكبر لكل ما هو خارج البيت من : سعي في طلب رزقه ورزق من يعول ، وجهاد دفاعاً عن نفسه وأهله ودينه . والمرأة تشارك الرجل في رزقه الذي حصَّله ، وفي الأمن الذي يحققه ليس ذلك فحسب بل في الثواب الذي يأجره الله عليه لأنها هي الأم التي حملت وأرضعت وربت وهي الزوجة التي لبَّت له احتياجاته ، وحملت عنه أعباء البيت ليتفرغ هو للعمل والجهاد .

شروط عمل المرأة خارج بيتها

ولم يحرِمِ الإسلام المرأة من العمل خارج بيتها ولكن قيده بشروط حفاظاً على الأسرة والمجتمع وصيانةً لطبيعة المرأة نفسها :

١– ألا تخل بعملها الأساسي : رعاية الأسرة والقيام على شئونها داخل البيت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣]

" والمرأةُ في بيت زوجِها راعيةٌ وهي مسئولةٌ عن رعيَّتِها " [صحيح البخاري]

٢– أن تكون في حاجة للعمل : إن لم يكن لها من يعولها ويلبِّي احتياجاتها الأساسية ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣] فقول المرأتين لسيدنا يوسف ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ بيان لعلّة خروجهما للعمل ، وقولهما ﴿لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ بيان لما يجب على المرأة من آداب وسلوك والتزام عندما تخرج ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣] .

فعمل المرأة داخل البيت هو الأصل وإذا خرجت فيكون لحاجة لها أو لأسرتها على أن تلتزم بآداب الإسلام وأخلاقه. وعندما تنتفي حاجتها للعمل تعود للبيت ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] وإذا وجدت المرأة الزوج الذي المناسب الذي يصلح للقيام عنها بالعمل خارج البيت تقبله زوجاً لها فالمرأة متعتها الأولى أن تكون زوجة وأمّاً وإذا عملت خارج البيت وهي زوجة وأمٌّ فإنها تعمل بنصف عقلها ، والنصف الآخر تفكر في بيتها عكس الرجل الذي لا يشغله عن عمله واكتساب رزقه شيء .

وسلن أية امرأة عاملة غير متزوجة ما أنت فيه خير لك أم أن تكوني زوجة لرجل صالح وأمّاً لأبناء بررة؟

بل سلن كل امرأة عاملة أيهما أفضل لك أن تكتفي برعاية زوجك وتربية أولادك أم تجمعي بين هذه المسئولية الكبيرة وبين مسئولية العمل خارج البيت دون ضرورة حقيقة لذلك إلا أن تثبتي أنك مثل الرجل ؟

ثم سلن الزوجات العاملات ، هل يُعْطِين عملهن خارج البيت كل تفكيرهن واهتمامهن كما يعطيه أزواجهن له ؟

والإجابة التي لا شك فيها أن غالبية النساء العاملات يفضلن عدم العمل خارج البيت ما دام أزواجهن يتكفَّلون بالنفقة عليهن وعلى أولادهم إلا أن تكون امرأة ذات مواهب خاصة : عَالِمة ، ممثلة ، مغنية .. أو ذات منصب كبير : وزيرة ، سفيرة، مديرة ...

٣- الشرط الثالث أن يكون العمل ملائماً لطبيعة المرأة الفطرية . فالعمل في المناجم ، وحقول البترول ، وأعمال البناء ... لا يناسب طبيعة المرأة .

٤- أن يكون المجتمع في حاجة لعملها كطبيبة نساء ، ممرضة ، مدرسة ...

٥- أن تكون ملتزمة بتعاليم الإسلام من الزي الشرعي، والبعد عن التبرج والسفور والتطيب والخلوة بالرجال .

وهذا لصيانة المجتمع وترابط الأسرة وقيام كل فرد بعمله المناسب له .

قالت سارة : لقد قرأت يا أستاذ أن آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ خاصة بزوجات النبي فقط اللاتي يقول الله عنهن ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ .

– أرى أن هذا الموضوع يحتاج لتفصيل والحصة قد أوشكت على الانتهاء فلنؤجل المناقشة إلى حصة أخرى .

***

مناقشة حول قوله تعالى ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾

صلة الأرحام

دَرْسُنا اليوم عن صلة الأرحام : لقد حرص الإسلام على تربية أبنائه تربية سليمة عمادها الأخلاق الفاضلة وجوهرها الآداب السامية ومن هذه الآداب ما يتعلق بصلة الأرحام ، لما فيها من تقوية الروابط وتماسكها ، ولما فيها من شيوع الحب بين المسلم وذوي رحمه .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : "إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَقَالَتْ : هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكَ لَكِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ : " اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ]

قالت سارة : نكتفي بهذا القدر يا أستاذ ، وأجبنا عن سؤال الحصة الماضية .

- أنا موافق بشرط أن تجيبي عن سؤال يخص درسنا اليوم .

- وإن أجبته نكمل إجابة الأسئلة ؟

- نعم .. ما الفرق بين الواصل والمكافئ ؟

- الواصل من يصل رحمه والمكافئ .. المكافئ .. المكافئ من يقدم مكافأة لمن أحسن .

ابتسم الأستاذ نبيل وقال : الإجابة خطأ يا سارة ، عرفت أهمية الدروس المقررة علينا ؟

الفرق بين الواصل والمكافئ

- وما الفرق بينهما يا أستاذ ؟

- الواصل هو الشخص الذي يتعهد أهل رحمه بالمال والخدمة أو بالزيارة أو بالمراسلة أو الكلام أو بكل ذلك رغم أنهم يقطعونه ، أي هو الشخص الذي إذا مُنع أعطي قال النبي ﷺ : " لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِىء ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا " [رواه البخاري]. وعلى ذلك يفهم من الحديث أن الناس ثلاثة أقسام : واصل وهو الذي يَتفضَّل ولا يُتفضل عليه ، ومكافئ وهو الذي لا يزيد على ما يأخذ ، وقاطع وهو من يُتفضَّل عليه ولا يَتفضل .

قالت سارة مبتسمة : أفادكم الله يا أستاذ نعود إلى مناقشة موضوع الحصة الماضية لقد استشهدت حضرتك بقوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ على أن عدم خروج المرأة للعمل مع أن الآية خاصة بنساء النبي ﷺ .

هل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ خاصة بزوجات النبي

قال الأستاذ نبيل : الآية عامة في النساء جميعهن ولا تخرج إلى العمل خارج البيت إلا بالشروط التي بيناها الحصة الماضية أما تفسير قوله تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب:٣٢] يعني في الفضل والشرف لا في الأحكام التي ستتلى عليهن ، وهذا الشرف الذي يُميِّزهن عن غيرهن من مطلق النساء، فمطلق النساء لَسْنَ قدوة، إنما نساء النبي ﷺ خاصة قدوة لغيرهن من النساء وأُسْوة تُقتدى. ويقول ابن كثير " هذه آداب أمَر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبَع لهن في ذلك. " .

فالأمر بالتقوى وعدم الخضوع بالقول والقرار في البيوت وعدم التبرج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ليس مما اختصت زوجات النبي ﷺ به دون نساء المؤمنين .

ثم قال الأستاذ مازحاً : وأنا أطمئنك يا بنتي هذه الأوامر لا يلتزم بها إلا زوجات النبي ﷺ ونساء المؤمنين فقط .

قالت سارة وهي تبتسم : وأنا مؤمنة بحمد الله تعالى ، ولا يمنعني إيماني بالله تعالى أن أسأل وأناقش وأفهم .

– الإيمان بالله تعالى يلزمك أن تسألي وتناقشي وتفهمي فالله تعالى يأمر من دعا إلى شيء أن يأتي بالأدلة على صحته يقول تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] ويقول أيضاً ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:٦٤] ..

سلي يا بنتي ما تشائين فأنا أحب أسئلتكِ .

الدليل على اشتراط الإسلام لعمل المرأة خارج بيتها

– أشكرك يا أستاذ .. الحصة الماضية حضرتك قلت أن الإسلام اشترط عدم وجود من يعيل المرأة كمبرر لخروجها للعمل واسترشدت بقصة النبى يوسف ، رغم أن شرط التشريع هو وجود نص قطعى الثبوت وقطعى الدلالة وبالتأكيد فإن تلك الآية من سورة القصص ليست قطعية الدلالة واستخدامها كحجة جاء فى غير موضعه .

قال الأستاذ نبيل مازحاً – ما الكلام الكبير هذا !! فى أي موقع في الإنترنت قرأتيه ؟! .. المهم أفهم من كلامك أنه إذا كانت هناك آية قطعية الثبوت والدلالة فلن تعترضي عليها فاعلمي يا بنتي أن قوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] على سبيل المثال قطعية الثبوت والدلالة فلماذا تعترضين عليها ؟!

أما الدليل على اشتراط الإسلام وجود حاجة لعمل المرأة خارج بيتها فهو قول الله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣] وهي

آية مخاطب بها مطلق النساء كما بيَّنا ، وقول النبي ﷺ " والمرأةُ في بيت زوجِها راعيةٌ وهي مسئولةٌ عن رعيَّتِها " [صحيح البخاري] .

قالت سارة : شيء آخر قلته حضرتك في الحصة الماضية وطلبت منَّا أن نسأل كل امرأة عاملة عن الأفضل لها هل الاكتفاء برعاية الزوج والأطفال أم العمل؟ وحضرتك كنت واثقاً من أن كل امرأة تفضِّل رعاية الزوج والأطفال عن العمل ! وحضرتك تجاهلت سنوات الكفاح الطويلة التى خاضتها المرأة فى مختلف بقاع الأرض للحصول على حق العمل وغيره من الحقوق، ثم إن العمل حق للمرأة وليس فرضاً ومن لا تريد العمل فذلك حقها ولها كل احترام أما افتراض أن ذلك سيكون رأى كل النساء العاملات فذلك خطأ بالتأكيد .

قال الأستاذ نبيل مازحاً : أنا أعرف مصدر الكلام الذي تقرئينه اليوم .. وعموماً

أنا قلت إن غالبية النساء العاملات – ولم أقل كل النساء – يفضلن عدم العمل خارج البيت ما دام أزواجهن يتكفَّلون بالنفقة عليهن وعلى أولادهم إلا أن تكون امرأة ذات مواهب خاصة ، ورأيك هذا لا يمثل رأي أغلبية النساء ، وأنا لا ألزم أحداً بشيء فكلُّ إنسان له الحق في اختيار ما يشاء ويتحمَّل تبعة هذا الاختيار في الدنيا والآخرة .

عادت سارة تقرأ في الأوراق التي أعدَّتها : أرى حضرتك تظلم المرأة المكافحة العاملة وتجعلها سبباً للبطالة، أى ظلم ذاك يا أستاذ !! فهل تحسب أن صاحب العمل سواء فى الجهات الرسميَّة أم الخاصة يوظِّف المرأة من باب الصدقة أم لأنها الأفضل؟ صاحب العمل يريد أن يُعظِّم من مكاسبه وإن تقدَّم لذات الوظيفة رجل غير كفء وامرأة ذات كفاءة فهو بالتأكيد سيختار المرأة والعكس صحيح، ثم أن كان حل مشكلة البطالة بهذه السهولة فلماذا لم تسبقنا إلى تلك الفكرة العبقرية دول أخرى ؟

دقَّ جرس الحصة وتوقَّفت سارة عن الكلام فأشار لها الأستاذ أن تكمل فقالت :

أجـد أن دول العـالم المتحـضّر تتـتهج سياسـات اقتـصادية لزيـادة الاسـتثمار والأسواق بالتالى تخفيض نسبة البطالـة فـى حين نحـن نـرى أن الحل هو محاربـة عمل المرأة ليذهب علم الاقتصاد ورجاله الى الجحيم!!

ثم قال الأستاذ نبيل مازحاً : ألا تريدين أن تخبريني من أين أتيت بهذا الكلام ؟!

عموماً نكمل الحصة القادمة إن شاء الله .

***

علاقة عمل المرأة بالبطالة

عوامل نجاح الرسول ﷺ في دعوته

درسنا اليوم عن عوامل نجاح الرسول ﷺ في دعوته : شمر النبي ﷺ عن ساعد الجد وشرع في تنفيذ أمر به مستعيناً به ، مبتكراً أفضل الأساليب من أجل نجاحه في طريق الدعوة إلى الله تعالى ، ولقد ساعده في نجاحه ما زوده الله تعالى به ، وما منحه الله تعالى من خلق كريم قال " إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ " [رواه أحمد] لقد سلك رسول الله من أجل نجاحه في مجال الدعوة الإسلامية أساليب عديدة كان لها عظيم الفضل في اجتياز الصعوبات وتخطيها ، ومن هذه العوامل:

الكمال الخلقي الذي ظهر به رسول الله ، والخصائص التي ميَّز الله بها رسوله " فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلاَمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِى النَّبِيُّونَ "[رَوَاهُ مُسْلِمٌ] .

والاستعانة بالله عز وجل ، والتخطيط الجيد المتقن لخط سير الدعوة ، الثبات على المبدأ ...

قالت سارة : من فضلك يا أستاذ يكفي هذا ونكمل نقاشنا حول عمل المرأة .

قال الأستاذ نبيل : هل توافقن على رأي سارة ؟

- نعم يا أستاذ .
- موافقة .
- ذكِّريني بسؤالك السابق يا سارة .

- كنت أتعجب من ربط حضرتك بين عمل المرأة والبطالة ...

- تذكرت .. تذكرت . مرة ثانية أذكرك يا بنتي ألا تتسرعي في الرد قبل فهم الكلام جيداً أنا قلت بالنص " تخيَّلي يا ابنتي أن السيدات اللاتي لسن في حاجة للعمل وليس المجتمع في حاجة لعملهن وبيوتهن في حاجة لهن قد تركن عملهن فهل يبقى هناك بطالة بعد أن يحلَّ الشباب العاطل محلهن؟ " وإليك هذا التقرير الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط ، وهناك فتح الأستاذ نبيل حقيبته وأخرج عدة أوراق وبدأ يقرأ : " بلغت معدَّلات البطالة الموسمية في منطقة اليورو ١١.٣ % خلال شهر فبراير ٢٠١٧مقارنة مع ١١.٤% في الشهر الذي سبقه وكانت النسبة قد بلغت ١١.٨ % في فبراير ٢٠١٤ بحسب ما ذكر مكتب الإحصاء الأوربي يوروستات في بروكسل وأضاف أن معدلات البطالة في مجمل الاتحاد الأوربي الـ ٢٨ بلغت في فبراير ٢٠١٧ نسبة ٩.٨ % " وسأترك مقارنة هذه النسبة بنسبة البطالة في دول الخليج التي لا تعمل فيها المرأة إلا إذا كانت في حاجة للعمل .

- ألا يعد ذلك تفضيل للرجل وحرمان للمرأة من حقها على العمل ؟

وقفة مع قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾

يقول تعالى : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] .

اللافت أنّ القرآن الكريم قدّم الذكَر على الأنثى. والمتبادر لدى البشر القاصرين المتحيزين للذكورة أن يُقال: " وليس الأنثى كالذكر ... "؛ لأنّ وجه الشبه يكون أقوى في المشبّه به. فما الحكمة المتحمّلة في جعل الأنثى مشبهاً به ؟!

لو قيل: " وليست الأنثى كالذكر ..."، لوافق ذلك ميل الناس إلى تفضيل الذكر على الأنثى، ولأصبحت الآية من مستندات من يريد أن يُفاضل بين متكاملين. ونحن لا نشك أنّ المرأة تفضل الرجل في أمور، وأنّ الرجل يفضل المرأة في أمور، وكل ذلك من مقتضيات الوظيفة التي شاءها العزيز الحكيم. وعليه لا يمكن

المفاضلة بين الرجل والمرأة بالمطلق، ولكن لا بد عند كل مفاضلة أن تُحدد الوظيفة؛ فالمرأة مُفضّلة إذا كان المطلوب رعاية الطفل، مثلاً. والرجل مفضل إذا كان المطلوب نقل الأحمال الثقيلة.

ماذا يحدث لو أن معظم العاملات تركن عملهن ؟

تخيلي يا ابنتي أن السيدات اللاتي لسن في حاجة للعمل وليس المجتمع في حاجة لعملهن وبيوتهن في حاجة لهن قد تركن عملهن فهل يبقى هناك بطالة بعد أن يحلَّ الشباب العاطل محلهن . فتنتهي البطالة أو على الأقل تخف حِدَّتها ، وعندما يعمل الشباب يتمكنون من تدبير متطلبات الزواج مما يَحِدُّ من ظاهرة العنوسة المنتشرة ، وكذلك فإن أزمة المواصلات سوف تحل عندما يقر كثير من السيدات العاملات في بيوتهن ، كما أن كثيراً من المشاكل الأخلاقية الناتجة عن الاختلاط سوف تُحَلُّ بعد زواج أغلب الشباب وقلة الاختلاط في العمل والمواصلات والشوارع والطرقات .

ولن أذكر لك ماذا تقول نساء الغرب الآن بعد أن ترك لهن الرجال مسئولية النفقة على أنفسهن ، إنما أقول لك رأي معظم العاملات اللاتي تعاملت معهن فإنهن يتمنين أن يكنَّ ربات بيوت ، ولولا خوفهن من تأثُّر بيوتهن بعد اعتماد أزواجهن على رواتبهن لما ترددن في تسوية معاشهن .

عمل المرأة في الغرب طوعاً أم كرهاً ؟

قالت سارة وهي تقرأ في أوراق أمامها : تحدثت حضرتك عن شعور النساء فى الغرب بعد أن ترك الرجال لهن مسئولية الإنفاق على أنفسهن، واسمح لى فقد جانبك الصواب هنا، فالرجال فى الغرب لم يتركوا مسئولية الإنفاق على النساء، بل النساء هن من طالبن بحق العمل والاستقلال المادى حتى يصلن الى الحرية التى يتنعمن بها اليوم، وبإمكانهن عدم العمل إن أردن لكن الغالبية من النساء بالطبع ترفض أن تعيش عالة."

قال الاستاذ نبيل ضاحكاً : هل المشكلة عندكِ هي أن النساء هن اللاتي طالبن العمل والإنفاق على أنفسهن ، أو أن الرجال هم الذين تركوا لهن مسئولية الإنفاق على أنفسهن ؟ ولن أجادلك فيمن أخرج النساء للعمل خارج بيوتهن المهم يا بنتي النتيجة .

أنت تزعمين أن النساء الغربيات العاملات يتمتعن بالاستقلال المادي والحرية وأنا أتفق معك في ذلك لكن الذي أختلف معك فيه أن غالبية النساء في الغرب بإمكانهن ترك العمل . بدأت الأسرة تعتمد على الدخل المشترك للرجل والمرأة ثم أصبحت لا تستغني عن هذا الدخل .

والرجاء مراجعة معلوماتك عن الحياة الاجتماعية في الدول الغربية .

- أريد أن أعرف الحكمة من التفريق في الميراث بين الرجل والمرأة .
- من التي تعد لنا بحثاً عن هذا الموضوع .
- فلتكن أنت يا هاجر من يعدُّ لنا هذا البحث ..

***

حكم الحب في شريعة الإسلام

الإسراء والمعراج

درسنا اليوم عن الإسراء والمعراج : الإسراء والمعراج من معجزات الرسول ﷺ ، والإسراء هو السير ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ولقد تحدَّث القرآن الكريم عن حادثة الإسراء في سورة الإسراء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الإسراء:١] .

والمعراج هو الصعود به ﷺ السموات العلا إلى سدرة المنتهى إلى أعلى مكان ومكانة حيث ناجى ربه تعالى وتلقى منه سبحانه فريضة الصلاة التي فرضها الله تعالى على رسوله وعلى أمته ليلة الإسراء .

وتم الإسراء والعراج في ليلة واحدة ويتحدث القرآن الكريم عن عروجه في سورة النجم في قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ .

هل رأى النبي ﷺ الله تعالى ؟

قالت سلمى : هناك سؤال يحيرني وسمعت فيه آراء مختلفة .

- عن قضايا المرأة كأسئلة سارة ؟
- لا .. عن درس اليوم .
- سلي يا سلمى ما تشائين قبل أن تسأل سارة أسالتها عن المرأة .
- هل رأى النبي الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج ؟

مسألة رؤية النبي ﷺ ربه مسألة خلافية، فأثبت ذلك ابن عباس وأنكرت ذلك عائشة ، وأنكرت على من يقول: إنه رأى ربه.

وقد ورد في ذلك أحاديث فيها عدم الرؤية ، كما في حديث أبي ذر في صحيح مسلم قال: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ "، وفي رواية: " رأيت نوراً " .

فهذا دليل على أنه إنما رأى نوراً، وقد أخبر بأن الله تعالى حجابه النور .

ولكن الصحيح: أنه ﷺ رأى ربه رؤية قلبية لا رؤية بصرية، وبذلك فسرت الرواية عن ابن عباس ، والدليل على هذا أن الله قد منع ذلك موسى، كما قال تعالى عنه: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف:١٤٣] طلب موسى أن ينظر إلى ربه، فقال الله: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف:١٤٣] .

فرؤية النبي ﷺ لربه إنما هي مكاشفات قلبية لا رؤية بصرية، وذلك لضعف الإنسان في هذه الدنيا عن أن يثبت لعظمة الله وجلاله، أما في الآخرة فإن الله يمد أهل الجنة بقوة يتمكنون من رؤيته، ويثبتون أمام رؤيته؛ وليس خلقتهم في الجنة كخلقتهم في الدنيا.

هل الحب حرام ؟

قالت دينا : عندي سؤال خارج عن موضوع الدرس وعن موضوعات سارة هل تسمح لي به ؟

- تفضلي يا دينا .

قالت بصوت منخفض وقد غضَّت بصرها حياء : هل الحب حرام ؟

ضحكت الطالبات ، وسألت من لم تسمع السؤال غيرها ..

- تعرفين الإجابة بالتفصيل في الصف الثاني الثانوي في درس "دروب الحب" لابن حزم الأندلسي .

– نريد أن نعرف الآن .. لو سمحت يا أستاذ ...

– موافق ، موافق .. أنتن بالقطع تسألن عن الحب بين الفتى والفتاة ؟ أم تسألن عن حب الله وحب رسوله وحب ....

– الحب الذي ذكرته أولاً يا أستاذ .

يقول ابن حزم : لقد غمضت معاني الحب وخفيت على أغلب الناس لعظمتها إلا الحكماء منهم ، فلم يصف الحب واصف ولم يصل إلى حقيقته إلا بعد مشقة ومعاناة كبيرة ، فليس الحب قبيحاً أو ممنوعاً فيما فرضه الله تعالى على الناس من فرائض ، وقد اختلفت الآراء في حقيقته وأكثروا فيه القول ، والحب عند ابن حزم هو اتصال بين النفوس التي كتب لها الله أن تحب وتلتقي في الحياة فتتعارف وتتآلف ، فالمثل إلى مثله يسكن والشبيه ينجذب لشبيهه ؛ لأن كل منهما بحاجة لما هو موجود عند الآخر، والتجانس بين البشر أمر معروف وظاهر ومشاهد للعيان ، كما أن التخاصم يكون بين الأعداء ، والتوافق يكون بين النظراء . فالله تعالى هو الذي خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وجعل السكن والتآلف والحب بين كل زوجين يقترن أحدهما بالآخر.

– معنى هذا أن الحب ليس حراماً وأن البنت بجوز لها أن تكلِّم حبيبها .

– يبدو يا هاجر أن البحث الذي أعدديته عن التفرقة في الميرات لن تتسع له حصة اليوم وقد فُتِحَ الموضوع الذي لن يغلقه إلا جرس الحصة .

قالت هاجر : نؤجِّل البحث للحصة القادمة لأنه طويل ويحتاج لوقت لعرضه .

– اتفقنا نعود للإجابة عن سؤال رحاب على ألا تقاطعني منكن واحدة حتى أنتهي من كلامي حتى يصل المعني كاملاً .

– اتفقنا يا أستاذ .

– إن ميل كل نوع من كل جنس لنوعه الآخر تدبير من الله تعالى لتعمير الكون ، فالأليف يحنُّ إلى أليفه لذا يتناكح الإنس ، وتتزاوج الحيوانات والطيور ،

وتتلاقح النباتات . ولقد صرح النبي ﷺ بأن الله حبب إليه من الدنيا النساء والرائحة الزكية " حُبِّب إليَّ النساءُ ، والطِّيبُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصلاة "
[رواه النسائى وأحمد]

والحب قدر وابتلاء لا خيار للإنسان فيه لذا يقول النبي ﷺ معتذراً إلى الله عن ميله لبعض زوجاته أكثر من غيرهن دون الإخلال بالعدل بينهن جميعاً .

عن عائشة " أن النبي ﷺ كان يقسِّم بين نسائه فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " قال الترمذي يعنى به الحب والمودة، كذلك فسره أهل العلم " .

ولقد طلب سيدنا يوسف من الله تعالى أن يصرف عنه كيد النساء حتى لا يصبو إليهن .

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف : ٣٣] .

المنهج الأمثل للعلاقة بين الرجل والمرأة

ولقد جاءت شريعة الإسلام بالمنهج الأمثل ، والشرع الأحكم الذي يعالج العلاقة بين الرجال والنساء فحرَّم الرهبانية لأنها كبت لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وهى ميل الذكر للأنثى والعكس ، وكما حرَّم الله تعالى الرهبانية والانقطاع عن الزواج حرَّم كذلك الإباحية والزنا والفجور وكل سبيل يؤدي إلى إثارة الغرائز ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء : ٣٢] أي : ابتعدوا عن مقدمات الزنا فضلاً عن الوقوع فيه ذاته .

أتعرفن مقدمات الزنا ؟

غضَّت الطالبات رءوسهن حياء : ......

فأكمل الأستاذ قائلاً : نظرة فابتسامة فسلام ** فكلام فموعد فلقاء

وبعد المقابلة يطلب المصاحبة، وبعد المصاحبة يطلب المرافقة أو الخلوة الطويلة، ثم ينشأ عن ذلك ما هو معلوم في آخر الأمر من وقوع الفواحش نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة .

قالت عبير برقَّة : وماذا تفعل الفتاة إذا وقعت في الحب ؟

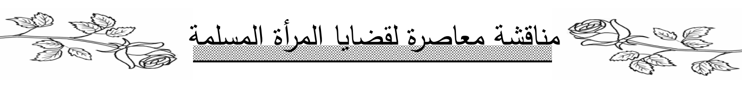
ضحكت الطالبات ضحكاً مكتوماً .

– عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن عندنا يتيمة وقد خطبها رجل معدم ورجل موسر وهي تهوى المعدم ونحن نهوى الموسر فقال صلى الله عليه وسلم : " لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابَّيْن مِثْلُ النِّكَاحِ " [صححه الألباني]

– وماذا تفعل إذا كان من تحب طالب مثلها وغير قادر على الزواج ؟

– يقول الله تعالى ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الذين لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حتى يُغْنِيَهُمُ الله مِن فَضْلِهِ﴾ [النور : ٣٣] .

والاستعفاف : طلب العفة ، واختيار طريق الفضيلة التى من وسائلها ما أشار إليه سبحانه فى قوله : ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ والمعنى : وعلى المؤمنين والمؤمنات " الذين لا يجدون نكاحا " أى : الذين لا يجدون الوسائل والأسباب التى توصلهم إلى الزواج بسبب ضيق ذات اليد ، أو ما يشبه ذلك ، عليهم أن يتحصنوا بالعفاف وأن يصونوا أنفسهم عن الفواحش ، وأن يستمروا على ذلك حتى يرزقهم الله تعالى من فضله رزقا ، يستعينون به على إتمام الزواج . وأول أسباب العفاف أن يغضَّ بصره حين يرى ، فلا يوجد له مُهيِّج ومثير ، فإنْ وجد في نفسه فُتوة وقوة فعلية أن يُلجمها ويُضعِفها بالوسائل الشرعية كما قال النبي ﷺ : " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ " و" الباءة " : نفقات الحياة الزوجية والصوم يعمل على انكسار هذه الشهوة ويُهدِّيء من شراسة الغريزة؛ ذلك لأنه يأكل فقط ما



يقيم أَوْدَه ، ولا يبقى في بدنه ما يثير الشهوة ، أن يُفرِّغ الشاب نفسه للعمل النافع المفيد الذي يشغله ويستنفد جَهْده وطاقته ، التي إن لم تصرف في الخير صرفت في الشر ، وبالعمل يثبت الشاب ذاته ، ويثق بنفسه ، ويكتسب الحلال الذي يُشجِّعه مع الأيام على الزواج وتحمُّل مسئولياته .

دقَّ الجرس وتوقَّف الأستاذ نبيل عن الكلام ، وبدأت الطالبات يتهامسن .

* * *

التفريق في الميراث

درسنا اليوم عن ...

- من فضلك يا أستاذ نكمل موضع الحصة الماضية .
- أي موضوع ؟
- موضوع الحب والزواج .
- ليس قبل أن نشرح درس اليوم ، ونستمع لبحث هاجر .

قالت بعض الطالبات باستعطاف : من فضلك يا أستاذ نكمل موضوع الحب والزواج .

- فقال الأستاذ نبيل بحزم الأب : ليس قبل أن نشرح درس اليوم ، ونستمع لبحث هاجر .
- ما تراه يا أستاذ .

الإيمان بالقرآن الكريم

قال الأستاذ نبيل : درسنا اليوم عن الإيمان بالقرآن الكريم . القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية فهو حافظ لها ومنظم لشئونها ومجدد لحركتها على مر الزمان ، وهو الحياة كالشمس للدنيا تتجدد بها الزروع والثمار والحياة ولن تستقيم الحياة بدونه .

والقرآن الكريم ليس شيئاً عارضاً لجيل من الأجيال وإنما هو صالح للإنسان حيث كان ، فالأمة الإسلامية أفراداً وجماعات ومؤسسات ودول إنما هي بالقرآن

ولن تكون بغيره ، والقرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم في كل شأن فلا غنى للإنسانية عنه في ضميرها وتفكيرها أو روابطها أو معرفتها بحكمة خالقها .

الحكمة من تفريق القرآن الكريم في الميراث

والآن نسمع لهاجر تقول لنا الحكمة من تفريق القرآن الكريم في الميراث .. تفضلي يا هاجر .

– إن مسئولية نفقة ورعاية وحماية النساء تقع في الإسلام على عاتق الرجال فمن حقوق المرأة : ابنة ، وأختاً ، وزوجة ، وأماً، النفقة والرعاية ؛ فالرجل سواء أكان أباً أو زوجاً أو أخاً أو ابناً مسئول عن الإنفاق عمن يعول لذا هو المطالب بالعمل والكدح لتحصيل رزقه ورزق من يعول " والرجلُ في أهلِه راعٍ وهو مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتهِ " [صحيح البخاري] والمرأة ليست مطالبة بالسعي والعمل خارج البيت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣] ويحدد النبي ﷺ مسئولية المرأة فيقول : " والمرأةُ في بيت زوجِها راعيةٌ وهي مسئولةٌ عن رعيَّتِها " [صحيح البخاري] .

لذا فالذَّكَر مُترقَّب دوماً للنقص من ماله، بعكس الأنثى فهي دوماً تترقَّب الزيادة في مالها : حينما يدفع لها المهر، وحينما ينفق عليها من قبل وليها . وللمرأة ذمة مالية خالصة ومدخرة، لتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات ، وبناء على ذلك فإن الشرع الحكيم جعل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث ؛ ففلسفة التشريع الإسلامي تقضي بأن تفاوت العبء المالي هو السبب في التفاوت في أنصبة الميراث .

– ما هذا الكلام الجميل يا هاجر !

– إنه ليس كلامي ، إنه من كلام د. محمد عمارة وغيره .

– أكملي يا هاجر .

– إن استعراض حالات الميراث في علم المواريث يكشف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين فيتضح منها، أن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرآة نصف الرجل ، وأكثر من ثلاثين حالة ترث فيها المرآة مثل الرجل تماماً، وهناك عشر حالات ترث فيها المرآة أكثر من الرجل ، بالإضافة إلى أن هناك حالات ترث فيها المرآة ولا يرث نظيرها من الرجال .

الحالات التي ترث فيها المرأة نصف الرجل

إن الحالات التي ترث فيها المرأة نصف الرجل قاصرة على أربع حالات فقط ولهذه الحالات ما يبررها في فلسفة الإسلام الحكيمة وهي :

الحالة الأولى : وجود البنت مع الابن لقوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ فالابن يرث ضعف البنت لأنه سيقوم مقام الأب المتوفَّى في وجوب الإنفاق عليها ورعايتها وتجهيزها إن لم تكن متزوجة ، أما إذا كانت متزوجة فإن نفقتها واجبة على زوجها ونصيبها من الميراث حق خالص لها كالمهر لا يترتَّب عليه أعباء ماليه إلا ما تتفضَّل به عن طيب نفس على غيرها ﴿وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء:٤] .

الحالة الثانية ، عند وجود الأب مع الأم ولا يوجد للمتوفى أولاد ولا زوجة لقوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء:١١] فهنا يكون للأم الثلث ويتبقى للأب الثلثان .

ونصيب الأم خالص لها تنفق منه كيف تشاء وتشارك الأب في نصيبه كذلك لأنه واجب عليه الإنفاق عليها لأنها زوجته ونفقتها واجبة عليه ، وما دام الله قد وسَّع عليه – بعد الميراث – فيجب عليه أن يوسع على زوجته وأولاه ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطَّلاق:٧] .

الحالة الثالثة : فهي وجود الأخ مع الأخت لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:١٧٦] وحكمة ذلك هي نفس الحكمة ميراث البنت مع الابن (الحالة الأولى) .

أما الحالة الرابعة : إذا مات الزوج فالزوجة ترث الربع إن لم يكن لها ولد وإذا كان لها ولد ترث الثمن ، أما إذا ماتت الزوجة فيرث الزوج النصف إذا لم يكن له وإذا كان له ولد فيرث الربع ، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء:١٢] والحكمة هي أن نصيب الزوجة خالص لها ونفقتها واجبة على أبنائها الذكور إن كان لها أولاد ذكور فإن لم يكن لها أولاد فنفقتها على أبيها أو أخيها أو على زوجها إن تزوجت مرة ثانية . أما الزوج فإنه ملزم بالإنفاق على أولاده إن كان له أولاد وعلى زوجته إن تزوج بعد ذلك .

الحالات التي ترث فيها المرأة مثل الرجل

أما الحالات التي ترث فيها المرأة مثل الرجل فهي تعدت الـ٣٠ حالة ، من أمثال هذه الحالات : حالة ميراث مع الأم عند وجود ابن أو بنت ، وكذلك ميراث الأخوة أو الأخوات من جهة وأيضاً تتساوى المرأة مع الرجل في حالات انفراد أحدهما بالميراث .

الحالات التي ترث فيها المرأة أكثر من الرجل

والحالات التي ترث فيها المرأة أكثر من الرجل هي :

إن أكبر فروض الميراث في القرآن الكريم هو الثلثان ، وهذه النسبة لا يحصل عليها رجل ، فهي نسبة مخصصة للنساء فقط في أربع حالات وهي للبنتين أو بنت الابن أو للأختين .

ونسبة النصف في الميراث لا يحصل عليها من الرجال إلا الزوج عند عدم وجود ورثة آخرين ، وهذه النسبة تعطى لأربع نساء هن ، البنت الواحدة ، وبنت الابن الواحدة ، الأخت الشقيقة الواحدة والأخت لأب الواحدة.

ونسبة السدس تُأْخذ في ثماني حالات منها ثلاث فقط للرجال وهي : الجد والأخ لأم والأب ، خمس للنساء هي : الأم والجدة ، بنت الابن والأخت لأب ، والأخت لأم .

- أشكرك يا هاجر ، وأظن بعد هذا البيان لا تجرؤ امرأة على القول بأن الله قد ظلمها في الميراث .

عقاب من يأكل ميراث النساء

قالت سارة : ولكن كثيراً من الرجال يأكلون ميراث أخواتهم وزوجاتهم وبناتهم ، ولا ينفقون عليهن النفقة المناسبة .

- إن هؤلاء متعدُّون لشرع الله ينتظرهم عذاب شديد من الله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:١٤] .

ولا شك أن من مَنعَ امرأة : أختاً كانت ، أم أماً، أم جدة أم زوجة ميراثها فقد تعدى حدود الله، وتعرض لعقوبته، والله قد قسم الميراث قسمة عدل لا جور فيها ولا حيف. والله عليم بما يفعل هؤلاء الظالمون ومن تأمل الآيات الثلاث الواردة في تفصيل أنصبة الورثة يرَ أنها جميعا ختمت بصفة العلم ففي الآية الأولى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١] وفي الآية الثانية:﴿وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢] وفي الآية الثالثة: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء:١٧٦] .

وعلى من ظلمت في ميراثها أن تلجأ إلى القضاء لتأخذ حقها كاملاً .

بقي أن نوضح الميراث عن غير المسلمين .. يعدُّ لنا بحثاً في هذا الموضوع ؟

رفعت بعض الطالبات أيديهن .

فقال الأستاذ نبيل : حبيبة .. هل تستطيعين إعداد هذا البحث ؟

- إن شاء الله يا أستاذ .

قالت عبير : ومتى سنكمل موضوع الحب يا أستاذ .

- أعدك في أقرب فرصة سنناقش هذا الموضوع مرة ثانية .

***

مناظرة حول ميراث المرأة

مقاصد القرآن الكريم

نكمل اليوم درس الحصة الماضية " الإيمان بالقرآن الكريم " ونتحدث عن مقاصد نزول القرآن الكريم : أنزل الله تعالى هذا القرآن الكريم على قلب رسول الله مُنجَّماً (مُفرَّقاً) ليربي به أمة مؤمنة بالله وبرسوله ملتزمة بأحكام الإسلام موحدة في عقيدتها ؛ وليقيم به دولة ربانية عالمية تستوعب جميع الألوان والأجناس وتدور مقاصد القرآن الكريم حول امور ثلاثة :

١- العقيدة : وهي توحيد الله تعالى وتطهير النفس من الشرك ومن الجهل والضلال .

٢- الأخلاق : وهي تهذيب النفس وكبح جماحها والعمل على بلوغ النفس أرقى معارج الرقي الخلقي والديني .

٣- الأوامر والنواهي : وهي ما بينه الله تعالى في كتابه من أوامر ونواهٍ ، وما بينه من أصول ونُظُم .

فالقرآن الكريم كتاب هداية ، وهدايته تتناول كل ما يصلح الإنسان في الدنيا والآخرة ، وفي عقيدته وشريعته ،وفي شئونه الفردية والجماعية ومن تلك المحتويات :

- الأحكام المتعلقة بالعقيدة :وعلى رأسها الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر .

- الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين : وهي الأحكام الشرعية العملية التي اشتمل عليها القرآن الكريم والتي تدخل في اختصاص علم الفقه ، وهي تنقسم إلى نوعين :

أ- العبادة : كالصلاة ، والزكاة ، والصوم والحج .

ب- المعـاملات : كالمعـاملات الماليـة وأحكـام الأسـرة والقـضاء والتـشريع والجنائز .

نكتفي بهذا القدر ونعود إلى حبيبة .. هل أعددت البحث عن الميراث عند غير المسلمين .

- نعم ..

ملاحظة حول التفرقة في الميراث بين الرجل والمرأة

قالت سارة : لو سمحت يا أستاذ كان لي بعض الملاحظات على بحث هاجر الحصة الماضية والوقت لم يسمح بمناقشتها .

- ما تلك الملاحظات يا سارة ؟

- تحدثت هاجر عن التفرقة فى الميراث بين الرجل والمرأة وذكرت حالات فى الشرع ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، فى حين أن نقطة الخلاف الأساسية هى التفرقة بين شخصين على نفس الدرجة "أخ وأخت" لأن الأول ذكر والثانية أنثى .

- قومي يا هاجر ردي على سارة .

- يا سارة نظام الميراث في الإسلام متكامل فريد لدرجة أن الإخوة المسيحيين في مصر فضَّلوه على ما جاء في التوراة التي يستمدُّون منها شريعتهم ، والرجاء إعادة قراءة ما جاء في البحث الذي أعددته عن الميراث .

وأخرجت هاجر بحثها وأعطته لسارة .

قال الأستاذ : أريد أن أطلب منك طلباً وأنتِ تقرئين البحث ، وهو أن تُعْملي عقلك وتنزهي نفسك عن الهوى فإن فعلت ذلك فأنا على ثقة من أنك ستتفقين مع هاجر في بحثها .

– ولكي تتضح قيمة شريعة الإسلام في تكريم المرأة سوف تذكر لنا حبيبة ما أعطته الشرائع الأخرى للمرأة من حق في الميراث .

نظرة على ميراث المرأة في الشرائع الأخرى

– الميراث في الكتاب المقدس للذكور فقط: "١٥إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لهُ بَنِينَ المَحْبُوبَةُ وَالمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الاِبْنُ البِكْرُ لِلمَكْرُوهَةِ ١٦ فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لهُ لا يَحِلُّ لهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ المَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلى ابْنِ المَكْرُوهَةِ البِكْرِ ١٧ بَل يَعْرِفُ ابْنَ المَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لهُ حَقُّ البَكُورِيَّةِ" (تثنية ٢١: ١٥–١٧)

ولا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور: "١ فَتَقَدَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ ... ٢ وَوَقَفْنَ أَمَامَ مُوسَى ... قَائِلاتٍ: ٣ أَبُونَا مَاتَ فِي البَرِّيَّةِ ... وَلمْ يَكُنْ لهُ بَنُونَ. ٤ لِمَاذَا يُحْذَفُ اسْمُ أَبِينَا مِنْ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ لأَنَّهُ ليْسَ لهُ ابْنٌ؟ أَعْطِنَا مُلكًا بَيْنَ أَعْمَامِنَا». ٥ فَقَدَّمَ مُوسَى دَعْوَاهُنَّ أَمَامَ الرَّبِّ. ٦ فَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: ٧ (بِحَقٍّ تَكَلمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ فَتُعْطِيهِنَّ مُلكَ نَصِيبٍ بَيْنَ أَعْمَامِهِنَّ، وَتَنْقُلُ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ إِليْهِنَّ. ٨ وَتَقُول لِبَنِي إِسْرَائِيل :أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَليْسَ لهُ ابْنٌ تَنْقُلُونَ مُلكَهُ إِلى ابْنَتِهِ. ٩ وَإِنْ لمْ تَكُنْ لهُ ابْنَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لإِخْوَتِهِ. ١٠ وَإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لأَعْمَامِهِ. ١١ وَإِنْ لمْ يَكُنْ لأَبِيهِ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلكَهُ لِنَسِيبِهِ الأَقْرَبِ إِليْهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَيَرِثُهُ). فَصَارَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيل فَرِيضَةَ قَضَاءٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى" (عدد ٢٧: ١–١١)

وقد نصَّت المادة ٢١٧ من القانون الفرنسي على ما يلي: " المرأة المتزوجة – حتى لو كان زواجها قائمًا على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها – لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية." .

وظلَّت المرأة في القانون الإنجليزي تباع من زوجها لآخر بـ ٦ بنسات، واستمرَّ هذا القانون ساريًا حتى عام ١٨٠٥م، فيما اعتبر قانون الثورة الفرنسية المرأة

قاصرًا كالصبي والمجنون، ومنعها من التصرف في ممتلكاتها إلا بوصاية أحدهم عليها، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م.

وفي الغرب الآن يختلف حكم التوريث من بلد لآخر. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، للموَّرث الحق في ترك وصية بكامل ما يملك لمن أراد سواء أكان قريباً أم غريباً أو حتى حيواناً فيما يمكن أن يُحْرَم الأبناء كليّاً من أي شيء في الميراث. لكن بشكل عام، فإن نصف ميراث الزوج يذهب للزوجة ونصف ميراث الزوجة يذهب للزوج ، والنصف الآخر يتوزع بالتساوي بين الأبناء لا فرق بين ذكر وأنثى. هذا في العصر الحديث، ويشار إليه بقانون نابليون في التوريث، ولكن في سابق عهد نابليون بونابرت كان الإرث يذهب بالكامل للابن الأكبر سنّاً ولا شيء للباقي، طبعاً كقاعدة عامة وهذا مازال معمولاً به في معظم دول الغرب فالابن الأكبر هو الذي يرث التركة كلها " .

قالت سارة : بمناسبة تخصيص الميراث للابن البكر فقد قرأت أنه كان أمراً شائعاً فى الدول الزراعية وذلك ليس تفضيلاً للابن البكر ولا اضطهاداً لباقى إخوته ولكنه كان بغرض عدم تفتيت الملكية الزراعية وأراضى الأسرة وكان الابن البكر ملزم بالانفاق على إخوته وأخواته .

قال الأستاذ نبيل : من يرد على سارة ؟

قالت هاجر : ومن قال لك إن الذَّكَر عندما يأخذ ضعف أخته فإن هذا يعني تفضيل الذكر على الأنثى ؟! هو أخذ ضعفها لأنه ملزم بالأنفاق عليها كما قلت الحصة الماضية .

قال الأستاذ نبيل : إن الذين جعلوا المرأة كالرجل في تحمُّل الأعباء المالية جنوا على المرأة ....

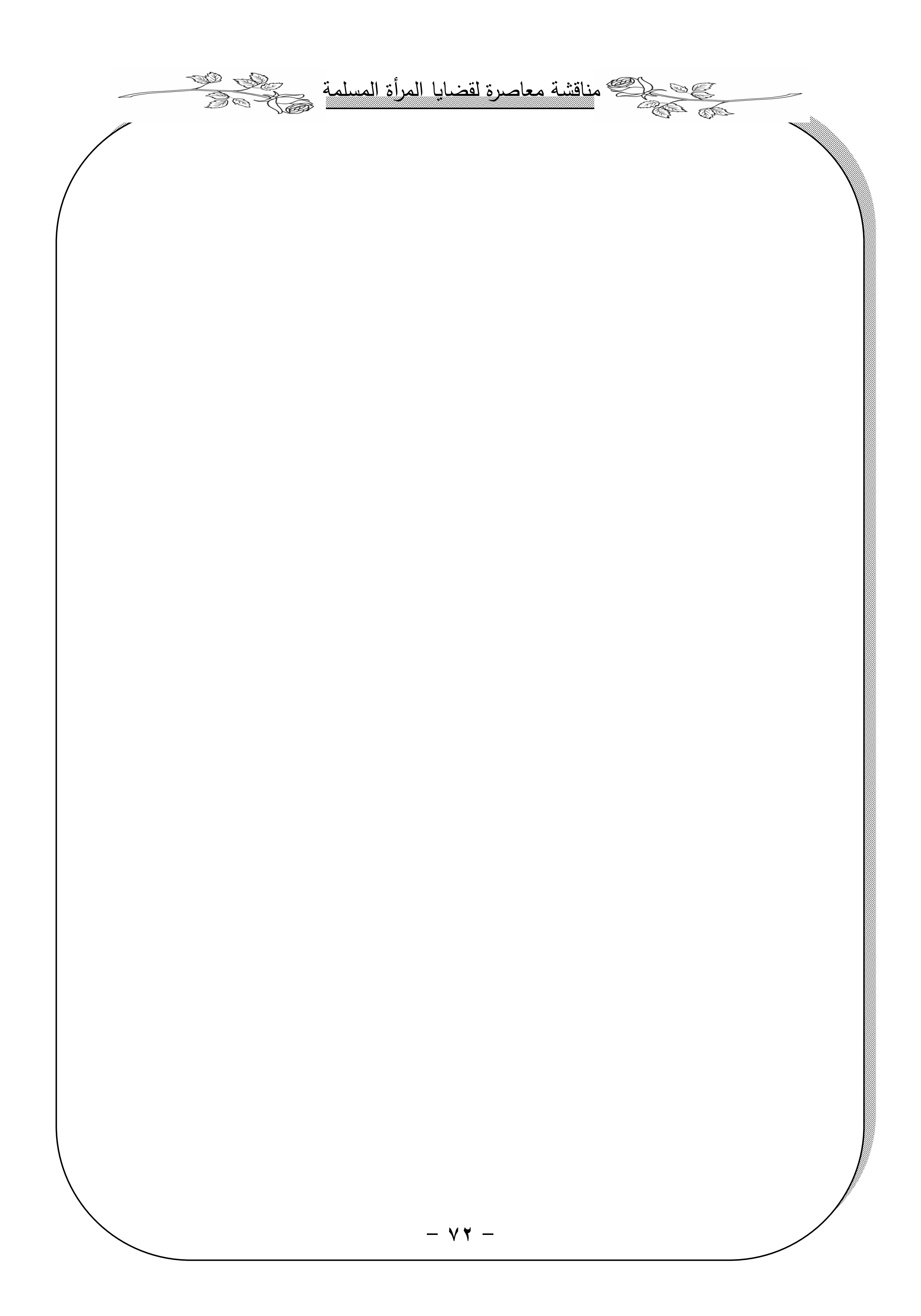
دق جرس الحصة فقال الأستاذ نبيل : نكمل في حصة تالية فأنا عندي حصة الآن في المبنى الثاني في الدور الأخير .

- ما موضوع نقاش الحصة القادمة يا أستاذ .
- ما رأيكن في المقارنة بين المرأة في الإسلام والمرأة في الغرب ؟

قالت سارة : جميل يا أستاذ أنا سوف أمثِل المرأة في الغرب .

- ومن يمثل وضع المرأة في الإسلام ؟
- فلتكن منار هذه المرة حتى تتاح الفرصة للجميع .

***



المرأة الغربية والمرأة المسلمة

أدب الحوار مع الآخر

درسُنَا اليوم عن أدب الحوار مع الآخر . دعا إبراهيم أباه آزر إلى ترك عبادة الأصنام والتوجُّه بالعبادة إلى الله وحده ، ولكنَّ أباه لم يستجب له ، بل توعَّده بالرجم والطرد ، فما كان من إبراهيم إلا أن وعده بالاستغفار له قال الله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم ٤١- ٤٧] .

وفي الآيات كثير من العبر التي يتعلمها الأبناء في تعاملهم مع الآباء :

١- أدب الحاور الذي اتبعه إبراهيم في خطابه لأبيه .

٢- الرفق واللين ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه .

٣- براعة الداعية تكمن في قدرته على الإقناع وهذا يتحقق عندما ينجح في جعل محاوره يعترف له بما هو عليه من خطأ وإثارة عقله للتفكير في دواعي بطلان موقفه .

٤- قدرة المحاور على إقناع المحاور له بحياديته وتواضعه فيما يدعوه إليه .

والآن نحاول أن نطبِّق هذه التعاليم في مناظرة اليوم .

طرفا المناظرة هل أنتما مستعدتان ... سارة

- مستعدة .. يا أستاذ لأمثِّل المرأة الغربية .
- منار .
- مستعدة .. يا أستاذ لأتحدث باسم المرأة المسلمة .
- تفضلي يا منار .

مناقشة حول وضع المرأة الغربية

– في المجتمعات الغربية قد جاروا على طبيعة المرأة فلم تتحوَّل لرجل ولم تعد امرأة ، وانشطرت الأسرة بل لم يعد لها وجود فكل واحد يعيش لنفسه ولا علاقة له بغيره إلا إذا احتاج إليه أو كان بينهما مصلحة .

لقد فقدت المرأة مزاياها التي ميزها الله تعالى بها عن الرجل وصار النوعان نوعاً واحداً ، ولو كان هذا هو الأصلح للبشرية لما خلق حواء ولاكتفى تعالى بخلق آدم وجعل التناسل عن طريق الاستنساخ بدلاً من الزواج .

إن النظرة المنصفة للمرأة في الغرب تؤكِّد الظلم الشديد الواقع عليها فقد أجبروها على العمل في كل مجال كالرجل ورفعوا عن كاهل الرجل : أباً ، وزوجاً ، وابناً ، وأخاً تحمل نفقتها والعناية بها وحمايتها ، وتفننوا في زينتها وعريها من أجل إشباع غرائزهم وشهواتهم وجرَّدوها من إنسانيتها فصارت جسدًا بلا روح وكيانًا بلا حياة ، ومتى كبر سنها وفقدت جمالها وشبابها تلقى هوان والإهمال فلم يعد لهم بها حاجة. لقد حوَّل هؤلاء باسم التقدم المرأة من إنسان كالرجل إلى سلعة رخيصة يتمتع بها كل أحد .

قالت سارة : تتحدَّث منار عن الظلم الواقع على المرأة فى الغرب نتيجة إجبارها على العمل فى كل مجال كالرجل، وذلك غير صحيح فلم يجبرها أحد على العمل لا فى كل مجال ولا فى أى مجال بل تركوا لها الخيار لتفعل ما تراه الأفضل لها.

سكتت منار ولم تجب على اعتراض سارة .

قال الأستاذ نبيل : اسمحا لي أن أتدخَّل في هذا الحوار الشيق وأجيب عن تساؤل سارة .

قالت سارة مازحة : لا .. أنا أناظر سارة ، ولا أناظر حضرتك .

– إن كنت واثقة مما تدْعين إليه فلا يهمك من يناظرك .

– تفضل يا أستاذ ، وأمري إلى الله .

– قلتِ إن المجتمع الغربي لم يجبر المرأة على العمل وهذا حق ، ولكن الإجبار هنا ليس المقصود به إجبارهن بالقوة على العمل ، إنما المقصود به تمهيد السبل للوصول إلى هذه النتيجة ، فما هي النتيجة المتوقعة عندما يتخلَّى الأب – غالباً – عن الإنفاق على ابنته التي بلغت الثامنة عشرة فماذا تفعل ؟ وعندما تكون نسبة الزواج التجريبي – دون عقد زواج – حوالي ٣٠ % ؟ وعندما يكون الزواج الرسمي يُبْنَى على وجوب مشاركة الزوجة في الإنفاق بنسبة النصف لذا عندما يحدث طلاق فإنها تأخذ نصف ثروة الزوج ؟ وعندما يُقَّر الزواج المثلي؟ يا بنتي إن النظام الاجتماعي في أوربا وأمريكا الذي تفاخرين به دمَّر المرأة والأسرة بتحطيم مؤسسة الزواج وبالتالي تحطيم الأسرة والعزوف عن الزواج ، وتفشي البغاء والبغايا ، والزنا ، والتحرش ، والاغتصاب ، وأطفال السفاح .

– وهل البلاد الإسلامية خالية من البغايا والزنا والتحرش والاغتصاب وأطفال السفاح ؟!

– بالطبع لا .. لكن ما نسبة هذه الجرائم بين المسلمين ونسبتها في الدول العلمانية علماً بأن الإسلام يحرِّم كل هذا ويضع له عقوبات رادعة في الدنيا ويتوعَّد صاحبه بأشد العذاب في الآخرة .

وأخيراً يا سارة أنا أثق في قدرتك على الاختيار بين وضع المرأة في الإسلام وبين وضع المرأة في الديانات والشعوب الأخرى .

- أنا لا أعترض على الإسلام يا أستاذ إنما ....

- أنا أعلم أنك لا تعترضين على الإسلام يا سارة إنما على سلوك المسلمين فتعالي بنا نغير سلوك المسلمين الخاطئ ونحيي قيم الإسلام النبيلة بدلاً من رمي الإسلام بأخطاء المسلمين .

- أريد أن أسألك عن الحكمة في التفريق بين الشهادة بين الرجل والمرأة .

دق جرس الحصة .

قال الأستاذ نبيل : من يبحث لنا سؤال سارة .

رفعت بعض الطالبات أيديهن وقلن : أنا .. أنا .. أنا ...

قال الأستاذ وهو يبتسم : داليا .. مع أني أحس أنها ستضيِّع القضية ؛ فإن لها ميولاً علمانية .

ضحكت الطالبات وقالت داليا : اطمئن يا أستاذ سأكسب القضية من أول جلسة.

***

التفريق في الشهادة

الإيمان باليوم الآخر

حصة اليوم عن الإيمان باليوم الآخر وبيوم القيامة وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب . والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ولا يكون الإنسان صحيح الإسلام إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بأن هذه الحياة الدنيا بما فيها ومن فيها ستنتهي في الوقت الذي يريده الله تعالى ، وستعقبها حياة أخرى هي الحياة الباقية الدائمة .

والاعتقاد باليوم الآخر ضروري لحياة الإنسان الطيبة ؛ حتى تطمئن نفسه بأن وراء الحياة حكمة ، وأن الدنيا مصيرها إلى زوال ، والله تعالى أمرنا أن نعمر حياتنا بإخلاص العبادة له ، والأقوال والأعمال الصالحة من إعمار الأرض ، وتنميتها ، وتعاون يعود بالخير على الفرد والمجتمع ، وسوف نلقى جزاء أعمالنا خيراً أو شراً ، فإن لم نلقه في الدنيا فالجزاء مضمون في الآخرة قال تعالى : ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

نبدأ الآن مناظرة اليوم .

- لكن سارة غائبة اليوم يا أستاذ .

وقالت داليا : أنا حاضرة ومستعدة يا أستاذ .

- هل نؤجل المناظرة إلى الحصة القادمة أما نعقدها اليوم ؟

- اليوم يا أستاذ .. اليوم يا أستاذ .

- ومن يقوم بدور سارة ؟

لم ترفع طالبة يدها . كرر الأستاذ السؤال ، وأخيراً قالت شروق مع إني لا أوافق سارة في كثير من آرائها إلا أني موافقة على أن أقوم بدورها اليوم .

- أتذكرين ما سؤال سارة الذي سألته الحصة الماضية ؟
- نعم يا أستاذ .. إنها كانت تسأل عن الحكمة من التفريق في الشهادة بين الرجل والمرأة .
- وأنت يا داليا ما هو ردُّك عن هذا التساؤل ؟

قالت داليا : يقول تعالى في آية الدِّين ...

آية الدَّين بفتح الدال .. أنا قلت أنا غير مطمئن لك يا داليا .

يقول الله تعالى في آية الدَّين : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

- ﴿تَرْضَوْنَ﴾ بفتح الضاد وليس بضمها ، ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بفتح الذال ، وتضعيف الكاف وفتحها وليس فتذْكُر بتسكين الذال وضم الكاف .

ثم قرأ الأستاذ نبيل الآية قراءة صحيحة .

قالت داليا : يبين الله تعالى علَّة جعل المرأتين بمنزلة رجل واحد في الشهادة بقوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ أي حذَّر أن تخطئ إحداهما لعدم ضبطها وقلَّة عنايتها فتذكِّر كل منهما الأخرى بما كان ، فتكون شهادتها متممة لشهادتها.

لماذا اختصَّت المرأة بعدم ضبط الشهادة ؟

قالت شروق وهي تمثل طريقة سارة في الكلام والحركة : ولماذا اختصَّت المرأة بالخطأ وعدم الضبط وقلة العناية ، أليس هناك من الرجال من يخطئون ولا يضبطون بل إن منهم من يشهد زوراً ؟!

ضحكت الطالبات وصفقوا لإجادة شروق تقليد سارة بالضبط .

قال الأستاذ بحزم : احذري أن تكوني من المستهزئين يا شروق فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات:١١] .

– ولا والله يا أستاذ ليس سخرية فأنا أحب سارة وهي من أعز صديقاتي لكن أردت بتقليدها أن أقول : هذا هو رأيها وليس رأيي .

– عذر مقبول يا شروق . والآن ما ردك يا داليا .

– ....

قال الأستاذ مازحاً : ألم أقل إنك ستضيعين القضية .. هل هناك ردٌّ عند إحداكن.

– ....

– أنا مضطر لأن أردَّ والحمد لله أنَّ سارة غير موجودة ربما منعتني هذه المرة من الردِّ .

ضحكت الطالبات وأكمل الأستاذ : أثبت العلم الحديث أن المرأة الحامل تصاب ذاكرتها بالضعف والاضطراب أثناء الحمل وربما تعاني من ضعف الذاكرة لمدة عام كامل أحياناً بعد الولادة بسبب تناقص في عدد خلايا الذاكرة.

قالت شروق وقد تخلَّت عن تقليد سارة وإن كانت تتحدث بلسانها : أنا أعلم أن الحمل يؤدى الى حالة عامة من الإرهاق ولكن الأمر ليس كارثى والنساء فى مختلف أنحاء العالم يعملن في المحاسبة والهندسة والتدريس فى فترة الحمل وما تلاها ولم تَحْرِم أى دولة محترمة المرأة من حقِّ العمل أو من الشهادة لكونها حاملاً ، بل على العكس يمكن أن القول أيضاً إن مريض السكر يعانى من اختلال الذاكرة فهل نطالب بحرمان مريض السكر من حقوقه المدنية ؟!

قال الأستاذ نبيل مازحاً : لقد تقمَّصت دور سارة تماماً ، وربما لو كانت سارة موجودة ما زادت على قولك شيئاً .

نظر الأستاذ إلى داليا وقال وهو يضحك : وما ردُّك يا داليا فيم تقول شروق .. أقصد سارة ؟!

– .....

فأكمل مازحاً : أنا كنت أعرف أنك لن تصمدي في هذه المناظرة ، أنت تخصص أزياء ، وأفلام ، ومسلسلات ، وأغاني ..

ضحكت الطالبات ، وقالت داليا وهي تضحك : أنت ورطتني يا أستاذ في موضوع صعب ، ولو كنت قد كلَّفت أي طالبة من اللاتي يضحكن الآن لما استطاعت الإجابة أيضاً ...

– هل عند إحداكن إجابة عن سؤال شروق ؟

عبد الله وعبد الحكمة

قالت هاجر : الله تعالى عندما يشرِّع شيئاً فحتماً يكون هذا التشريع لحكمة بالغة سواء علمناها أو لم نعلمها ؛ فالله تعالى لا يظلم خلقه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

وقالت منار : لا ينبغي للمؤمن أن يعترض على شرع الله تعالى بدعوى أنه لا يعرف الحكمة منه ، وسمعت من الأستاذ الدين العام الماضي يقول : إن من لا ينفذ أوامر الله تعالى إلا إذا أدرك الحكمة منها فإنه يكون عبداً للحكمة وليس عبداً لله .

قال الأستاذ : نعم نحن مطالبون بتنفيذ أمر الله ، وإن خفيت علينا الحكمة منه، ولكن يجب علينا البحث عن الحكمة في التشريعات الإلهية على الأقل للرد على من يطعن في الدين .

الحكمة من التفريق بين شهادة الرجل والمرأة

قالت شروق مازحة : وما نتيجة بحثك يا أستاذ عن الحكمة في التفريق بين شهادة الرجل والمرأة ؟ أليس ذلك انتقاصاً لقدر المرأة ؟

– لا يظنن أحدٌ أن في ذلك انتقاصاً لقدر المرأة ، بل هو تنزيهٌ لها عن ترك مهمتها الأساسية في التربية والقرار في البيت، إلى مهمة أقل شأناً وسمواً، وهي

ممارسة التجارة والمعاملات المالية! فمن المعلوم أن الشهادة على الديْن من المعاملات المالية التي تتم خارج البيت والمرأة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها ، فلذلك تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ولا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها ، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل ، يعني أن من طبع البشر ذكراناً وإناثاً أن يقوى تذكرهم للأمور التي تهمهم ويكثر اشتغالهم بها .

الحالات التي تكون شهادة المرأة مثل شهادة الرجل

وليعلم أن هذا الحكم . أعني كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل .

ليس مطرداً في جميع الأبواب، بل إن شهادة المرأة مثل شهادة الرجل في بعض الأحكام، كشهادتها في دخول شهر رمضان، وفي باب الرضاع، والحيض، والولادة، واللِّعان وغير ذلك من الأحكام.

والسياق الذي ورد فيه هذا الحكم سياق يعنى بتحقيق العدل ورعاية المصلحة العامة للناس ، ولا علاقة له بتفضيل الرجل على المرأة لأن عملية التفضيل هذه قد حسمها الله تعالى فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣] وقول النبي ﷺ في خطبة الوداع " يا أيها الناسُ ! إنَّ ربَّكم واحدٌ ، وإنَّ أباكم واحدٌ ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ، ولا لأحمرَ على أسودَ ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكُم، ألا هل بلَّغتُ ؟ قالوا : بلى يا رسولَ اللهِ قال : فيُبَلِّغُ الشاهدُ الغائبَ "

[صححه الألباني] .

قالت شروق وقد استهواها المراء والجدل : إن الحيض والحمل ليسا إعائقين عن أداء الشهادة ، نعم .. قد يسببان بعض الإرهاق والتعب لكن الأمر يبقى تحت السيطرة .

دق جرس الحصة أثناء كلام شروق فقال الأستاذ مازحاً : نكمل الموضوع الحصة القادمة إن شاء الله ، وأتمنى أن تعود سارة إلينا بالسلامة لترحمنا من جدل شروق البيزنطي .

ضحكت الطالبات ، وخرج الأستاذ .

***




مناقشة حول شهادة المرأة

معنى الجدل البيزنطي

ما إن دخل الأستاذ نبيل الفصل حتى صاحت الطالبات : لقد حضرت سارة يا أستاذ ، والحمد لله .

ابتسم الأستاذ وقال : الحمد لله سوف نرحم اليوم من جدل شروق البيزنطي .

- ما معنى الجدل البيزنطي يا أستاذ ؟

- كان الفلاسفة يتجادلون في بيزنطة وهي من المدن اليونانية، أيهما الأصل الدجاجة أم البيضة؟ فاختلفوا في هذا على قولين، في الوقت الذي كانت فيه خيول الأعداء على مشارف المدينة؛ حتى سقطت، وجاء الأعداء إلى هؤلاء الفلاسفة وعرَّفوهم عمليّاً أيهما كانت أول الدجاجة أم البيضة؟ فكانوا في أيدي أعدائهم كالدجاج، لماذا؟ لأنهم شغلوا وقتهم في جدل عقيم، لا جدوى من ورائه، في الواقع هذا الجدل البيزنطي، ما أكثره في واقع المسلمين ! دعونا يا بناتي من الجدل العقيم واحرصن يا بناتي على المناقشة المفيدة البنَّاءة . أو المجادلة بالتي هي أحسن كما قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥] .

أيهما خلقت أولاً الدجاجة أو البيضة ؟

قالت شروق مازحة : بالمناسبة يا أستاذ أيهما كانت أولاً الدجاجة أم البيضة ؟

ضحكت الطالبات وقال الأستاذ نبيل وهو يضحك : رغم أن هذا السؤال من الجدل البيزنطي إلا أني سأجيبك عنه يا شروق على أن يكون هذا آخر سؤال في هذا النوع من الجدل ...

- وهل لهذا السؤال إجابة ؟!!
- نعم ..
- فإيهما وُجِدَ أولاً : الدجاجة أم البييضة ؟
- لا هذا ، ولا ذاك ...
- الديك إذن .

ضحكت طالبات وقال الأستاذ نبيل : انتظري قليلاً حتى تعرفي الإجابة يا شروق .. الحقيقة إن الله خلق كل شيء زوجين قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩] من الإنسان، والحيوان، والطير، وغير ذلك، بل إن بعض العلماء المعاصرين عمموا لفظ كل شيء مطلقاً، فقالوا : حتى الجمادات قائمة على أساس قاعدة الزوجية، وخرجوا من هذا إلى بيان أن الله تعالى تفرَّد بالوحدانية، وجعل من صفات خلقه الزوجية، فما من مخلوق من إنسان، أو حيوان، أو طير، أو جماد، إلا وفيه مبدأ الزوجية، أما الله تعالى فهو الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

قالت شروق مازحة : لم أفهم ، أيهما خلق أولاً البيضة أم الدجاجة ؟!!

قالت الطالبات وهن يضحكن : الديك والدجاجة خلقا معاً يا شروق .. الديك والدجاجة معاً .

قال الأستاذ مازحاً : الدجاجة والديك حتى لا تتهمينا بتفضيل الديك على الدجاجة !!

يكفي هذا ونعود إلى درس اليوم ، ودرسنا اليوم عن العلم في الإسلام .

قالت سارة : هذا درس قديم يا أستاذ درسناه كثيراً في الابتدائية ، والإعدادية نكمل موضع التفريق في الشهادة بين الرجل والمرأة .

– لقد تحدثنا عنه في الحصة الماضية ، وأدَّت شروق الواجب نيابة عنك وزيادة .

– ولكني لم أكن موجودة ، ولم أسمع شيئاً .

– قولي لها يا شروق ما حدث الحصة الماضية .

هل هناك علاقة بين الحمل والولادة وشهادة المرأة ؟

– سأقول لها بعد الحصة ، ولكن أريد أن أعرف إجابة السؤال الذي سألته الحصة الماضية .

– ما هو ؟

– أنه لا علاقة بين الحمل والولادة وشهادة المرأة .

– ولكن هذه إجابة وليست سؤالاً ...

قالت داليا : دعني يا أستاذ أن أردَّ على شروق فقد بحثت في هذا الموضوع وتوَّصلت إلى نتيجة أريد أن أقرأها عليكم .

– تفضلي يا داليا .. وإن كنت غير مطمئن لك .

– اطمئن يا أستاذ ، لقد أعددت الموضوع جيداً هذه المرة .. ذكرت الرابطة الأمريكية لعلم النفس أن الباحثين بجامعة شابمان في كاليفورنيا وجدوا أن أدمغة النساء تتغيّر خلال الحمل لكي تتمكن من التركيز على حاجات المولود...

قالت شروق : قبل أن تكملي حديثك يا داليا هل لك أن تذكري لنا اسم المرجع الذي رجعت إليه فليس كل ما ينشر في " الإنترنت " كله صحيح ؟

قال الأستاذ : وأنا أتفق مع شروق في هذا .

قالت داليا : هذا الكلام نقلاً عن دار الخليج بتاريخ ٨ / ١ / ٢٠١٢ .




– شكراً يا داليا أكملي .

– وقالت الباحثة المسئولة عن الدراسة لورا غلين، إن هذه التغييرات قد تأتي نتيجة التقلبات الكبيرة في هرمونات المرأة، والتحركات البسيطة للجنين .

أضافت أن الحمل يعد فترة حرجة لتطوّر الجهاز العصبي المركزي عند الأمهات. وذكرت أن خلايا من الجنين تتسرب إلى مجرى الدم عند الأم ما يؤثر في طريقة عمل دماغها .

وذكر علماء من أستراليا أن الأبحاث قادتهم لإثبات صحة هذه الظاهرة، التي قالوا إن تأثيرها محدود ويشمل التفاصيل غير المعتادة أو الملحّة .

وقالت جوليا هنري، وهي إحدى العاملات على البحث من جامعة نيوساوث ويلز بسيدني: ما وجدناه هو أن المجهود الذهني المرتبط بتذكر تفاصيل جديدة أو أداء مهام متعددة المراحل، يصاب باضطراب .

وأضافت: قد تعجز الحامل مثلاً عن تذكّر رقم جديد، لكنها ستستعيد بسهولة الأرقام القديمة التي كانت تطلبها على الدوام .

وأضافت هنري أنها قامت بمساعدة الدكتور بيتر ريندل، بوضع هذه الدراسة بالاعتماد على تحليل ١٢ بحثاً شمل مسحاً لقدرات النساء الذهنية قبل الولادة وبعدها، وأشارت النتائج إلى احتمال استمرار حالة الاضطراب هذه بعد الولادة لعام كامل أحياناً، من دون أن تؤكد أن الوضع يتحسن بعد تلك الفترة بسبب الحاجة إلى المزيد من الأبحاث.

همَّت شروق بالحديث فقال الأستاذ : لتتحدث سارة فهي صاحبة القضية .

قالت شروق : ولكني عندي رد .

قالت سارة : أنا أتنازل عن حقي في الردِّ لشروق .

كيف تكون شهادة الوزيرة نصف شهادة البواب ؟

قالت شروق : كيف تريد أن تقنعني يا أستاذ بأن شهادة الوزيرة أو السفيرة أو أستاذة الجامعة نصف شهادة البواب ، والشحات ، وعامل النظافة مثلاً لمجرد أنهن نساء ، والآخرون رجال !! كيف تريدنى أن أقتنع بأن هذا أفضل مما لدى الغرب الذي تتولى فيه المرأة رئاسة البنك الدولى ، كما ترأس كلاً من المانيا وبريطانيا امرأتان وغيرهما من دول العالم التى تتولى فيها المرأة كافة المناصب وهنا يحرمها الرجال من حقوقها بدعوى التكريم المضحكة !!

- هل عندك ردٌّ يا داليا ؟
- لا .. يا أستاذ .. أجب حضرتك .

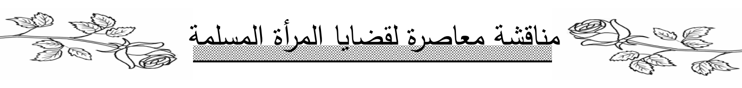
– إن معرفة طبيعة المرأة أثناء الحمل أو الحيض ليس تقليلاً من شأنها فهذا لا دخل لها فيه إنما هي إرادة الله التي كتبها عليها ورتَّب عليها تكريماً عظيماً يلي عبادة الله تعالى مباشرة .

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾
[الإسراء:٢٣] .

وأتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: " يا رسولَ اللهِ، أرَدْتُ الغَزْوَ وجِئْتُك أَسْتَشِيرُك ؟ فقال: هل لك مِن أمٍّ ؟ قال: نعم. فقال :الزَمْها؛ فإن الجنةَ عند رِجْلَيْها."
[صححه الألباني]

ولكنك يا شروق تُصرِّين على إنكار الحقائق العلمية والتكريم الإلهي ، وأنا أدعوك – وأنا أعرف مدى اطلاعك– للبحث عن علاقة الأبناء بوالديهم الشيخين الكبيرين في الدول الغربية التي تستشهدين بها .

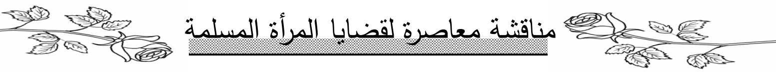
من الملاحظ يا شروق أنك تكتفين بذكر الشُبُهات التي تعرفينها عن الإسلام ولا تهتمين بالردود التي أقولها أو تقولها زميلاتك !! وتذكِّريني بموقف طريف حدث



أثناء دراستي في الجامعة فقد قال أستاذ علم اللغة : هذا الموضوع مهم جداً وأنا أبادر فأشرحه لكم قبل أن يسألني أحد عنه ، وشرح الأستاذ الموضوع وفور الانتهاء منه فوجئ بطالب يسأله عن هذا الموضوع ، ولن أقول لك ماذا قال له الأستاذ !

ضحكت الطالبات . وكان جرس الفسحة قد دقَّ منذ دقائق .

* * *

أسس بناء الحضارة الإسلامية وأسباب انهيارها

الإسلام والحضارات الأخرى

درسنا اليوم عن الإسلام والحضارات الأخرى . لقد كان من عظمة العلماء المسلمين أنهم استفادوا من كل علم سُبقوا به ، ثم صاروا أرقى في حركة العلوم العالمية حين جددوا مناهجها وابتكروا طرقها وقوانينها ، واكتشفوا خواص المواد حتى استطاعوا تغطية جوانب الحياة الإنسانية كلها ، ومدوا أبحاثهم وتجاربهم إلى ما أمكنهم ، كان ذلك استجابة لأمر الله تعالى وعبادة وقربى له حتى استطاعوا أن يقيموا حضارة زاهرة عرفها كل العالم واستفاد منها .

أسس بناء الحضارة في الإسلام :

يمكن القول إن الإسلام قد وضع للإنسانية حضارة مجيدة تنزع إلى الماضي فتعترف بجهد السابقين ، وتمضي إلى المستقبل وهي تحمل خبرة الماضي تحفظ بها جهود السابقين ثم تضيف إليها جهدها الخلاق ؛ لأن الحضارة ليست عمل جيل من الأجيال بل عمل الإنسانية من لدن آدم إلى يوم الدين .

فالإسلام هنا يتميز بأمرين :

الأول : اعترافه بجهد السابقين ، والاستفادة منه في شتى العلوم ، وما أعظم صلة العلم وأنت تأخذ عن السابق جهده لتستعين به ، وتبني عليه لتتركه لمن يأتي من بعدك ، وذلك كله أثر حضارة الإسلام بالعلم وترغيبه فيه .

الثاني :

قالت سارة : نكتفي بهذا ونكمل الحصة القادمة فأنا عندي سؤال مهم عن المرأة.

قال الأستاذ نبيل : أكمل ثانياً بسرعة ، ثم أجيب إن شاء الله عن سؤالك .

الثاني : أن الحقائق التي تضمنها القرآن الكريم والسنة النبوية ينضبط بها السلوك الإنساني ، فيمضي في خطى ثابتة في البناء والكشف فلا يدمر ما يعمر، فحضارة الإسلام إذن تتميز بأن تجعل من عمل الفكر وطلب العلم ، والتأمل في الكون عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى .

قالت شروق : وأين هي حضارة الإسلام هذه ؟

وقالت سارة : وأنا عندي سؤال كيف خلقت المرأة من ضلع أعوج ؟

قال الأستاذ نبيل : سأجيب عن سؤال شروق أولاً ...

– لماذا يا أستاذ ؟! أنا كنت أريد أن أسال أولاً ...

– لأن سؤال شروق خاص بالدرس المقرر عليكن ، أما سؤالك يا سارة فخارج الدرس .

– لقد وعدتنا يا أستاذ في أول العام أن تجيب عن الأسئلة التي نسألها سواء أكانت في الدرس المقرر أو خارجه !

– وأنا عند وعدي يا سارة على أن أبدأ بإجابة السؤال الخاص بالدرس المقرر، وبعد ذلك نجيب عن أسئلتك التي لا تنتهي يا سارة .

لماذا انهارت الحضارة الإسلامية ؟

شروق سألت سؤالاً مهماً للغاية ، أين هي الحضارة الإسلامية الآن ؟ أو بمعنى آخر لماذا انهارت الحضارة الإسلامية ؟

لقد تضافرت عدة عوامل أدَّت إلى تراجع الحضارة الإسلامية وضعفها وعلى رأس تلك العوامل الاحتلال العثماني . فمنذ أن وطئت قدم العثمانيين أرض العروبة والإسلام وحل بها الخراب والدمار حيث صارت البلاد مسرحاً للفوضى والاضطراب نتيجة تنازع الهيئات التي تقتسم الحكم فيها .

لقد كان العثمانيون السبب ليس فقط في تخلف الأمة الإسلامية بل كانوا السبب أيضاً في وقوعها في براثن الاحتلال الأجنبي : الإنجليزي والفرنسي والإيطالي لسنوات طويلة مما صيِّر الأمة الإسلامية إلى هذا الوضع المهين في الوقت الراهن .

أليس التخلف الحضاري والعزلة اللذان فرضهما العثمانيون على البلاد كانا هما السبب في الاحتلال الفرنسي ؟

لقد كانت ولاية مصر خلال هذا العهد عوناً للسلطان عند كل أزمة ، وكثيراً ما سيَّرت مصر الحملات إلى الأقطار التي تثور على السلطنة كاليمن وسوريا والحركة المهدية في المملكة العربية السعودية ؛ وكثيراً ما جنِدت النجدات مساعدة للدولة على للدولة على أعدائها ، كما فعلت في حرب فارس .

لقد قام الاحتلال العثماني بأعمال دمَّرت فيها الحضارة الإسلامية ، وقضت على الأمة العربية منها :

١- إغلاق المدارس فانشر الجهل .

٢- ترحيل العلماء البارزين ، والصناع المهرة ، والفنانين المبدعين من بلادهم العربية ، وتوطينهم في استانبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية لكي يبنوا لهم فيها حضارة للدولة العثمانية التي كانت تتسم بالقوة وتفتقر إلى الحضارة والعلم .

٣- استنزاف الموارد الاقتصادية ، وحرمان بلاد المسلمين منها .

٤- العمل على القضاء على اللغة العربية لغة الإسلام وحضارته ، لحساب اللغة التركية ، وهو ما عرف بالتتريك : أي جعل اللغة التركية لغة رسمية للبلاد الإسلامية الخاضعة للحكم العثماني.

٥- إطلاق أيدي ولاتهم في البلاد العربية في أموال الناس يتخوَّضون فيها بالسلب والنهب . مما تترتب على ذلك انتشار الفوضى والفزع وعدم الاستقرار .

٦- استبداد الحكام ، واستخدام العنف في مقاومة معارضيهم .

لهذه الأسباب وغيرها غرق العرب والمسلمون في مستنقع التخلف والجهل ، وأصبحوا صيدا سهلا لبلاد أوربا الناهضة .

قالت شروق : وما مصدر هذه المعلومات يا أستاذ ؟ سامحني يا أستاذ أنت الذي علمتنا وجوب التأكد من مصدر المعلومة ؟

- معك حق يا شروق .. هذه المعلومات ندرِّسُها لطلاب الصف الثالث الثانوي في الأدب ونحن ندرس لهم عوامل ضعف الأدب في العصرين : المملوكي والعثماني ، ومظاهر ضعف الأدب في هذين العصرين .

قالت رحاب : هذه أسباب انهيار الحضارة الإسلامية فماذا عن أسباب تخلف المسلمين في العصر الحديث وقد تحرروا من الاحتلال العثماني ؟

أسباب تخلُّف المسلمين في العصر الحديث

- لقد تكاتفت عوامل كثيرة تسببت في تخلف المسلمين وهوانهم بعد أن تحرروا من الاحتلال العثماني .

إذا كان سبب تقدُّم المسلمين إخلاص العقيدة ، وحسن الخلق ، واستقامة السلوك، والأخذ في أسباب العلم والتحضر - فإن سبب تخلفهم كان ضعف العقيدة ، وسوء الخلق ، واعوجاج السلوك ، وإهمال العلم ، وهذا ما حذَّر منه النبي ﷺ فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ، قُلْنَا : مِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : لا ، أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، يَنْزَعُ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ، قِيلَ : وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " [صحيح أبي داود] .

ولا يظنن ظانٌّ أن المقصود بكراهية الدنيا تركها والإعراض عنها بل ترك حبها والتعلق بها ، فالدنيا يجب أن تكون بأيدينا لا في قلوبنا .

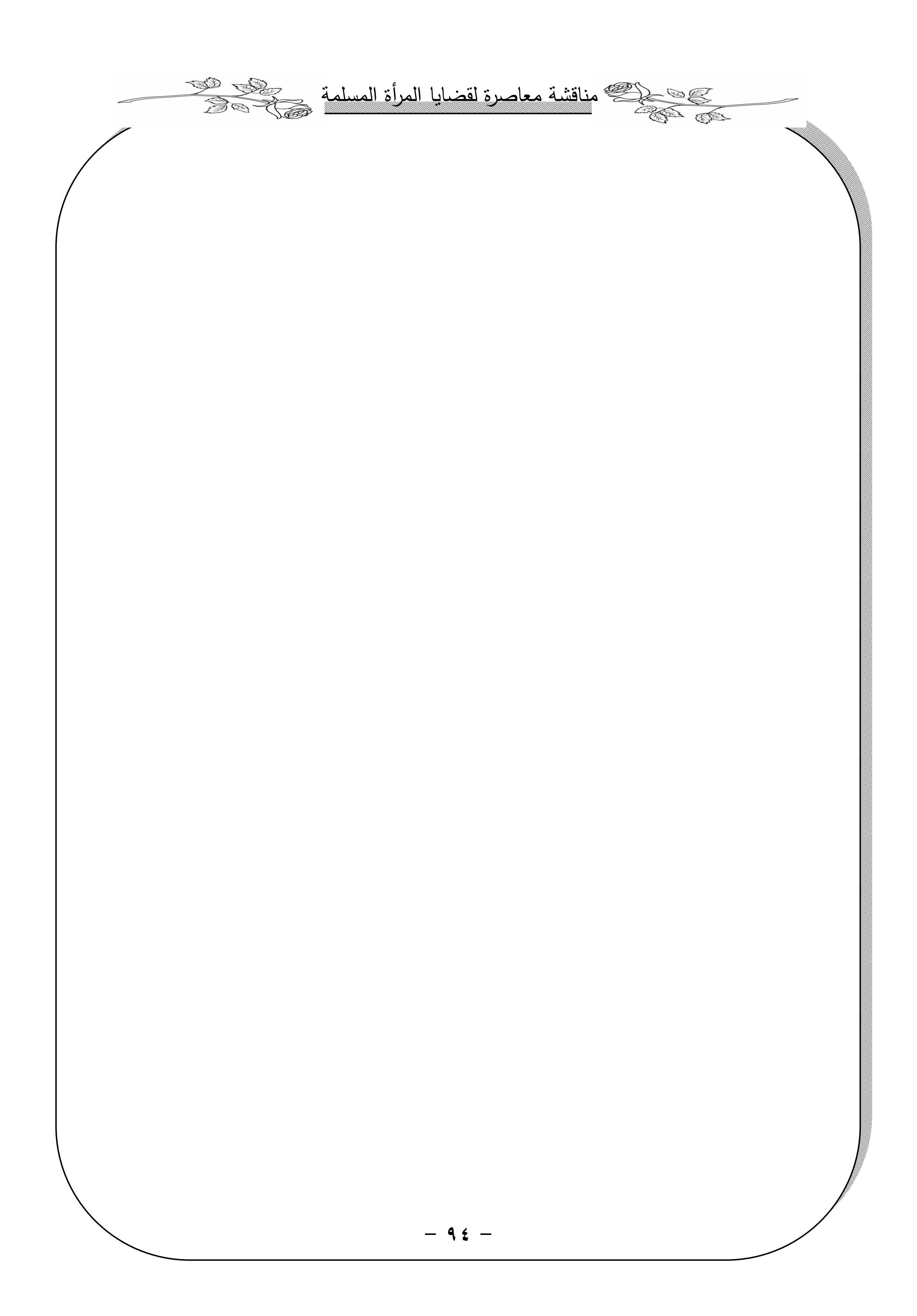
دق جرس الحصة وقالت سارة : وسؤالي يا أستاذ ؟

- الحص القادمة إن شاء الله .. من يعدُّ لنا بحثاً عن سؤال سارة ؟

رفعت بعض الطالبات أيديهن .

- نختار إسراء هذه المرة .. أتعرفين موضوع البحث يا إسراء ؟
- نعم يا أستاذ .. لماذا خلقت المرأة من ضلع أعوج ؟
- وفقك الله يا إسراء .. نلتق في الحصة القادمة إن شاء الله .

***



لماذا خلقت المرأة من ضلع أعوج ؟

علاقة الحضارة الإسلامية بالعلوم والمعارف

نستكمل اليوم درس الحصة الماضية عن الحضارة الإسلامية . نتيجة للتعاليم الإسلامية التي تحدثنا عنها الحصة الماضية ، اهتمَّ المسلمون كل الاهتمام بالعلوم والمعارف في كل البلاد التي فتحوها ، واهتموا بالترجمة اهتماماً فائقاً ، وأنفقوا على المشتغلين بها من الأموال ما جعلهم يؤدون الترجمة بعناية ودقة وحماس ، وكانت الترجمة ميسورة سهلة لكثرة المسلمين الذين يعرفون لغات هذه البلاد من العرب المسلمين ، او من أهل البلاد الذين دخلوا في الإسلام ، وتعلموا لغة القرآن الكريم فوق لغتهم الأصلية ، فكانت أداة الترجمة موفورة إلى حد بعيد في الدولة الإسلامية .

ولولا إخلاص المسلمين وحرصهم على الثقافة ونشرها بتوجيه من دينهم لظلَّت الثقافات القديمة دفينة ميتة ، كما نجد أن المسلمين برعوا في كثير من العلوم فقد تجلَّى استقلالهم الفكري وخيالهم ، وقوة إبداعهم فيما ابتكروه من العلوم مثل علم الفلك ، وعلم الكيمياء ، وعلم الطب والتشريح والجراحة والتداوي ، وما تبع ذلك من إجادتهم علم الفلك والأعداد الحسابية وغير ذلك من اختراع الساعة ونحوها من الآلات وتبعاً لتلك النهضة عنيت ديار الإسلام بدور الكتب حتى كان في القاهرة وحدها في أوائل القرن الرابع مكتبة على مائة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك ، وفي اسبانيا مكتبة الخلفاء بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد وكانت فهارسها أربعة وأربعين مجلداً ، وكان في أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة .

نكتفي بهذا القدر من الحصة ، ونبدأ الآن في إجابة سؤال إسراء لماذا خلقت المرأة من ضلع أعوج ؟

وما كاد الأستاذ نبيل يهم بالكلام حتى قالت إسراء : حضرتك كلَّفتني بالبحث في هذا الموضوع ، وأنا قد أعددت البحث وأريد أن أقرأه .

فقال الأستاذ نبيل وهو يبتسم : لا تتعجلي يا إسراء فقد كنت أمهد لك الطريق ثمَّ أطلب منك قراءة البحث .

- آسفة يا أستاذ .. تفضَّل أكمل حديث حضرتك .

هل تعاني المرأة اعوجاجاً في خَلْقِها ، وفي خُلُقِها ؟

- سبق أن ذكرنا أن هناك اختلافاً بين الرجل والمرأة على المستوى الفسيولوجي، والسيكولوجي ، وهذه أمور حسمها العلم ولم يعد أحد يناقش فيها ويقول إن المرأة مثل الرجل في القوة البدنية مثلاً أو العاطفة تجاه الأولاد ؛ فغريزة الأمومة من الغرائز الطبيعية وليس هناك غريزة أبوة ، وأنتن تعلمن ذلك جيداً ، وهذا لحكمة بالغة من الله تعالى لأن الأم هل التي تحمل وتلد وترضع وتربي الطفل في سنوات يحتاج الطفل فيها إلى رعاية كاملة لأنه لا يستطيع أن يقوم بشئون نفسه ولا يستطيع أن يبدر ما يحتاج إليه . ونستمع الآن لبحث إسراء .

- ورد في الصحيحين أن المرأة خُلِقَت من ضِلْعٍ أعوج ، فهل يعني هذا اعوجاجاً في خَلْقِها ، وفي خُلُقِها ، في مقابل استواء خَلْق الرجل وخُلُقه ؟

أولاً : المرأة مساوية للرجل في أصل الخِلْقَة يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] .

وقوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥] .

والنبي ﷺ يقول " إنَّما النِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ " [صححه الألباني] .

ويقول ﷺ أيضاً : " إنَّ اللَّهَ أذهبَ عنكُم عُبِّيَّةَ الجاهليَّةِ وفخرَها بالآباءِ إنَّما هوَ مؤمنٌ تقيٌّ أوَ فاجرٌ شقيٌّ النَّاسُ كلُّهم بنو آدمَ وآدمُ خُلِقَ مِن ترابٍ "

[صحيح الترمذي] .

ومما تقدَّم يتبين جليّاً أن الرجل والمرأة متساويان في أنهما من أصل واحد وأنه ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر من الآخر ، وأنه لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالإيمان والعمل الصالح .

ولكن لا يعني هذا أنهما متماثلان تماماً فسيولوجياً ونفسّياً فلكل منهما صفاته الخاصة التي تميزه عن غيره والتي تتناسب مع طبيعة المهمة التي خلقه الله تعالى من أجلها فهما متكاملان وليسا متماثلين فالرجل يمتاز بالقوة البدنية وصلابة الطبع لتحمل مشاق العمل تعمير الأرض والجهاد في سبيل الله ، والمرأة تمتاز بالرقة والحنان والعاطفة ولين الطبع ليناسب مهمتها كأم وزوجة وأخت وابنة لذا أمر النبي ﷺ الرجال أن يرفقوا بالنساء كان رسولُ اللهِ ﷺ في سفرٍ، وكان معه غُلامٌ له أسْوَدُ يُقالُ له أنْجَشَةُ، يَحْدُو، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ " ويْحَكَ يا أنْجَشَةُ، روَيْدَكَ بالقَوارير " [صحيح البخاري] .

والقَوَارِيرُ: جمعُ قَارُورَةٍ، وهي وِعاءٌ من الزُّجاج تُحفَظُ فيه السّوائل سُمِّيت بذلك لاستِقرارِ الشرابِ فيها، وشبه النبي ﷺ النِّساءِ بالقَوَارِير لِضَعْفِ بِنْيَتِهِنَّ ورِقَّتِهِنَّ ولَطَافَتِهِنَّ ، ولأنهن عامل استقرار الأسرة .

قالت سارة لإسراء : أين الإجابة ؟ لم أسمع منك أو من الأستاذ إلا كلاماً عاماً.

قال الأستاذ : مع أن التمهيدات مهمة لكن كفى مقدمات يا إسراء وأجيبي عن سؤال سارة مباشرة .

المقصود من تشبيه المرأة بالضلع الأعوج

- النبي ﷺ شبَّه النساء بالضلع الأعوج الذي يحمي القلب محل الحب والعطف والحنان ؛ لأن المرأة هي نبع الحب والعطف والحنان ، والضلع في اللغة له معنيان : كل منحنى ويتسم دائماً بالضعف والرقة ، وعظمٌ من عظام قفص الصدر منْحنٍ وفيه عِرَضٌ .

وعلى ذلك إذا كان الرجل يحمي الأسرة من الخارج فإن المرأة تحمي الأسرة من الداخل ، وإذا كان الرجل كالجوارح التي تعمل لتوفير الطعام والشراب والسكن والحماية للجسم فإن المرأة تمثل سائر أعضاء الجسم الداخلية التي تمضغ الطعام وتهضمه وتنقيه من السموم وتحوِّله إلى دم محمّل بالأكسجين ثم تضخه إلى جميع خلايا الجسم، لتقوم هذه الخلايا بأخذ الأكسجين من الدّم واستغلاله في إنتاج غذائها، ثمّ تطرح غاز ثاني أكسيد الكربون وبعض الفضلات .

وبعد أن فهمنا هذه الحقائق تعالوا نقرأ الحديث الذي استشكل على سارة فهمه فإننا نجده متوافقاً تماماً مع ما ذكرته .

عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ " استوصُوا بالنساءِ ، فإنَّ المرأةَ خُلقتْ من ضِلعٍ ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاه ، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه ، وإن تركتَه لم يزلْ أعوجَ ، فاستوصُوا بالنِّساءِ" [البخاري] .

شرح حديث الضلع الأعوج كله

والحديث يبدأ بالوصاية بالنساء ويختتم بها فهل يعقل أن يقول النبي ﷺ الحديث ذمّاً للمرأة ؟!!

وفي رواية أخرى عند مسلم عن أبي هريرة أيضاً " مَن كانَ يؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ، فإذا شَهِدَ أمرًا فليتكلَّم بخيرٍ أو ليسْكت، واستوصوا بالنِّساءِ، فإنَّ المرأةَ خُلِقت من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاهُ، إن ذَهبتَ تقيمُهُ كسرتَهُ، وإن ترَكتَهُ لم يزل أعوَج، استوصوا بالنِّساءِ خيرًا " [صحيح مسلم] .

وتبدأ هذه الرواية أن جعل النبي ﷺ من سمات المؤمن بالله واليوم الآخر أنه إذا اطلع إلى أمر فليتكلم فيه بخير أو يسكت إشارة من النبي ﷺ إلى وجوب إحسان الكلام في الدين عموماً وعن النساء خصوصاً وأن من اتَّهم الدين وأثار حوله الشبهات بسبب فهمه الخاطئ فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر ثمَّ ثنَّي النبي ﷺ بعد ذلك بوجوب الإحسان إلى النساء قولاً وفعلاً وألا يسيء أحد إليهن أو يقلل من شأنهن ويختتم الحديث بالتذكير مرة أخرى بتذكير الرجال بالإحسان إلى النساء فهل من قال هذا يقصد ذمَّ النساء بهذا الحديث ؟!! بالقطع لا .. وأن تشبيه النبي ﷺ النساء بالضلع الأعوج قد جاء في سياق الوصية بهن لا في بيان كيفية خلقهن. مما يستبعد معه أن يكون موضوع الحديث هو المسألة العضوية أو التشريحية بقدر ما هو حديث عن سيكولوجية المرأة، وتوجيه نبوي كريم إلى ضرورة الرفق في التعامل معها وتجنب الشدة حيالها.

الضلع الأعوج وعمل المرأة

وتعالوا نتعرَّف ماذا قال من يتكلَّم بالخير وعمل بتوصية النبي ﷺ بالنساء خيراً عن مفهوم الضلع الأعوج الذي خلق الله منه النساء " النبي ﷺ حين شبَّه النساء بالضلع الأعوج فإنَّه لا يذمُّ النساء بهذا، وإنَّما يُحدِّد طبائع النساء، وما اختصهنَّ الله به مِن تفوُّق العواطف على العقل، على العكس من الرَّجل الذي يتفوَّق فيه العقلُ على العواطف، فما زاد في المرأة نَقُصَ من الرجل، وما زاد في الرَّجل نَقُصَ من المرأة .

ليس العوجُ في الحديث مرادًا به الفساد في طبيعة المرأة ؛ لأنَّ عوجَها هذا هو صلاحُها لأداء مهمتها، فالمرأة من وظائفها أن تتعاملَ مع الأطفال، والأطفال في حاجةٍ إلى الحنان والانعطاف الشديد، وليسوا في حاجةٍ إلى التعامُل معهم تعاملاً عقليًّا، أو يغلب عليه العقل، فالرجل يرى في بكاء الطفل إزعاجًا وإفسادًا لنومه وهو في ذلك يستخدم منطق العقل، أما المرأة الأم فتذهب إلى الطفل تهدهده وتخفف ألمه، فالعاطفة الفيّاضة هي لغة الحوار بين الأم والطفل .

فالطفل في حاجةٍ إلى تعامُلٍ تغلب فيه العاطفة على العقل، حتى يمكنَ أن يكونَ احتمالُ القَذَر ومشقات السَّهْر والبكاء، والبحث عن راحة الطِّفل بين متاعبه، التي لا يُعرَف لها سببٌ أحيانًا.

لذلك كان أعوجُ ما في الضِّلَع أعلاه، وأعوج ما في المرأة أعلاها؛ يعني: انعطاف صدرِها على طفلِها، وغلبة عاطفتها على عقلِها.

من هنا أصبح العوجُ صفةَ مدحٍ، وليس صفةَ ذمٍّ للمرأة؛ إذ إنَّ هذا العوج في حقيقته هو استقامةُ المرأة لمهمَّتها .

قال الأستاذ نبيل : نشكر إسراء على بحثها الدقيق الذي يتضح منه مدى الجهد الذي بذلته فيه . فالمقصودُ بالضِّلع الأعوج إذن المعنى المجازي، وليس اللفظي، مثل قوله تعالى ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] إي أن الإنسان من طبعه الاستعجال في الأمور، وغاية الحديث هو الأمر بمعاملة النساء بالحسنى والنهي عن معاملتهن بالشدة.

ولو تأمَّلْنا عاطفةَ المرأة، وحنانها على أطفالها، وأردْنا أن نرسمَ في أذهاننا صورةَ المرأة الأمِّ مع أطفالها، لرسمْنا امرأةً منحنية عليهم، مائلة برأسها فوقَهم، فلا تجتمعُ استقامةُ الجذع مع حَدَب المرأة وعطفِها، فالأمُّ إما تُرضِع طفلها أو تحضنه وتحميه، أو تُنظِّفه وتلبسه، وفي جميع هذه الحالات لا تكون إلاَّ منحنية .

فاعوجاجُ الضِّلَع إذن فيه حمايةٌ لقلْب الرجل، فكأنَّما المرأة لتحمي الرجل، وتوفِّر له الاستقرارَ والطُّمأنينة والرِّضا، الأمور التي تَكفُل لقلْب الرجل عدم الاضطراب، ومِن ثَمَّ السلامة والعافية .

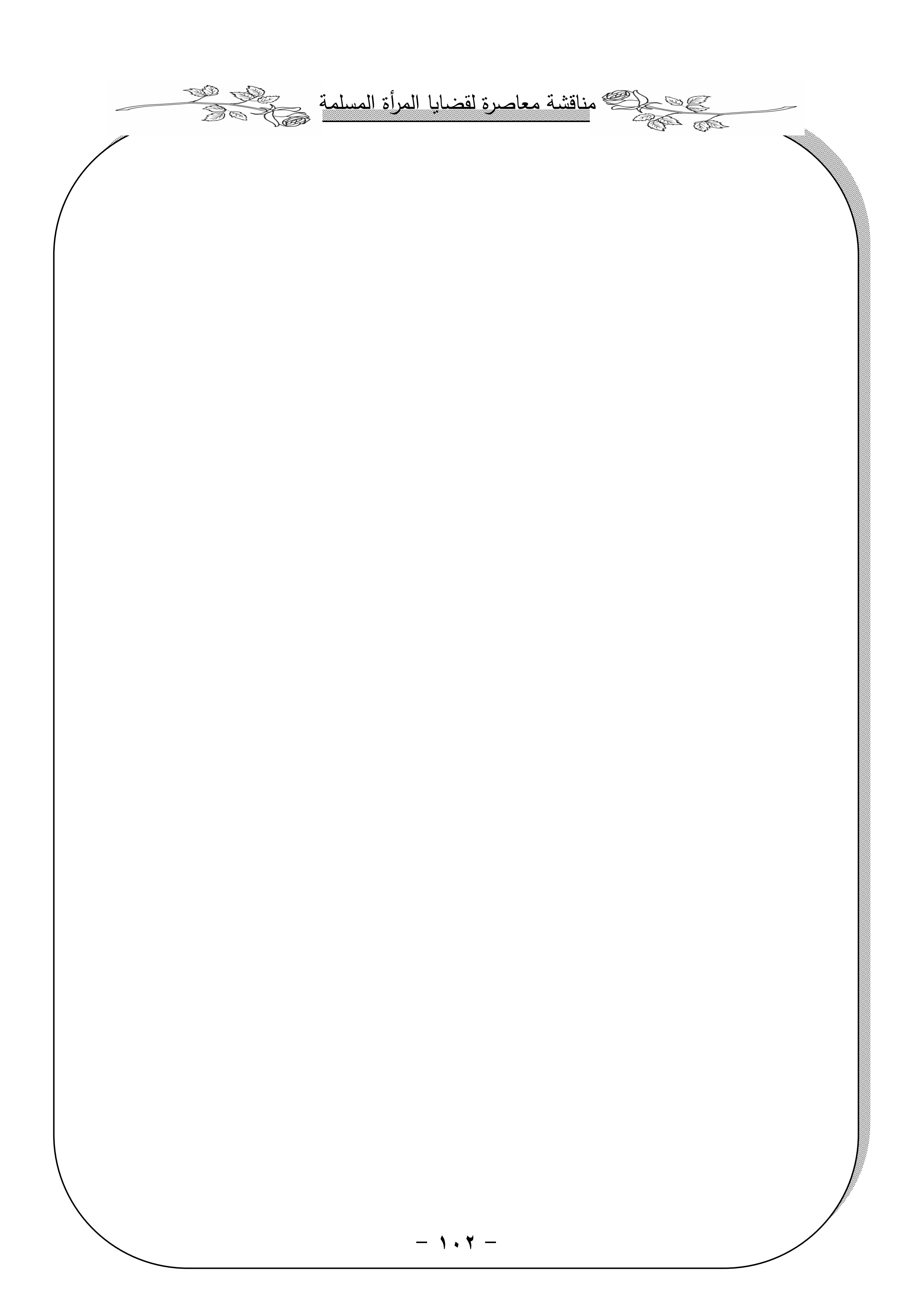
ورحَّبتِ النِّساءُ والأمهات بهذا المفهوم واعتبرنَه وصفًا لطبيعتهنَّ، وتوصيةً للرِّجال بالإحسان إليهنَّ والرِّفق بهنَّ، ولم يعبأنَ بالشبهات التي أُثيرتْ حولَ الحديث، واعتبرنَ ذلك أشواكًا يزرعها أعداءُ الإسلام في طريق مَن يطلب السعادةَ الأبدية في الدنيا والآخرة.

والخلاصة أن المقصود بالحديث بيان الاختلاف في طبيعة النساء عن طبيعة الرجال والتوصية بالنساء خيراً وليس إنقاصًا من مقام المرأة، وإلا ما جاء الحديث النبوي: " الزَمْها فإنَّ الجنةَ تَحْتَ أَقْدامِها " [صححه الألباني] وحديث أنها الأَوْلَى بحسن الصحبة ثلاث مرات قبل الأب " جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ ، من أحقُّ الناسِ بحُسنِ صَحابتي؟ قال: أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثم أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثم أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك." [متفق عليه]ثم الحديث القائل: " خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي " [صحيح ابن حبان] والمقصود بالأهل هنا الزوجة، ثم الوصية بهن في هذا الحديث وغيره كثير.

قالت سارة : وماذا عن قول النبي النساء ناقصات عقل ودين ؟

- لقد انتهت الحصة من خمس دقائق وأكيد أستاذ الحصة واقف أمام الباب أما إجابة هذا السؤال فيمكن أن تطرحيه على د. حسن مرعي الأسبوع القادم.

***



محاضرة حول وضع المرأة في الإسلام

رحَّب الأستاذ نبيل بالدكتور حسن مرعي المفكِّر الإسلامي قائلاً : الدكتور حسن مرعي فوق أنه مفكَر إسلامي كبير فإنه صديق عزيز ، وبناء على كثرة الشبهات التي تثار عن المرأة فقد طلبت منه أن يكون موضوع هذه المحاضرة هو الرد عن بعض هذه الشبهات .. فليتفضَّل :

– إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله.
أما بعد:

دائماً ما يستشهد الذين لا يتكلَّمون بخير في موضوع المرأة بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : " خرَج رسولُ اللهِ ﷺ في أضحى ، أو فِطرٍ ، إلى المصلَّى ، فمرَّ على النساءِ ، فقال: يا معشرَ النِّساءِ تصَدَّقنَ فإني أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ. فقُلْن : وبم يا رسولَ اللهِ ؟ قال : تُكثِرنَ اللَّعنَ ، وتكفُرنَ العَشيرَ ، ما رأيتُ مِن ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِن إحداكُنَّ. قُلن : وما نُقصانُ دينِنا وعَقلِنا يا رسولَ اللهِ ؟ قال : أليس شَهادةُ المَرأةِ مثل نِصفِ شَهادَةِ الرَّجُلِ . قُلن : بلى ، قال : فذلك من نقصانِ عَقلِها ، أليس إذا حاضَتِ لم تُصلِّ ولم تَصُم. قُلن : بلى ، قال : فذلك مِن نُقصانِ دينِها. " [صحيح البخاري] .

معنى النساء ناقصات عقل ودين

والحديث يشتمل على اتهامين يوجهان للنساء : أنهن أكثر أهل النار ، وأنهن ناقصات عقل ودين .

ونبدأ في ردِّ الاتهام الثاني لسهولة الردِّ عليه فالنبي ﷺ قد يبيَّن أن نقصان عقلها ليس معناه تخلفها الذهني كما يحلو لبعض الرجال وصف النساء إنما يقصد به أن " شَهادة المَرأةِ مثل نِصفِ شَهادَةِ الرَّجُلِ " .

أما نقصان دين المرأة فليس معناه قلَّة أيمانها وتقواها إنما " إذا حاضَتِ لم تُصلِّ ولم تَصُم " ولا تقضي الصلاة فهي تصلي نحو ٢٤ يوماً فقط في الشهر وتأخذ الأجر كاملاً كالرجل الذي يصلي الشهر كاملاً ، وتصوم نحو ٢٤ يوماً في رمضان ، وتقضي ما أفطرت في رمضان بعد رمضان وتأخذ أجر صوم رمضان كاملاً كالرجل الذي صام كل رمضان .

كيف يُستَغَلُّ الحديث خطأ من الرجال والنساء ؟

والعجيب أن هذا الحديث يستغله بعض الرجال والنساء على السواء ، بعد اجتزائه فيكتفون بذكر " النساء ناقصات عقل ودين " يستغله بعض الرجال لإهانة النساء وقد أمروا بالإحسان إليهن " استوصوا بالنِّساءِ خيرًا " [صحيح مسلم] ، وتستغله بعض النساء في إساءة الظن بالله ودينه مع أن حسن الظن بالله تعالى شُعْبة من شعب الإيمان لا يكمل إلا بها، وواجب شرعي يجب عليهن أن يتصفن به فقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : قال اللهُ جَلَّ وعَلا : " أنا عندَ ظَنِّ عَبدي بي ، إنْ ظَنَّ خيرًا فَلهُ ، وإنْ ظَنَّ شَرًّا فَلهُ " [صححه الألباني] .

ومعنى حسن الظن بالله تعالى ، كما قال الإمام النووي : " أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه " ، وقال الحسن البصري : أن المؤمن أَحْسَنَ الظن بربه فأَحْسَنَ العمل، وأن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل. " .

وكيف يُسَاء الظن بالله ورسوله في فهم الحديث على أنه إهانة للمرأة وتهديد لها وقد قاله النبي ﷺ صبيحة يوم العيد للنساء ؟ كيف يقول النبي ﷺ رحمة الله للعالمين للنساء شيئاً صبيحة يوم العيد إلا أن يكون خيراً لهن ؟

الثابت والمتغير في الدين

رفعت سارة يدها تطلب الحديث فقال الأستاذ نبيل : انتظري يا سارة حتى ينتهي د. حسن من حديثه ثم نفتح باب الأسئلة .

- هذا السؤال خاص بكلام د. حسن .

قال د. حسن : بإذنك يا أستاذ نبيل .. تفضلي يا بنتي ماذا تريدين أن تقولي؟

– لن أخوض فى نقاشات فقهية فتلك الأحكام كانت عادلة ومناسبة فى زمن غير زماننا ولا حاجة لنا بها اليوم، فالمرأة فى مجتمع شبه الجزيرة لم تكن تدرس الطب والهندسة والزراعة وسائر العلوم الحديثة وبالتالى فالإسلام وضع أحكاماً تناسب وضع المجتمع والمرأة ، أما الآن فقد تجاوزها التطور الحضارى وبامكاننا استنباط أحكام أخرى تناسب زماننا ، إن المسيحيين الغربيين واليهود فى اسرائيل قد تجاوزوا أحكامهم الدينية ولم يعودوا يطبقونها، بل يطبقون القانون المدنى الذى يضمن المساواة بين الجميع أمام القانون بلا تفرقة على أساس الجنس، أو الدين ، وبالتالى فإن بناء الدول على أسس دينية سيجعل المجتمع طائفيّاً مُتَخَلِّفاً ، وإذا كان بعض رجال الدين يرون أن شريعة الإسلام تصلح لكلِّ زمان وأنا أرى أنها تصلح لزمانها وظروف المجتمع وقت نزولها، أما وقد تغيرت الظروف وتغيرت ثقافة البشر وأنظمة الحكم، فواجب علينا أن نجتهد ونضع قوانين وشرائع جديدة تناسب عصرنا .

– اعلمي يا بنتي أن دين الإسلام فيه ثوابت كما فيه مُتغيِّرات ، أما الثابت في الإسلام فهو مجموعة الأسس والحقائق التي لا بد من ثباتها، بما تشمله من أصول العقيدة ، وأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة، وما يتعلق بالله سبحانه من توحيده وإثبات أسمائه وصفاته وأفعاله، وأصول العبادات والمعاملات، ومكارم الأخلاق، ومقاصد الشريعة ، التي تتمثل في حفظ الضرورات الخمس، وهي الدين والنفس، والعقل، والمال، والعرض.

أما أبرز المجالات المتغيرة في الأحكام الشرعية فتتمثل في الأحكام الفرعية المستمدة من نصوص ظنية الدلالة، مما يجعلها قابلة للاجتهاد، أو تلك النصوص التي تستمد من نصوص معللة بعلل خاصة، والتي تتغير بتغير الزمان أو المكان، أو الأحكام المبنية على قواعد العُرْف، والتي تتغير بتغير ذلك العُرْف، وكذلك الأمور التي تندرج تحت الكماليات والتحسينيات، وهي التي تختلف باختلاف الزمان والمكان، مما يتعلق بمسائل فرعية، وأشياء غير ضرورية، إنما يفعلها الناس من أجل تحسين حياتهم، ورفاهية عيشهم.

وكثير مما ترفضينه من سلوكيات بعض المسلمين أنا أرفضه مثلك ، كذلك أتفق معك في وجوب أخذ البلاد العربية في أسباب العلم والتقدم والتكنولوجيا والقيم الحضارية الثابتة ، ولكن الفرق بيننا يكمن في أنك لا تؤمنين بثوابت في الدين الإسلامي ، وأنا أؤمن بها .

قال الأستاذ نبيل : سارة مؤمنة بالله ولكنها تقرأ هذه الأسئلة في مواقع التواصل الاجتماعي وتريد أن تعرف إجابتها .

قال د. حسن : من حقِّ كل إنسان أن يسأل في أمور دينيه ما يشاء وجميع أحكام شريعة الإسلام مبنية على الإقناع العقلي وإقامة البرهان يقول تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤] .

قال الأستاذ نبيل : نعود إلى موضوعنا .

هل النساء أكثر أهل النار ؟

نأتي بعد ذلك إلى الاتهام الأول " فإني أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ" .

أولاً : الحديث يتكلم عن النساء عموماً وليس عن المسلمات تحديداً فقد جاء في رواية أخرى عند البخاري " أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ " وليس المقصود الصحابيات المخاطبن بالحديث لأن أصحاب النبي ﷺ : رجالاً ، ونساء الذين

ماتوا على الإيمان من أهل الجنة من حيث العموم ، كما قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة :١٠٠] .

ثانياً : أن نسبة النساء أكثر من الرجال بصفة عامة وخاصة آخر الزمان فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال" مِن أشراطِ الساعَةِ : أنْ يظهرَ الجهلُ، ويقلَّ العلمُ، ويظهرَ الزنا، وتُشرَبَ الخمرُ، ويقِلَّ الرجالُ، ويَكثُرَ النساءُ، حتى يكون لخمسينَ امرأةً قَيِّمُهُنَّ رجلٌ واحدٌ " [متفق عليه] .

ففي آخر الزمان تكثُر النساءُ بِسَبَبِ كَثرةِ الفُتوحِ والسَّبايَا، حتَّى لا تَجِدَ الخمسون مِن النِّساءِ سِوَى رَجُلٍ واحدٍ يَكفُلهنَّ ويَعُولُهنَّ ويقومُ بِشُؤونِهِنَّ.

ويوم القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق الذين سيكون أكثرهم النساء كما ذكر الحديث السابق " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ "

[صحيح مسلم]

ويقول النبي ﷺ كذلك " لا تقومُ السَّاعةُ على أحَدٍ يقولُ : لا إلهَ إلا اللهُ "

[صحيح ابن حبان]

قال عبدُ اللهِ بنُ عَمرو بنِ العاصِ " لا تقوم الساعةُ إلا على شِرارِ الخلقِ . هم شرٌّ من أهلِ الجاهليةِ . لا يدعون اللهَ بشيءٍ إلا ردَّه عليهم " [صحيح مسلم]

هذا الحديثُ فيه بَيانُ أنَّ السَّاعةَ إنَّما تَقومُ على شِرارِ خَلْقِ اللهِ، فلا تَقومُ على أَهلِ الإسلامِ، وإنَّما تَقومُ على أهلِ الكُفْرِ، ويَكونُ كُفْرُ هؤلاءِ شَرًّا من كُفرِ أهلِ الجاهليَّةِ .

ثالثاً : أن المؤمنين الصالحين نسبتهم قليلة ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] وأن أكثر الناس غير مؤمنين ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

[يوسف:١٠٦] ﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:٥٩] .

والله تعالى أخبر أن جهنم تمتلئ بالناس والجنة أجمعين .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩] .

وبناء على ذلك فإن الكفَّار وعصاة الله ورسوله هم من يملئون جهنم ولما كان أكثر الناس من هؤلاء ، وأن نسبة النساء عامة أكثر من نسبة الرجال خاصة في آخر الزمان الذي يَكونُ كُفْرُ هؤلاءِ شَرًّا من كُفرِ أهلِ الجاهليَّةِ لذا صار أكثر أهل النار من النساء غير المؤمنات الصالحات .

من أكثر أهل الجنة ؟

قالت سارة : هذا عن أكثر أهل النار فماذا عن أكثر أهل الجنة أليسوا هم الرجال ؟

قال د. حسن وهو يبتسم : افتخرتِ الرِّجالُ والنّساءُ فقال أبو هريرة : " النِّساءُ أكثرُ منَ الرِّجالِ في الجنَّةِ فنظر عمرُ بنُ الخطَّابِ إلى القومِ فقال ألا تسمعونَ ما يقول أبو هريرةَ فقال أبو هريرةَ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول في أولِ زُمرةٍ تدخل الجنَّةَ وجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ والثانيةُ كأضوءِ كوكبٍ في السَّماءِ ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان يُرى مُخُّ سوقِهما من وراءِ اللحمِ وليس في الجنةِ عَزَبٌ "

[صححه الألباني]

وفي صحيح مسلم " إما تَفاخروا وإما تذاكروا : الرجالُ في الجنةِ أكثرُ أم النساءُ ؟ فقال أبو هريرةَ : أو لم يقل أبو القاسمِ ﷺ " إنَّ أولَ زُمرةٍ تدخل الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ . والتي تليها على أضوءِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء . لكلِّ امرئٍ منهم زوجتَان اثنتان . يُرى مُخُّ سوقِهما من وراءِ اللَّحمِ . وما في الجنةِ أعزبُ" .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح هذا الحديث ولكلِّ واحد منهم زوجتان أي من نساء الدنيا، قال : واستدلَّ أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء

في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث " رأيتكن أكثر أهل النار " ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم : قال القاضي: ظاهر هذا الحديث أن النساء أكثر أهل الجنة، وفي الحديث الآخر أنهن أكثر أهل النار. قال: فيخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم. قال : وهذا كله في الآدميات، وإلا فقد جاء للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: " هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ : " فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً " [صحيح البخاري] .

والنبي ﷺ من شدة حرصه على دخول المسلمات الجنة وألا يكن من الكافرات أو العاصيات اللاتي يدخلن النار فإنه يطلب منهن أن يكثرن من الصدقة ولا يكثرن من اللعن وهو الدعاء بالطرد من رحمة الله ولا يكفرن العشير وهو جحد إحسان الأزواج فيقول ﷺ " يا معشرَ النِّساءِ تصَدَّقنَ فإني أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ. فقُلْن : وبم يا رسولَ اللهِ ؟ قال : تُكثِرنَ اللَّعنَ ، وتَكفُرنَ العَشيرَ" والصدقة الخالصة لوجه الله تسبب رضا الله عن العبد، وتمنع الموت في سبيل معصية الله فيقول ﷺ " إن الصدقَةَ تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ ، وتَدْفَعُ مِيتَة السُّوءِ " [صحيح ابن حبان] .

معنى كفران النساء العشير

قالت سارة : إذا كانت النساء المؤمنات أكثر أهل الجنة فكيف يصفهن النبي ﷺ بأنهن كافرات ؟!

– لم يصف النبي ﷺ المؤمنات الصالحات بالكفر أبداً ، لكن ربما تقصدين وصف النبي لهن بأنهن " يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ " .

– نعم .. نعم .

في حديث آخر يفسِّر النبي ﷺ للنساء المؤمنات الصالحات معنى يكفرن العشير حتى لا يقعن فيه .

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " [صحيح البخاري] .

ولقد فهمت النساء المؤمنات أن هذا حثٌّ من النبي ﷺ لهن على الصدقة وشكر الإحسان فأسرعن بالتصدق ولم تفهم إحداهن أن هذا تفضيل الرجال عليهن ، ولم يُسِئْن الظن برسول الله ﷺ كما تفعلين أنت يا بنتي .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلا إِقَامَةٍ ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ فَقَامَتْ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ فَقَالَتْ لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ "

[صحيح مسلم]

فالنبي ﷺ وعظ الناس جميعاً في خطبة العيد ثم خصَّ النساء بوصية خاصة وقد استجبن على الفور لوصية الرسول ﷺ وعملن بها فجعلن يتصدقن بحليهن ، ولم يتهمهن النبي ﷺ كما فهمتِ يا ابنتي بتفضيل الرجال على النساء أو قصد الإساءة إليهن .

الدين النصيحة

النصيحة من أهم أمور الدين، وأعظمه، وبها يُقوَّم اعوجاج الخَلْق، وتصلح حالهم؛ لأن المؤمن للمؤمن كالمرآة، يرى عيوبه، ويكشفها، فعليه أن ينصحه، ويبذل جهده في نصيحته وإن كانت ثقيلة على المنصوح أحيانًا. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩] وهي واجبة على كل مسلم لكل مسلم . قال النبي ﷺ : " الدِّينُ

النَّصِيحةُ " قلنا : لِمَنْ ؟ قَالَ : " لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " [صحيح مسلم] وأما النصيحة لرسوله ﷺ : فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به ... وأما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه .. وأما نصيحة عامة المسلمين : فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم .. والنصيحة لازمة على قدر الطاقة .

وعن جرير بن عبد الله قَالَ : " بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ] .

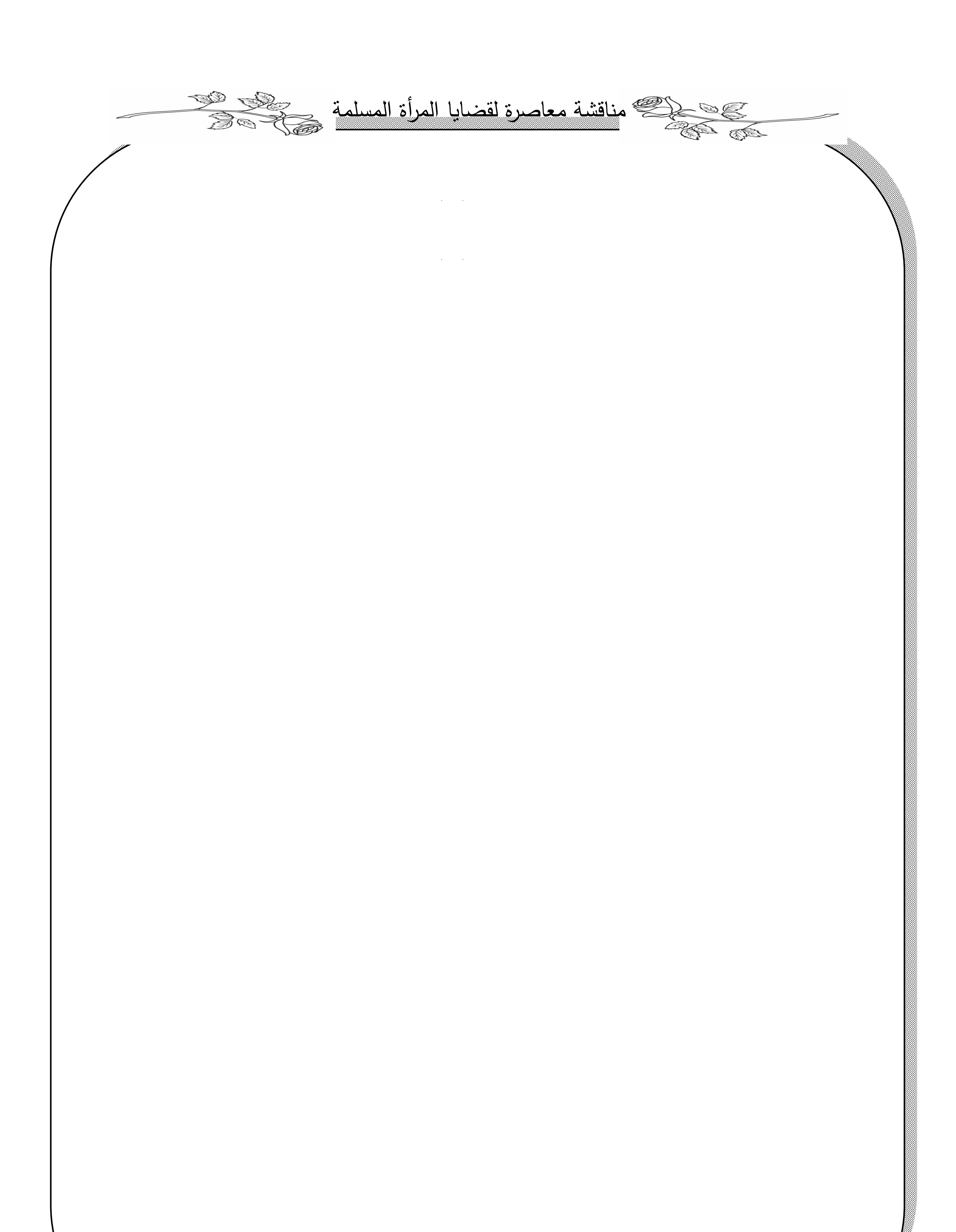
عن أنس عن النَّبيّ ﷺ قَالَ : " لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ" [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ] .

قال الأستاذ نبيل : لقد مرَّ الوقت بنا سريعاً وكنَّا نودُّ لو طال بنا الوقت لنستفيد من علم د. حسن الغزير ، وإلى أن نلتقي به مرة أخرى نوتجّه بالشكر الجزيل له متمنيين له دوام الصحة والعافية والتوفيق .

– بل أنا الذي أشكركم على حسن الضيافة ، وأغبطك يا أستاذ نبيل على طالباتك الذكيّات المجادلات .

وقفت الطالبات وصفقن طويلاً .

***



حُبِّبَ إليَّ النساء

الحضارة الإسلامية والمنهج التجريبي

نكمل درس الإسلام والحضارة . الحضارة الإسلامية حضارة دينية علمية لأن الإسلام لا يعادي العلم بل يدعو إليه بل يفرض على المسلم أنه يتعلم منهج القرآن في ذلك فهو منهج الفطرة .

وتوصَّل المسلمون إلى وضع القاعدة الأساسية في المنهج العلمي " المنهج التجريبي " الذي يقضي بأن يتوخى الباحث دراسة ظاهرة طبيعية كما هي موجودة بالفعل في عالم الواقع عن طريق ملاحظتها وإجراء التجارب عليها ، ثم التوصل من ذلك إلى وضع قانون عام .

لقد ظهر هذا المنهج التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء لاول مرة في تاريخ الحضارة البشرية على يد المسلمين المشتغلين بالعلوم التجريبية كالكيمياء والفزياء والطب .

ويعتبر جابر بن حيان المتوفى عام ٢٠٠ هـ من أوائل الذين أدخلوا هذا المنهج في أبحاثهم لقد كان جابر أعظم كيميائي عمل صيدلانياً في الكوفة ووضع عددا من المؤلفات في الكيمياء منها كتاب السين وكتاب " الخواص" وكتاب ...

حبُّ النبي ﷺ النساء

قالت عبير : يكفى هذا يا أستاذ حديثاً عن العلم والدين ونعود إلى حديث الحب، لقد وعدتني يا أستاذ أن نواصل الكلام فيه منذ نحو شهر .

- كفى هذا القدر يا أستاذ ونكمل موضوع عبير .

- ليس موضوعي أنا وحدي إنما كلكن ترغبن في الحديث فيه .

ضحكت الطالبات وتهامسن . وقال الأستاذ نبيل : لا تتبرأن من رغبتكن في الحديث عن موضوع الحب فهو ليس تهمة ، والنبي ﷺ نفسه صرَّح بحبه للنساء أتذكرون الحديث الذي شرحه د. حسن مرعي " وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ أغْلَبَ لذي لُبٍّ منكنَّ ".

قالت بعض الطالبات ممن حضرن المحاضرة : نعم يا أستاذ .

- هذا الحديث مما يؤكد حبَّ النبي ﷺ النساء ومداعباته لهن صبيحة يوم العيد فيخبرهن أن غلبة الجانب العاطفي عليهن ليس ضعفاً إنما سلاح أعطاه الله تعالى لهن لمعادلة قوة الرجل البدنية فهن يستطعن أن يأسرن عقل الرجل الحازم كامل العقل.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ " [صحيح النسائي] .

النبي ﷺ يصرح بحبه للنساء ولا يعقل أن يفهم من كلامه ﷺ ما يسيء إليهن وأن ينتقص من كرامتهن وهو الذي كان دائم التوصية بهن خيراً وكان من آخرِ ما نطق به لسانه الشريف التوصية بهن كما تروي السيدة أم سلمة : " كانَ منْ آخِرِ وصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ الصلاةَ الصلاةَ وما ملكَتْ أيمانُكم حتى جعل نبيُّ اللهِ ﷺ يُلَجْلِجُها في صدرِهِ وما يفيضُ بها لسانُه " [صححه الألباني] .

معنى الشهوة وأشهر الشهوات

ويقول الله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ [آل عمران:١٤] .

والشهوات جمع شهوة ، وهي ثوران النفس وميلها نحو الشيء المشتهى . والمراد بها هنا الأشياء المشتهاة من النساء والبنين ... إلخ . وقيل الشهوات ما ركز في الطباع من محبتها والحرص عليها والتزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها في القلوب ، وهو بهذا المعنى مضاف إليه الله تعالى حقيقة؛ لأنه لا خالق إلا هو . ويطلق ويراد به الحض على تعاطي الشهوات المحظورة فتزيينها بالمعنى الثاني مضاف إلى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها " .

ثم بين سبحانه أهم المشتهيات التي يحبها الناس ، وتهفو إليها قلوبهم ، وترغب فيها نفوسهم ، فأجملها في أمور ستة .

أما أولها : فقد عبَّر عنه القرآن بقوله : " من النساء ولا شك أن المحبة بين الرجال والنساء شيء فطري في الطبيعة الإنسانية ، ويكفي أن الله تعالى قد قال في العلاقة بين الرجل والمرأة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وقال تعالى في آية ثانية ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتسكنوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وإن بعض الرجال قد يستهين بكل شيء في سبيل الوصول إلى المرأة التي يهواها ويشتهيها وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء " [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ] ولذا قدم القرآن اشتهاءهن على كل شهوة .

هل اكتفى القرآن بذكر محبة الرجل المرأة فقط ؟

قالت عبير : نحن نريد أن نتحدَّث عن محبة المرأة الرجل لا محبة الرجل المرأة .

ضحك الأستاذ نبيل وقال : لقد اكتفى القرآن بذكر محبة الرجل المرأة مع أن المرأة كذلك تحب الرجل بفطرتها ؛ لأن المرأة يهمها أن تكون مطلوبة لا طالبة . وحتى لو كانت محبتها للرجل أشد فإنها تحاول أن تثير فيه ما يجعله هو الذي يطلبها لا هي التي تطلبه .

أسرَّت خديجة لسحر التي تجلس بجانبها بشيء نقلته سحر لهناء ومنها إلى عبير التي صاحت قائلة : ألم يقل الله تعالى ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ؟!

- ماذا تقصدين ؟
- ....

ثم عادت رحلة الهمس ثانية .

- ما الحكاية يا خديجة ؟
- عبير ستخبر حضرتك .

وهنا كان الخبر قد وصل لعبير التي قالت : حضرتك قلت إن القرآن الكريم تحدَّث فقط عن حب الرجال النساء ، والحقيقة أن الله تحدَّث عن حب النساء الرجال أيضاً في قصة سيدنا يوسف .

– فهمت .. فهمت تقصدين قول الله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠]

– نعم يا أستاذ .

قال الأستاذ نبيل مازحاً : وبالطبع خديجة صاحبة هذا الاكتشاف !!

طأطأت خديجة رأسها حياءً وواصل الاستاذ نبيل مزاحه : وماذا في القرآن الكريم أيضاً يا خديجة .

- ....

قالت عبير : تكلَّمي يا خديجة .. تكلمي لا حياء في الدين .

- تكلَّمي يا خديجة .. تكلَّمي .
- أنت تحفظين القرآن الكريم ...

معنى لا حياء في الدين

قالت خديجة : ومن قال لك يا عبير لا حياء في الدين ، الدين كله حياء ، والحياء شعبة من الإيمان .

قال الأستاذ نبيل : انتظرن يا بنات .. لحظة واحدة .. أولاً : أنا أشكر خديجة لأنها صححَّت لي خطأ وقعت فيه ، ثانياً : نحن في مجلس علم ، والعلم رحم بين أهله ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

ولقد لاحظت من بداية العام أن خديجة لا تشارك معنا في الحوار إلا همساً مع المحيطين بها ، ولم أشأ أن أحرجها .

- أنا لا أحب الكلام يا أستاذ ، وأفضل السماع .

- لا تصدقها يا أستاذ فإنها لا تكفُّ عن الكلام معنا بين الحصص وفي الفسحة .

- لا يغرنك صمتها في حصة حضرتك إنها كثيرة الكلام .

قالت سحر : خديجة تحب حصة حضرتك جداً لكنها خجولة .

قال الأستاذ : الحياء نوعان : حياء يمنع من التعلُّم والتفقُّه في الدين والعلم وهذا مما يجب أن يتخلَّى عنه المؤمن ، والحياء الثاني يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي والآثام ، وهذا مما يجب ان يتحلَّى به المؤمن وهو المقصود بقول النبي الإيمانُ بِضعٌ وستونَ شُعبةً ، والحَياءُ شُعبةٌ منَ الإيمانِ " [صحيح البخاري]

وليس فيما نتحدَّث فيه ما يدعو للخجل فقد تكلَّم عنه القرآن الكريم والنبي ﷺ والعلماء والحب ليس بمستنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريع كما قال ابن حزم ، وعن ابن عباس أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعَث سريَّةً فغنِموا وفيهم رجُلٌ فقال إنِّي لَسْتُ منهم عشِقْتُ امرأةً فلحِقْتُها فدَعُوني أنظُرْ إليها نظرةً ثمَّ اصنَعوا بي ما بدا لكم فنظَروا فإذا امرأةٌ طويلةٌ أَدْماءُ فقال لها أَسلِمي حُبَيْشُ قبْلَ نفادِ العيشِ أرأَيْتِ لوِ اتبَعْتُكم فلحِقْتُكم بحَلبةٍ أو أَلْفَيْتُكم بالخَوانِقِ أمَا كان حقًّا أنْ ينُولَ عاشِقٌ تكلَّف إدلاجَ السُّرى والوَدائقِ قالت نَعَمْ فدَيْتُكَ فقدَّموه فضرَبوا عُنقَه فجاءتِ المرأةُ فوقَفَتْ

عليه فشهَقَتْ شَهقةً أو شَهقتَيْنِ ثمَّ ماتت فلمَّا قدِموا على رسولِ اللهِ أخبَروه ذلكَ فقال رسولُ اللهِ " أمَا كان فيكم رجُلٌ رحيمٌ " [صححه الألباني] .

دقَّ جرس الحصة فصاحت الطالبات تستعطفن الأستاذ مواصلة الحديث وأنهن سيتأذن من أستاذة المجالات ، لكن الأستاذ نبيل رفض ووعدهن بتكملة الموضوع في الحصة القادمة إن شاء الله .

***

درس في الحب

ما إن دق جرس نهاية الحصة الخامسة وخرجت أستاذة الجغرافيا من الفصل حتى ابتهجت الطالبات وبدأن يتهامسن بل إن بعضهن ذهب ليطمئن على عدم غياب الأستاذ نبيل ويذكرنه بموعده لهن أمس .

وما كدن يرونه صاعداً على السلم حتى أقبلن عليه يذكرنه بوعده ، وهو يستمهلهن حتى يدخل الفصل .

الفن وفرويد والحب

قال الأستاذ نبيل وهو يبتسم : أنا أتفهَّم مشاعركن فلقد أصبح موضوع الحب هو المادة الرئيسية للأغانى ، والأفلام ، والأدب ، والفن عامة ، وكأنه لم يعد في الحياة سواه ، فهو الحياة ولا حياة بدونه ! ولقد أثَّر هذا الإلحاح العجيب في الحديث عن الحب على الشباب من الجنسين فلم يعد الشباب يفكر إلا في الحب وليس له طموح إلا لقاء من يحب !!

ولقد ساهم الفكر العفن المتشح بالعلم ، والعلم منه براء في تزكية نار الغريزة بين الجنسين بما أشاعوه من وجوب الاختلاط بين الجنسين بلا قيد ولا شرط ، والزعم أن ذلك يجنبهم العقد النفسية ، والكبت إلى غير ذلك من المصطلحات التي نقلها كثير من علماء النفس دون تمحيص عن فرويد ذلك العالم النفسي الشهير والذي يعد إماماً لكثير من علماء النفس عندنا مع أنه هو نفسه مريض النفس مضطرب الفكر لا يعرف غير الجنس دافعاً للإنسان وكل الناس عنده مرضى نفسيون لديهم مركبات نقص ، وكل أعمال فرويد تحتاج لمراجعة وتصحيح فهي خرقاء هوجاء

تنقصها الدقة العلمية ويغلب عليها التسرع وسوف أقرأ عليكن ما قاله مركز الدراسات النفسية .

وهنا فتح الأستاذ نبيل حقيبته وأخرج عدة أوراق أمسك بإحداها وأخذ يقرأ : " إن تطبيق مبادئ التحليل على كتابات فرويد عامة يبين لنا خوفه من الموت، وهو خوف صرح به في رسائله لخطيبته. في حين تبدى هذا الخوف في كتاباته بالتعجل والغزارة. وهى صفات تدمغ كتابات المؤلفين الخائفين من الموت. فهم يريدون كتابة ما لديهم بسرعة قبل أن يفاجئهم الموت. فإذا ما وجدوا متسعاً من الوقت قاموا بمراجعات قاسية لأعمالهم." .

قالت سارة : ولكن فرويد عالم كبير وشهير ...

– إن تأثُّر كثير من الناس بآراء فرويد في التحليل النفسي ، وبالغرب في الفن والأزياء ، والفكر التحرري الانحلالي جعل المجتمعات العربية مسْخاً مشوَّهاً فلا هي صارت مجتمعاً غربياً بسلبياته وإيجابياته أي بانحلاله وتقدمه العلمي ، ولا هي ظلَّت مجتمعاً عربيًّا بتخلفه وقيمه الأخلاقية ؛ بل ظلَّت على تخلفها وأخذت من الغرب انحلاله فجمعت بين الأسوأين بدلاً من أن تجمع بين الحسنيين !!

مفهوم الحب في الإسلام

قالت عبير : نعود لموضوعنا يا أستاذ من فضلك .

– نحن لسنا ضد الحب العفيف ، ولا ضد الفنون الراقية المهذبة للنفس المحركة للعواطف النبيلة ، الدافعة إلى السعي والعمل والاستمتاع بكل ما هو جميل مباح ، لكن نحن ضد كل انحراف للإنسان عن رسالته التي خلقه الله من أجلها وهى عبادته وتعمير كونه ، نحن ضد إثارة الغرائز الجنسية باسم الفن ، وضد إباحة كل محرم باسم العلم ، وضد كل فساد باسم التقدم والمدنية .

الحب عاطفة أودعها الله تعالى القلوب ، ولا إرادة للإنسان فيها لذا لن يحاسبه الله عليه إنما الحساب يكون على الأفعال والأقوال فمثلاً : إذا أحب شاب فتاة

فليس في ذلك حرمة لكن إن خلا بها من غير مَحْرَم ، وحدثها حديث الهوى فهذا هو الحرام المنهى عنه رُوى عنِ النبي ﷺ قالَ: " لاَ يَخْلُوَنّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إلاّ كانَ ثَالِثَهُمَا الشّيْطَانُ " [رواه أحمد والحاكم] .

تعالت همسات الطالبات ، وكثرت حواراتهن الجانبية ، فسكت الأستاذ نبيل عن الكلام فسكتن عن الهمس فعاد يقول : " أما إذا أحب شاب فتاة وتزوجها فهذا هو الحب المرغوب فيه الدافع إلى الزواج والذي يعف صاحبه عن الحرام ...

الحب والفقر

سمع الأستاذ شروق تقول لسلمى : وإذا كان لا يزال صغيراً وغير قادر على الزواج فقال : فإذا أحب شاب فتاة ولم يقدر على الزواج بها لضيق ذات اليد فليجتهد في عمله وليعف نفسه عن فعل المعاصي فيرزقه الله من حيث لا يحتسب وييسر له الزواج بها أو بأحسن منها .

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : ٢-٣]

ويقول النبي ﷺ : " ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونهم : المجاهدُ في سبيلِ اللهِ ، والْمُكَاتَبُ الذي يريدُ الأداءَ ، والناكحُ الذي يُرِيدُ العفافَ "

[رواه الخمسة إلا أبا داود]

قالت عبير : وإذا وقعت فتاة في حب طالب لا يستطيع أن ...

– فإن ابتلى اللهُ تعالى الإنسانَ بحب من لا تحلُّ له أو ما لم يقدر على الزواج منها فعليه أن يكتم هواه في قلبه ويخالف هواه في التعلق بها فلا يخالطها ولا يحدثها حتى يصرف الله تعالى عنه هذا الابتلاء ؛ فإن ذلك مما قد يبتلى به المرء ويثاب إن عف نفسه ويحاسب إن أطاع هواه وارتكب المنهى عنه من كلام وخلوة.

فالحب عاطفة نبيلة إذا كانت بين زوجين تعفهما عن الحرام ، والحب حرام إن كان يدفع إلى انتهاك الحرمات ، وانتشار الموبقات .

الفتاة الملتزمة والحب

رأى الأستاذ نبيل خديجة تهمس في إذن سحر بشيء فقال وهو يبتسم : إن الفتاة الملتزمة أستاذة في الحب متفوّقة فيه على غيرها ؛ لأنها تحب حيث ينبغي أن تحب ، ومتى ينبغي أن تحب وأمسك بإحدى أوراقه وقال : يقول د. عبد الصبور شاهين : " الفتاة المتدينة لا تستخدم الحب سلعة تتاجر بها ، لكنها تدخره عاطفة طاهرة في علاقتها بزوجها ، في فترة حساسة تحتاج إلى المزيد من العواطف لتوثيق الروابط وبناء الأسرة ، ولذلك فهي أبعد الناس عن الحب " السوبر ماركت " الذي يعرض لكل من هب ودب والذي ينتهي غالباً بالاستهلاك والبحث عن جديد ، وينقل أستاذ دار العلوم حديثه من الفتاة المتدينة إلى الشاب الملتزم بأوامر دينه : إنه مثل الفتاة حريص على الأخلاق لأن الفتى والفتاة كليهما له عِرض يحرص عليه ويدافع عنه ويصونه من نزوات العبث وتصرفات المراهقة، وكما أن الفتاة تخشى أن تتعثر قدمها في تجربة تسيء إلى أخلاقها ودينها فكذلك الفتى يخشى أن تعثر قدمه في تجربة لا تعقب إلا الندم فالحب في حياة المتدين عاطفة شريفة وموقف بناء وطريق إلى السعادة الحقة لأنها عاطفة لا تغيب عنها رقابة الله . "

الشباب الماجن والحب والزواج

تناهى إلى سمع الأستاذ حديث بعض الطالبات : الأولاد والبنات يملئون الحدائق والمتنزهات .. كل الشباب لهم علاقات .. إن لم تكن علاقات مباشرة فعلى الأقل علي الإنترنت والتليفون ...

قطع الأستاذ الهمسات بحزم قائلاً : أما الشباب الماجن العابث فإنه لا يعرف للحب الحقيقي طريقاً فقد تاهت قدماه في مغامرات طائشة وعبث ومجون أفسد عليه روحه الطاهرة ، وقلبه الأخضر البريء ، وتعدُّد العلاقات بين الجنسين يعكِّر عاطفة الحب النبيلة بل يفسدها فإذا ما تزوج هذا الشباب بعد ذلك لا يجد الحب

الطاهر مكاناً في قلبه بعدما أفسدته العلاقات المحرمة قبل الزواج ولا يستمتع بهذه النعمة الكبيرة التي يستمتع بها كل مؤمن ادخر حبه لزوجته فتكون زوجته هي كل النساء لأنه لم يفتح قلبه إلا لها ولم تنطق شفتاه بكلمة حب إلا فيها ، ولم تر عيناه سواها فيدوم الحب بينهما ويؤلف الله تعالى بين قلبيهما ويبارك الله لهما ويبارك عليهما ويجعل الله تعالى بيتهما سكناً ومودة ورحمة فليس هناك علاقات فاسدة تطاردهما وتفسد عليهما حياتهما بمقارنتها بالحياة الجديدة ، وعلى العكس من ذلك من أطاع هواه ولم يصرف نفسه عن الهوى ، ولم يغض بصره عن الحرام ، فأقام علاقات مع من لا تحل له وخلا بهن وعابثهن فيصبح قلبه سلعة مستهلكة من كثرة ما تداولته الأيدي فلم يعد يحس للحب الحقيقي الطاهر طعماً فإذا تزوج بإحدى صديقاته القدامى – وهذا نادر ما يحدث إذ أن الشاب لا يقبل أن يتزوج فتاة أقام معها علاقة قبل الزواج فهي عنده غير مصونة العرض ، ولا مؤتمنة على الشرف – فإن حياتهما تصبح جحيماً من الشك والغيرة القاتلة فهو أولاً : لا يأمن على وفائها وإخلاصها له فربما حنَّت لعلاقة سابقة ، وربما ملت حياتها معه وتبحث عن علاقة جديدة فما يمنعها من هذا ولا ذاك مانع ؟ لن يمنعها إلا الخوف من الله والتحلي بالخلق القويم وهو شاهد على عدم اتصافها بهما فقد عصت الله عندما أقامت علاقة معه قبل الزواج وهى غير أمينة على شرفها فقد خانت أباها وأهلها وأقامت علاقة مع من لا يحل لها !

فإذا أقسمت له على إخلاصها فلن يصدقها فقد كانت تكذب على أبيها من قبل لتستر علاقتها به .

قالت روان مازحة : الأولاد لا يتزوجون من أقاموا معهن علاقة .

– وإن تزوج الشاب بمن لم يقم معها علاقة سابقة فإن علاقاته بغيرها تفسد عليه هناءته فكلما تذكر صاحباته ملّ زوجته فهذه كانت بارعة الجمال وتلك كانت خفيفة الظل وثالثة كانت ذات ثراء فاحش .. فتصغر في عينيه زوجته مهما كانت ذات حسن وجمال فما تملكه يد الهوائي تزهده نفسه .

قالت عبير بجرأة : ما هو الحب في نظرك يا أستاذ ؟!

– نحن إذ نتحدث عن الحب فنعنى به هذا الحب الطاهر الداعي إلى الزواج والذي لا يخالف صاحبه الشرع ، وليس الحب العابث اللاهي الذي هو من همزات الشيطان .

–آخر سؤال يا أستاذ .

– تفضلي يا عبير .

– من التي قالت ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾؟ [يوسف:٣٠] وما قصتها ؟

– امرأة العزيز .. سأحدثك عنها في مناسبة أخرى فأنا متعب فقد شرحت ست حصص كاملة اليوم ، والبركة فيكن !!

***

قصة يوسف الصديق مع امرأة العزيز

دخل الأستاذ الفصل وفوجئ بغياب عدد كبير من الطالبات فقال : أين بقية الطالبات ؟!

–بعضهن في الرحلة ، والأخريات غائبات .

– كم طالبة في الرحلة ؟

– تقريباً خمس أو ست .. خمس طالبات .

– إذن نسبة الغائبات كبيرة .

– غِبْنَ لأنهن يعلمن أن الأساتذة لن يشرحوا دروساً جديدة اليوم .

قال الأستاذ مازحاً : ولماذا حضرتن إذن ؟!

–نحن طالبات ملتزمات .. هرباً من عمل البيت .. لأرى صديقاتي .. لتكمل لنا موضوع الأمس .

– ولكن عندنا اليوم حصتين لغة عربية ، وليس هناك حصة دين ، ونحن لا نناقش القضايا الدينية إلا في حصة الدين فقط لوجود طالبات مسيحيات .

– لا يوجد اليوم طالبات مسيحيات ؛ واحدة في الرحلة ، والأخريان غائبتان .

– أنت تريدين إذن تحويل حصتي اللغة العربية إلى حصتي دين !

قالت عبير مازحة : حضرتك لن تشرح شيئاً في اللغة العربية ؛ لأن عدد الطالبات الغائبات كبير ، وإذا شرحت شيئاً ستضطر إلى إعادته مرة ثانية .

ضحك الأستاذ وقال : وعن أي موضوع تريديني أن أتحدَّث ؟

– قصة سيدنا يوسف مع امرأة العزيز ؛ فقد وعدتنا أن تحكيها عندما تحين مناسبة ، وليس هناك مناسبة أفضل من اليوم .

– ولكن سارة غائبة اليوم وهي كما تعلمين أكثركن اهتماماً بقضايا المرأة ، وسوف تطالبني بإعادة القصة مرة ثانية .

– أولاً قصة سيدنا يوسف لا علاقة لها بقضايا المرأة التي تسأل عنها سارة ، ثانياً هذا الموضوع ...

قال الأستاذ مازحاً : ثانياً هذا الموضوع مثار اهتماماتك أنتِ .

–والله يا أستاذ أنت تظلمني ، كلهن يردن الحديث في هذا الموضوع ...

– وأنت المُعبِّرة عن رغباتهن ؟!

– نعم .. والله يا أستاذ .. ويتظاهرن أمام حضرتك بأنهن ...

أخرج الأستاذ التفسير الوجيز الذي يحتفظ به دائماً في حقيبته ، وفتحه على سورة يوسف وبدأ يشرح قصة يوسف وامرأة العزيز .

محنة الشاب الصالح

– لقد ضرب الله تعالى لنا المثل في القرآن بمن عفَّ نفسه عن الحرام وفضَّل السجن على الوقوع في الزنا وغواية النساء مع أنه كان شاباً في شرخ الشباب فكان جزاء صبره وعفته أن مكَّن الله له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، أما من انساقت وراء حبها ، وراودت من أحبت عن نفسه فقد كشف الله ستره عنها ، وألزمها الذل والصَّغار ، فالعفة والصبر على الهوى رفعا صاحبهما لدرجة الصديقين ، واتباع الهوى وعدم الصبر عليه قد جعل الأعزة أذلة .

﴿وَرَاوَدَتْهُ التي هُوَ في بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاى إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف : ٢٣] .

رفض الشاب التقى الورع الفقير عَرْض المرأة ذات المنصب والمال والجمال ، وقد تهيَّأت له في زينتها ، وأحكمت إغلاق الأبواب حتى لا يخاف أحداً يفاجئه ، ولم تترك شيئاً من دواعي الزنا إلا فعلته ، ومع ذلك عفَّ يوسف الصديق نفسه عن الحرام واستعاذ بالله من غواية المرأة . فلما وجدت منه الإعراض والعفَّة قررت إجباره على المعصية قهراً فجذبته بقوة من قميصه وقاومها بكل قوته لدرجة أن قميصه قد تمزَّق ، ولم يستجب لها لا غنجاً ودلالاً ، ولا عنفاً وإجباراً .

–ولكن أنا أعرف أن سيدنا يوسف قد همَّ بها كما همَّت به .

– بعض الناس يسيء فهم قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ويتهم سيدنا يوسف بأنه كان عازماً على فعل الفاحشة لولا أن الله تعالى أنقذه منها ، والحقيقة أن همَّ سيدنا يوسف كان همّاً عارضاً ولم يكن همّاً عازماً بخلاف همِّ امرأة العزيز الذي كان همّاً عازماً ولقد اعترفت امرأة العزيز بأنها كانت عازمة على ارتكاب الفاحشة ومازالت على عزمها ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ .

– وما الفرق بين الهمِّ العارض والهمِّ العازم يا أستاذ ؟

الهمُّ العارض والهمُّ العازم

– هناك فرق كبير بين الهمِّ العارض والهمِّ العازم . فالهمُّ العارض هو ما يخطر في النفس ولا يثبت في القلب ؛ وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخَلْق، إذ لا قدرة للإنسان على دفعه . فهو وسوسة شيطان أو هوى نفس لكنه لا ينعقد في القلب بل يستعيذ المؤمن منه بالله ، ويجاهد بتقوى الله هواه فيكافئه الله تعالى بفرحتين : فرحة عاجلة ، وفرحة آجلة . فرحة عاجلة وهى حلاوة يجدها في قلبه كما قال رسول الله ﷺ "النظرةُ سَهمٌ مَسمومٌ مِنْ سهامِ إبليسَ مَنْ تركَها مِنْ مخافةِ اللهِ أعطاهُ اللهُ إيمانًا يَجدُ حلاوتَهُ في قلبِهِ " [أخرج الحاكم وصححه عن حذيفة] .

أما الفرحة الآجلة ففرحته بحسنات يجدها في كتابه يوم القيامة . وهذا النوع هو الذي قال فيه النبي ﷺ " ... ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعمَلْها كتبها اللهُ له عنده حسنةً كاملةً .." [متفق عليه] .

أما الهمُّ العازم فهو انعقاد النية والتماس كافة الأسباب الموطئة للفعل وهو نوعان : همٌّ عازم لفعل خير وهذا يثاب المرء عليه وإن لم يفعله – إن كان هناك مانع شرعي – والأخر هو الهمُّ العازم لفعل شر وهذا يُحاسب الإنسان عليه وإن لم يفعله بسبب مانع قهري خارج عن إرادته .

فامرأة العزيز عزمت على ارتكاب الفاحشة مع سيدنا يوسف ورتَّبت الأمر وخطَّطت له فغلَّقت الأبواب وتزيَّنت و.. لكن رفْض يوسف لإغوائها ودخول العزيز عليهما حالا دون ارتكابها الفاحشة فبعزمها هذا آثمة ، أما يوسف فكان همه همّاً عارضاً ولم يكن عازماً لذا قال لها يوسف ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

– هذه أول مرة أسمع فيها هذا التفسير .. أكمل يا أستاذ بارك الله فيك .

– انتشر خبر حب امرأة العزيز ليوسف ومراودتها له عن نفسه وتحدَّثت بذلك النساء في مجالسهن وأنكرن عليها فعل الفاحشة .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف : ٣٠] .

وهذه الآية التي ذكَّرتنا بها خديجة عن فتنة المرأة بالرجل .. أليس كذلك يا خديجة ؟!

غضَّت خديجة طرفها وطاطأت رأسها : ....

وهناك موضع آخر يُظهر حبَّ فتاة لرجل حبّاً عفيفاً طاهراً ورغبتها في الزواج منه .

–ما هذا الموضع يا أستاذ ؟

– سأحثكن يا عبير عنه في مناسبة أخرى ودعيني أكمل قصة سيدنا يوسف .

قالت خديجة وقد غضَّت طرفها : أين هذا الموضع في كتاب الله ؟

- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾[القصص:٢٦] .

- لكن ليس في الآيات ما يدل على حبها له .

- في مناسبة أخرى سأذكر لك القصة كاملة وماذا قال فيها المفسرون .

النفس الأمارة بالسوء والحب

قالت عبير : أكمل لنا قصة سيدنا يوسف أولاً ، ثم احك لنا هذه القصة بعد ذلك .

- لما بلغ امرأة العزيز معرفة بعض نساء المدينة محاولتها ارتكاب الفاحشة مع خادمها وإنكارهن عليها ذلك قررت أن تفتنهن بمن فتنت هى به حتى يعذرنها ولا ينكرن عليها .

﴿فلما سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فلما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف : ٣١] .

فلما فُتن به – وحب من لا يحلُّ لكَ فتنة من الله – وقطعن أيديهن ...

دق جرس الحصة الثالثة .

قالت عبير : أكمل يا أستاذ حضرتك عندنا هذه الحصة أيضاً .

-اتركوني أستريح خمس دقائق بين الحصتين .

قالت عبير مازحة : لن نتركك أكمل يا أستاذ وقل لنا كيف قطعت النساء أيديهن ؟

- قطعن أيديهن دون أن يشعرن من فرط جمال يوسف واستيلاء الشيطان على قلوبهن فولا إذ رأينه غضضن أبصارهن كما أمر الله تعالى ؛ لحفظهن الله من الغواية ولما قطعن أيديهن لكنهن زغن فأزاغ الله قلوبهن – وفي هذا درس فاحفظنه – وعند ذلك قالت امرأة العزيز مبررة غوايتها ومعترفة بجريمتها .

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ﴾ [يوسف:٣٢]

ومع ذلك لم تفقد الأمل في استجابته لرغباتها الشريرة وقررت أن تستخدم وسيلة ثالثة وهى تهديده بالسجن بعدما فشلت الوسيلتان الأخريان: الدلال، والإجبار.

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف : ٣٢] .

لكن من ذاق حلاوة الإيمان وأحب الله وشرعه ليستعذب السجن في طاعة الله على النعيم في معصيته .

السجن أرحم من فتنة النساء

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَى مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ﴾ [يوسف : ٣٣] .

لكن نسوة المدينة – من الطبقة الأرستقراطية – رُحْنَ يطاردنه بحبهن في كلِّ مكان ويعرضن عليه أنفسهن مستخدمات كل ما في جعبة النساء من غواية – وهو كثير – ومستخدمات ما عندهن من أسلحة – وهى فتَّاكة – في الإيقاع به في حبائلهن وهنا يلجأ المؤمن إلى الله فهو خيرٌ حافظاً ؛ ليصرف عنه السوء والفتن والغواية ، والله دائماً سميع لدعاء المؤمن عليم بحاله قدير على إجابته إلى ما فيه صلاحه .

﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف : ٣٣- ٣٤] .

جزاء العفة والصبر عليها

ويدخل يوسف السجن ظلماً بسبب كيد النساء إن كيدهن كان عظيماً ، ولكن الحق لابد أن يظهر وإن كثر الباطل ، ولابد للفجر أن يطلع ولو طال الظلام – هذه سنة الله في خلقه فاصبر – ويرى الملك رؤياه العجيبة ويخبره ساقيه – صاحب يوسف في السجن – بعلم يوسف تأويل الأحاديث فيطلب الملك إحضار يوسف من السجن ليفسِّر له رؤياه، لكن يوسف الصديق يرفض أن يخرج من السجن إلا مرفوع الرأس عالي الهامة وأنه ما دخل السجن لأنه خائن داعر إنما

دخله لأنه أمين طاهر ؛ فيطلب من الرسول الذي أرسله الملك أن يفتح الملك التحقيق في قضية دخوله السجن مرة أخرى وأن يحقق مع نسوة المدينة اللاتي قطعن أيديهن ، ومكرن به السوء .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ فلما جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٠] .

ويفتح الملك التحقيق مرة ثانية ويباشر التحقيق بنفسه ويستجوب الشهود بنفسه – وهذا ما ينبغي أن يفعله كل حاكم ألا يكتفي بالتقارير ترفع إليه من عماله بل يباشر أحوال الرعية بنفسه قدر جهده وهذا درس لكل مسئول فاحفظن – وتعترف نسوة المدينة بجريمتهن وبمراودتهن ليوسف عن نفسه كما يعترفن ببراءة يوسف مما نسب إليه زوراً .

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف : ٥١] .

ولما وجدت امرأة العزيز أن الأمر قد اتضح ، وأن المستور قد افتضح ، وأن الإنكار لن يفيد اعترفت بجريمتها .

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف : ٥١] .

وعَزَت امرأة العزيز جريمتها لإطاعتها نفسها الأمارة بالسوء التي تأمر من لم يعتصم بالله إلى كل حرام ، أما من اعتصم بالله ونهى النفس عن الهوى فلا سلطان لنفس عليه ولا لشيطان ، ولا لكائن من كان .

﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف : ٥١] .

ويخرج يوسف رافع الرأس ، موفور العرض ، برئ الساحة ، مطاع الأمر ، ويقول له الملك تمنى عليَّ فما تتمناه فهو مجاب فيطلب من الملك أن يجعله وزيراً

فيجيبه الملك إلى طلبه ويطلق يده في حكم مصر فمن أجدر لتولى هذه المناصب من يوسف الصديق حافظ الأمانة العالم بشرع الله وبأحوال الناس طاهر الذيل عفيف النفس .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فلما كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٤] .

وبعفة يوسف وصبره وإيمانه وأمانته استحقَّ أن يمكَّن الله له في الأرض يتبوأ من نعيمها ما يشاء ، ويتزوج بامرأة ذات شأن عظيم " ويقال : إن زوج زليخا – امرأة العزيز – كان قد مات، فولاه الملك مكانه، وزوَّجه امرأته زليخا، فكان وزير صدق " .

وفي هذا دليل على أن من يترك الحرام مخافة الله يرزقه الله بخير منه أو مثله بالحلال .

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٦]

كان هذا أجره في الدنيا أما أجر الآخرة فأكبر درجات وأكبر تفضيلاً .

﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف : ٥٧]

هذه قصة من عفَّ نفسه عن الحرام ﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٨] .

–احك لنا القصة الأخرى .

– أية قصة ؟

– القصة التي كنت تتحدث فيها مع خديجة .

– لا .. يكفي هذا اليوم ، وفي مناسبة أخرى إن شاء الله سوف أحكيها لَكُنَّ .

* * *

الزواج العرفي

قال الأستاذ نبيل : لقد انتشرت ظاهرة خطيرة بين الشباب وأردنا أن ننبه الطالبات إليها إنها ظاهرة الزواج العرفي ، ولقد طلبت الأستاذة وهيبة مني عقد محاضرة للحديث فيها فاقترحت عليها أن ندعوا صديقي د. حسن مرعي للحديث في هذا الموضوع فهو أجدر مني بالحديث فيه فليتفضل .

– أشكر أخي الأستاذ نبيل الذي يشرفني بدعوة المدرسة لي لعقد بعض الندوات ، وأعجب كيف تدعوني المدرسة لعقد محاضرة في مدرسة فيها الأستاذ نبيل !

أَحـرَامٌ على بَلابِلِهِ الدَّوْحُ *** حلالٌ للطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ ؟

كُلُّ دَارٍ أَحَـقُّ بالأَهْلِ إلا *** في خبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجْسِ

– أولاً : أنت من بلابل الدوح ، ومن أهل الدار ، ثانياً : أنت أهلٌ للدعوة والحديث ، ثالثاً : لقد ملَّت الطالبات من كثرة أحاديثي إليهن في الفصول ، وإذاعة المدرسة ، والندوات ...

تعالت أصوات الطالبات ينفين مللهن من أحاديث الأستاذ نبيل ، ويثنين عليه ، وعلى أحاديثه القيمة .

قال الأستاذ نبيل : تفضل يا دكتور .. نحن في شوق لسماع حديثك .

المراهقون والحب

– كثير من الشباب والمراهقين يظنون كل عواطف أو أحاسيس حباً لذا نسمع عجباً نسمع صبياً – أو صبية – في الثالثة أو الرابعة عشرة يتحدث عن الحب وأن له – أو لها – علاقة حب مع الجنس الآخر أما إذا بلغ الشاب العشرين من عمره ولم يمر بعلاقة حب عُدَّ من الشواذ المعقدين !

ويُعْزَى هذا الفهم الخاطئ للعواطف نحو الجنس الآخر إلى الأفلام والأغاني والروايات الرومانسية التي يغرم الشباب بمشاهدتها أو قراءتها في هذه السن ، ويعيش الشاب في دور العاشق ويسهر الليل ويعد النجوم ويتقلَّب على جمر النار من جرَّاء الصدِّ والهجران وهذا كله وَهْم يرجع إلى سوء التربية من الأهل ومن القائمين على العملية التعليمية ووسائل الإعلام والترفيه ، إذ لو بُصِّر الشاب – بطريقة علمية دينية – بحقيقة المرحلة التي يمر بها ، وإذا غمر الوالدان أولادهم بالحب والعطف وأشبعوا عندهم عاطفة الحب التي تتفجر في سن المراهقة ما حدث ما يحدث ونراه كل يوم من أن أكثر من ٨٠% من الشباب لهم علاقات غرامية يخلون فيها بمن يحبون وكثيراً ما يحدث ما لا تحمد عقباه من جراء هذا الاختلاط .

سمات مرحلة المراهقة

إن مرحلة البلوغ تبدأ كما يقول علماء النفس بتغيرات داخلية وخارجية تصحبها خصائص فسيولوجية ، وميول اجتماعية ، وعاطفية واتجاهات جنسية ، والمراهق يتعلَّق عاطفيّاً بمن يكبره سناً من الجنس الآخر فيتعلَّق المراهق بمُدَرِّسته، أو إحدى الفنانات أو إحدى قريباته أو جيرانه ، ويلاحظ أنها في البداية تكون أكبر سناً منه ثم تتحوَّل هذه العاطفة إلى فتاة في مثل سنه زميلة ، جارة ، قريبة ..، والشيء نفسه يحدث للمراهقة فتتجه عواطفها للفنان : ممثل أو مغن ، أو رياضى مشهور : لاعب كرة أو تنس أو سباحة .. ، أو مدرس ، أو قريب ، أو جار .. ثم تتحوَّل عاطفة المراهقة إلى من في مثل سنها : زميل ، قريب ، جار .. وغالباً ما تكون هذه العاطفة متقلِّبة وموزَّعة على أكثر من شخص ، كما تمتاز في البداية بالنزعة الرومانسية التي تخلو من أية رغبات جنسية ، كما أنها تمتاز بالمثالية وبعدها عن الواقعيَّة والمنطقيَّة ، وعندما تصطدم هذه العواطف بالواقع والمعايير الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية ، يلجأ المراهق إلى العزلة والانفراد بالنفس

لأن المجتمع لا يحقِّق لـه ما يريد فيرفضه ويلجأ إلـى أحـلام اليقظـة لحل مشاكله التـي يعجز فـي الواقـع عن تحقيقها ، فيصنع لنفسه عالماً خاصاً به يصنع فيه ما يحـب مـع مـن يحـب ، وينـتقم فيـه ممـن يقفـون عقبـة فـي سـبيل أحلامـه ، وأحـلام اليقظـة وإن كانـت تخفـف عـن المراهق بعض تـوتره النفسي فـي البدايـة ، لكـن إن استسلم لها المراهق وأصبح أسيراً لخياله وبعيداً عن الواقع ، وترك السعي كوسيلة عمليَّة لتحقيق أحلامـه، فإن أحـلام اليقظـة هذه تؤدى بصاحبها إلـى السلبية وإلـى الكـذب الـذي يلجـأ إليـه المراهـق ليعـوض بـه مـا عجـز عـن تحقيقـه فيظـل يكـذب ويكـذب حتـى يـصدق نفـسه وينـسى الواقـع الحقيقـي وتـصبح عنـده شخـصيتان : شخـصيَّة واقعيَّـة يبغـضها ويـبغض مـا يـذكره بهـا ، وشخـصيَّة مـن صـنع خيالـه وأكاذيبـه يحبهـا ولا يتخيَّل نفسه بـدونها ، وفـي النهايـة لا يـستطيع العـيش بهـاتين الشخـصيتين المتناقـضتين ، ولا بهــذه الازدواجيــة فيقــرَّر الــتخلص مــن إحــدى الشخـصيتين ، فإمـا يـتخلص مـن الشخـصية المتخيَّلـة ويواجـه الواقـع ويحـاول أن يحقـق أحلامـه أو جـزءاً منهـا بـسعيه واجتهـاده ، ويكـون هـذا ممكنـاً إذا وجـد مـن الأسـرة ، والمدرسـة ، والمجتمـع العنايـة الكافيـة فـي توجيهـه الوجهـة السليمة وتفهم طبيعة المرحلة التي يمر بها ومساعدته على عبورها بسلام ، أما إذا لم يجد ممن حولـه المـساعدة ، ولـم يـتفهم حقيقـة المرحلـة الـسنية التـي يمـر بهـا يظـل رافـضاً لشخصيته الواقعية ، ومتمسكا بشخصيته المتخيلة فإنـه يقرر التخلص فـي النهايـة من شخصيته الواقعية البغيضة وهذا معناه أنه يقرر الانتحار .

سَرَت غَمْغَمَـة بين الطالبـات وتبـادلن الهمسات والتعليقـات فقـال الأسـتاذ نبيـل : الهـدوء .. الهـدوء مـن فـضلكن ، ومـن كانـت لهـا سـؤال أو تعليـق تكتبـه وتقدمـه للدكتور حسن وسوف يجيبها عنه في نهاية المحاضرة .. تفضل يا دكتور .

ثـم مـال عليـه هامساً فـي أذنـه : أذكرك بموضـوع المحاضـرة الأساسـي هـو الـزاوج العرفي .

فردَّ عليه د. حسن همساً : أنا أعرف ولكن هذه مقدمة ضرورية تبين أسباب نشأة هذه الظاهرة ، والتفت د. حسن إلى الطالبات وأكمل قائلاً : وبسبب جهل المراهق بطبيعة المرحلة التي يمرُّ بها وبسبب غيبة دور الأسرة، والمدرسة ، والمجتمع ، فإن المراهق يكون دليله في هذه المرحلة الخطيرة هو عواطفه وميوله الخاصة وآراء أصدقائه وهى تغذى فيه هذه الميول وتدعمها ، ويأتي دور الإعلام الفاسد ، والأدب الداعر ليزكى فيه نوازع الانحراف العاطفي والسلوكي ويرشده إلى طريق الرذيلة التي تبدأ بإقامة علاقات غرامية بين الجنسين باسم الحب ، وتنتهي بالزنا والمخدرات والجريمة ..

شروط الزواج الشرعي

في السنوات الأخير لجأ بعض الشباب إلى حيلة شيطانية وهى الزواج العرفي ليضفوا على ما يمارسونه من الزنا وممارسات فاحشة صفة الشرعية ، والشرع براء مما يفعلون فما يفعلون إنما هو الزنا المُحرَّم ولا علاقة له بالزواج الشرعي، فهم يعدون الورقة التي يكتبها شاب لفتاة يعترف فيها بالزواج منها ويوقِّع عليها صديقان لهما هم يعدُّون هذا العبث وثيقة زواج شرعية !!

والزواج الشرعي لابد فيه من :

١- موافقة ولى أمر الفتاة فلا نكاح بدون ولى لقوله تعالى : ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] .

وصحَّ عن النبي ﷺ قوله " لا نِكَاحَ إلاَّ بِوَلِيٍّ " [رواه أحمد وأصحاب السنن]

وعنه ﷺ أنه قال : " لا نِكَاحَ إلا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَين "

[البيهقى والطبرانى وابن حبان]

وقد ذكر النبي ﷺ صراحة أن المرأة إذا زوَّجت نفسها بغير إذن وليها فإن زواجها باطل وأكد ذلك بتكرار كلمة باطل ثلاثاً .

" أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَالْمَهْرُ لَهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا فَإِنْ تَشَاجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ " [رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم] .

الكفاءة بين الزوجين

وقد أجمع العلماء على أنه لا يحلُّ للمرأة أن تزوج نفسها بنفسها بلا ولى ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الإمام أبو حنيفة الذي أباح أن تزوج المرأة البالغ الرشيد نفسها بشرطين :

(أ) أن تتزوج بكفء والكفاءة هي مساواة الرجل للمرأة في أمور مخصوصة، منها :

١- النسب (المكانة الاجتماعية) .

٢- الإسلام .(فلا يحلُّ أن تتزوج بغير مسلم) .

٣- الحِرْفة (العلم والثقافة وطبيعة العمل) .

٤- الديانة (المستوى الديني والأخلاقي) .

٥- المال (الحالة الاقتصادية) .

كما أن من يتركون الصلاة ويعلنون أنهم لا يصلون ولا يصومون، فإن هؤلاء ليسوا أكفاء للصالحات وبنات الصالحين، فإذا تزوجت واحداً من هؤلاء كان للولي الاعتراض وفسخ العقد .

والكفاءة شرط لنفاذ العقد ولزومه فإذا زوَّجت المرأة نفسها لمن هو دونها في أمر من الأمور الخمس المذكورة كان لوليها حق الاعتراض على العقد، فلا ينفذ حتى يرضى ، أو يفسخه القاضي .

أما الشرط الثاني الذي اشترطه أبو حنيفة لزواج البالغ الرشيد نفسها :

(ب) أن يكون لها مهر المثل أي مهر فتاة من أهلها أو أقاربها كأختها أو ابنة عمها أو ابنة خالتها ... اللاتي في مثل سنها ، وتعليمها ، ووضعها الاجتماعي ، والاقتصادي ، والتعليمي ، والجمال ..

وقد جاء في فتاوى الأزهر الشريف .

" أنه إذا كان كامل الأهلية أنثى ولها ولى عاصب لا يكون تزويجها نفسها صحيحا نافذاً لازماً إلا إذا كان الزوج الذي يريد التزوج بها كفئاً لها والمهر المشروط هو مهر مثلها حتى لا يعير وليها العاصب بمصاهرة غير الكفء أو بنقصها عن مهر مثلها ومهر المثل هو مهر امرأة من قوم أبيها كأختها وعمتها وبنت عمها تساويها وقت العقد سناً وجمالاً ومالاً وبلداً وعصراً وعقلاً وديناً وأدباً وخلقاً وعلماً وبكارة أو ثيوبة وعدم ولد فإن لم توجد واحدة من قوم أبيها تساويها في هذه الصفات ينظر إلى مهر امرأة أجنبية تساويها في هذه الصفات . "

ومما سبق يتبن لنا جليّاً أنه حتى عند أيسر المذاهب المتساهلة في الزواج – المذهب الحنفي – فإن الكفاءة ، ومهر المثل شرطان لنفاذ العقد ولزومه فإن فقد العقد كلا الشرطين أو أحدهما فإن من حق وليها فسخ العقد . فما بالكم إذا كان هذا العقد غير قانوني وغير معترف به عند التقاضي كما هو الحال فيما يسمى بالزواج العرفي بصورته الحالية .

صفات الشاهد على الزواج

نأتي إلى الشرط الثاني من شروط صحة الزواج وهو الإشهاد عليه على الأقل شاهدي عدل فعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: " لا نكاح إلا بولي وشاهدين "

فشاهدا العدل شرط من شروط صحة الزواج فما المقصود بالعدالة وما هي الشروط الواجب توافرها في شاهد العدل حتى تصح شهادته ؟

إن المسلمين اتفقوا على اشتراط العدالة في قبول شهادة الشاهد لقوله تعالى ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢ ولقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ

مِنْكُمْ ﴾ [الطَّلاق:٢] واختلفوا فيما هي العدالة؛ فقال الجمهور: هي صفة زائدة على الإسلام – أي بالإضافة للإسلام – وهو أن يكون ملتزماً لواجبات الشرع ومستحباته ، مجنباً للمحرمات والمكروهات .

وعليه فإن الشاهد العدل الذي تصح شهادته يجب أن يكون ملتزماً بواجبات الشرع يؤدى فرائض الإسلام من صلاة وصيام وتمسك بشرع الله ومستحباته .

كما اشترط العلماء في الشاهد العدل أن يجتنب المحرمات مثل : الزنا ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين، والكذب ، وشهادة الزور ، والقمار ، وقذف المحصنات، والسرقة ، واليمين الغموس[١] ، والتشبه بالنساء ، والدياثة[٢] ، والنمّ ، والغدر ، وتصديق الكاهن والمنجم ، وإيذاء الجار ، ولبس الحرير والذهب ، والجدل والمراء...

فهل من يشهد على مثل هذا الزواج العرفي تنطبق عليهم شروط العدالة ؟

اللهم لا .. فهم أبعد ما يكونون عن العدالة فكثير من فرائض الشرع هم لها مضيعون ، وكثير من المحرمات هم لها فاعلون ، أما المستحبات فلا يكادون يسمعون عنها ، وكذلك المكروهات ، ويكفي لسقوط عدالتهم أنهم ممن لا يقيمون الصلاة وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى ، ولا يبرون والديهم ، ولا يصدقون في الحديث ، ويتشبهون بالنساء ، ويؤمنون بالأبراج والنجوم ، ولا يغضون البصر ، ولا يستحون من الله ، وهم متصفون بالدياثة ... فكيف يؤتمن على أعراض الناس فاسق فاقد العرض مطعون الشرف !!

---

(٢) "اليمين الغموس : اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها علما بأن الأمر بخلافه وسميت غموس لأنها تغمس صاحبها في الأثم ثم في النار " القاموس المحيط

(٣) قال رسول الله ﷺ : " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَيُّوثٌ " والديوث هو الذي انعدمت شهامته وغيرته على عرضه فأصبح لا يبالى بمن يدخل على أهل بيته ومن يخرج ولا يهمه سلوك نسائه وبناته بل يسكت على المهانة ويرضى بالدون ويقر الخطيئة في أهله فهذا من أبغض الناس عند الله يوم القيامة ولن تنفعه عبادة ، ولا طاعة ولا قربة يتقرب بها إلى الله ما دام فيه هذا الداء الخطير "

نكاح السر ومأساة الفتاة

كل ذلك إن كان الزواج مشهراً معروفاً فإن كان في السر كما هو حال الزواج المسمى – خطئاً – عرفيّاً كما يفهمه طلاب المدارس والجامعات فإنه إلى جانب افتقاده إلى الشرطين السابقين وهما الكفاءة ، ومهر المثل ، فإنه يفتقد إلى شرط صحة وهو الإشهار حيث يتم دون علم أحد من أهل الفتاة وأهل الفتى ويظل في طي الكتمان ، حتى تحدث كارثة تكشفه كحمل الفتاة ، أو رغبة الفتى في قطع العلاقة – بعدما وصل إلى ما أراد – وفي هذه الحالة تضطر الفتاة إلى مصارحة أهلها بهذه الكارثة التي تنزل على العائلة كالصاعقة فهم لا يتوقعون أن ابنتهم تعرف شيئاً عن الجنس الآخر فضلاً عن إقامة علاقة معه أما أن تصل الأمور إلى الزنا فهذا مما لم يخطر لهم على بال فقد أرسلوا ابنتهم إلى المدرسة أو الجامعة لتتعلم وبذلوا في سبيل ملابسها ودروسها ومصاريفها كل ما يملكون لتصبح ابنتهم طبيبة أو مهندسة أو ذات مؤهل جامعي يفاخرون به ويهيئ لها الزواج برجل ذي خلق ودين وعلم يفاخرون به فإذا بها تجلب عليهم العار الذي ليس بعده عار إنها تضع رءوسهم في الوحل إلى أبد الآبدين فإذا ما حاولوا إصلاح هذه الجريمة والخروج من هذا المستنقع الآسن فلا يستطيعون فمرتكب الجريمة مع ابنتهم فتى غرير مازال يأخذ مصروفه من أبيه وأمامه ما لا يقل عن خمسة عشر عاماً حتى ينتهي من دراسته ومن البحث عن وظيفة ، ومن العمل ، والادخار ، والحصول على شقة ، وتجهيزها ، وإتمام الزواج على فرض إنجاز كل مرحلة بنجاح دون معوقات !!

فلما كان هذا الحل مستحيلاً أو شبه مستحيل فالحل الآخر إنهاء هذه العلاقة الآثمة وكأن شيئاً لم يكن لكن هذا الحل مستحل أيضاً لأن هذه العلاقة ليست زواجاً ينتهي عند الخلاف بالطلاق إذ لم يكن هناك زواج ابتداء حتى يكون هناك طلاق هذا إذا وافق الشاب على هذا ، الحل الثالث اللجوء إلى القضاء للتفريق بين الزانيين لكن المحكمة لن تسمع دعوى الزوجية عند إنكار الزوج إلا بوثيقة زواج رسمية .

الزواج غير الموثّق والقانون

فقد نصت المادة ٩٩ من المرسوم بقانون ٧٨ لسنة١٩٣١في فقرتها الأخيرة " ولا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة زواج رسمية " .

وحيث إنه ليس هناك وثيقة زواج رسمية في القضية محل النزاع فإن الدعوى ترفض ، والحل الأخير أن يتجاهل الأهل هذا الزواج وكأنه لم يكن ويغروا أي شخص بالزواج من ابنتهم الزانية مهتوكة العرض، فإن وجدوا من يرضى بها على هذه الحال فإن صديقها القديم يستطيع أن يقدم ورقة الزواج العرفي إلى النيابة متهماً خليلته بأنها تريد الجمع بين الأزواج فهي على ذمته بموجب ورقة الزواج العرفي التي معه ، وهكذا فإنها مشكلة لا حل لها .

ولقد حاول المشرع أن يجد حلاً لآلاف الفتيات اللاتي سقطن ضحايا لهذا الزواج الباطل فأصدر المادة ١٧ من القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ التي تنص على " لا تقبل الدعاوي الناشئة عن عقد الزواج إذا كان سن الزوجة يقل عن ست عشرة سنة ميلادية أو كان سن الزوج يقل عن ثماني عشرة سنة ميلادية وقت رفع الدعوى ولا تقبل عند الإنكار الدعاوى الناشئة عن عقد الزواج في الوقائع اللاحقة علي أول أغسطس سنة ١٩٣١ ما لم يكن الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية ومع ذلك تقبل دعوى التطليق أو الفسخ بحسب الأحوال دون غيرهما إذا كان الزواج ثابتاً بأية كتابة . " .

فقد سمح هذا القانون بفسخ عقد الزواج العرفي حتى يسمح للفتيات بالزواج من آخر بعد أن كن مثل البيت الوقف .

موقف الإسلام مما يسمّى الزواج العرفي

وعلى ذلك يكون هذا الزواج – مجازاً – زواجاً باطلاً باطلاً باطلاً ، للأسباب الآتية :

١- أنه تم دون إذن ولى الفتاة .

٢- أن الفتاة لم تأخذ مهر المثل .

٣- أن الشهود عليه لا تتحقق فيهم شروط العدالة .

٤- أنه غير مشهر إنما تم في السر ولم يعلن .

٥- أنه غير موثق بوثيقة زواج رسمية .

والشرط الأخير يفقد الزواج العرفي صفة الشرعية القانونية إلى جانب عدم شرعيته الدينية ؛ فهذا الزواج – الباطل – لا يثبت عند إنكار الزوج له لا نسباً ولا ميراثاً ، ولا حقوقاً للمرأة فحتى القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ لا يحوِّل الزواج العرفي إلى شرعي إنما فقط يفسخ العقد ليسمح للفتاة بالزواج فقط .

وعليه فهذه الورقة التي يشهد عليها طالبان لا تساوى ثمن الحبر الذي كتبت به ، وهذه العلاقة المترتبة عليها هي علاقة آثمة وهي الزنا الفاحش ، وأتحدى أن يرتضى شاب ممن قاموا بهذا الزنا على أخته أو أمه الزواج بهذه الطريقة الآثمة .

اللهم إنى أبرأ لك مما يفعل هؤلاء الفسقة الفجرة الذين استحلوا حرماتك ، وانتهكوا أعراض إمائك ، وأشاعوا الفاحشة في المجتمع ، اللهم اكشف سترك عنهم اللهم وافضحهم .

– نشكر د. حسن مرعي لقد استوفى الموضوع من كافة جوانبه لدرجة أن الأسئلة التي وردت إلينا من الطالبات قد أجاب عنها أثناء كلامه .

***

النساء وفتنة الرجال

الاختلاف طبيعة بشرية

فور دخول الأستاذ نبيل التفَّت حوله بعض الطالبات وقلْنَ له : لا بد أن تُعيد علينا ما قلته ونحن غائبات .. أنا كنت في الرحلة .. وأنا كذلك ، فقال الأستاذ نبيل : إن شاء الله .

صاحت الطالبات فرحاً فأكمل : ولكن بعد أن ننتهي من شرح الدرس المقرر .

تعالت اعتراضات الطالبات ولكن الأستاذ نبيل قال بصرامة : لقد أضعنا عدة حصص للحديث في قضايا غير مقررة عليكن وأنا لن أضيع هذه الحصة أيضاً دون أن أشرح الدرس المقرر ، فأنا ملزم بمنهج لا بد أن أتمه .

– تفضل يا أستاذ لكن بالله عليك لا تُطِلْ .

– درسنا اليوم عن الاختلاف طبيعة بشرية : إذا كان التنوع والاختلاف طبيعة بشرية فمن أبرز المظاهر الدالة على هذا التنوع اختلاف اللسان واللون والعِرق ؛ ليكون دافعاً إلى التفاعل الإنساني قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣] ويتجلَّى ذلك الاختلاف بوضوح في اللغة والعادات والأعراف والعقيدة والفكر والمصالح والغايات والتفكير والمشاعر والأحاسيس ؛ لذا كان لزاماً على بني آدم أن يعالجوا مثل هذه الاختلافات بالطرق الحضارية والسلمية ، أن يتدبروها بشكل إنساني بعيداً عن التعصب والتطرف الفكري ويحددون الضوابط الكفيلة للحد من النزاعات والخلافات ، مما حدا بهم إلى

الاصطلاح على مفاهيم وقوانين وضوابط مكنتهم فيما بعد من التوافق والتعايش في جو من السلم والمحبة والتآخي ...

عند هذا الحد كانت غمغمة الطالبات وهمساتهن قد غطَّت على صوت الأستاذ فقال لهن وهو يبتسم : نكتفي بهذا القدر من الدرس .

وهنا تعالت صيحات الطالبات مستحسنة كلام الأستاذ . ثم صمتن كأن على رؤسهن الطير .

قال الأستاذ نبيل : سوف أجيب عن أحد أسئلة سارة .

- أكمل لنا يا أستاذ موضوع الحب .
- هذا الموضوع له علاقة بالحب أيضاً .. فتنة النساء للرجال .
- وأضف إليه فتنة الرجال للنساء يا أستاذ ؟

فتن الدنيا

- شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل الدنيا دار فتنة وابتلاء وأن يجعل الآخر دار حساب وجزاء ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾ [الكهف:٧] .

والله تعالى يبتلي الإنسان بالخير فتنة كما يبتليه بالشر ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] فالبلاء والفتنة لا يكون بالشر فقط إنما يكون بالخير أيضاً ، فمما لا شك فيه أن الأموال والأبناء خير بل زينة الحياة الدنيا ﴿المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾ [الكهف:٤٦] ومع ذلك يقول الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨] ويقول تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥] .

فتنة المال

والمال لا يشك عاقل في كونه فتنة وابتلاء عظيم فالإنسان يحبه حبه شديداً ﴿وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨] وقال المُفسِّرون المقصود بالخير في الآية هو المال ، والإنسان يقتل من أجل المال ، ويسرق من أجل المال ، ويخون الأمانة من أجل المال ، ويقطع رحمه من أجل المال ، ويرتكب كل الفواحش بالمال ومن أجل المال ، وكثرة المال ليست دليل رضا الله تعالى كما يتوهم الناس وقلته ليست دليل سخط الله تعالى ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥ ، ١٦] ويجيء رد الله تعالى على هذا الفهم الخاطئ ﴿كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ﴾ [الفجر:١٧] والحقيقة أن بَسْطَ النعمة ليس دليلاً على حب الله للغني بل اختباراً له أيشكر أم يكفر ؟ وكذلك تضييق الرزق ليس دليلاً على إهانة الله للفقير بل اختباراً أيصبر أم يتبرَّم؟ فالكرامة والإهانة لا علاقة لهما بالغنى والفقر الماديين إنما في الاستقامة على شرع الله والانحراف عنه .

والإنسان سوف يُسْأَل عن ماله يوم القيامة مرتين : من أين اكتسبه وفيما أنفقه " لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسألَ عن عمُرِهِ فيما أفناهُ، وعن علمِه فيما فعل، وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وعن جسمِه فيما أبلاهُ " [صحيح الترمذي] .

نأتي بعد ذلك إلى فتنة الأولاد فالإنسان الذي رزقه الله تعالى الأولاد قد يتلهَّى بهم عن العمل الصالح ، أو يحملونه على قطيعة الرحم ، أو الوقوع في المعصية، فيستجيب لهم بدافع المحبة لهم ، فالإنسان قد يسرق أو يرتشي أو يتاجر في المحرمات والمنكرات من أجل أولاده وتلبية احتياجاتهم .

صاحت بعض الطالبات : ما لنا وحديث الفتن والابتلاءات أكمل لنا الكلام عن الحب كما وعدتنا .

فتنة النساء

قال الاستاذ نبيل وهو يبتسم : وفتنة النساء كفتنة الأموال والأولاد بل أشد فالنساء من الخير الذي ابتلي الله تعالى به الإنسان وفي مقدمة زينة الحياة الدنيا ولقد قدَّمها الله تعالى على المال والأولاد ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ..﴾ [آل عمران:١٤] .

والآية تَرِد هنا في معرض المدح وليس الذم، وفي معرض الامتنان وليس على سبيل التحذير، فمِنْ نِعَم الله على عباده في الأرض أنه خلق فيهم الشهوة للنساء وخلق فيهم المحبة لهن ، إذ لولا الشهوة والمحبة لما أقدم الرجال على الزواج من النساء ، ولولا حب الأولاد لما أنجب الوالدين ولا تحملت النساء الحمل والولادة والرضاعة ولا تحمل الآباء السعي على رزقهم ، ولولا حب المال لما عمل الناس ولما عمَّروا الكون لقد ركَّب الله تعالى تلك الشهوات لعمار الكون وإصلاحه ولولا هذه الشهوات لما استمر الكون ولفني منذ زمن بعيد .

يقول ابن القيم : " محبة ما زيَّنه الله للنفوس من النساء والبنين، والذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيحبها محبة شهوة، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، فهذه المحبة ثلاثة أنواع : فإن أحبها لله توصلاً بها إليه، واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها، وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه، ويتلذذ بالتمتع بها، وهذا حال أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب، وكانت محبته لهما عوناً له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره.

وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته، ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه، بل نالها بحكم الميل الطبيعي، كانت من قسم المباحات؛ ولم يعاقب على ذلك، ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه.

وإن كانت هي مقصودة ومراده، وسعيه في تحصيلها والظفر بها، وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه، كان ظالماً لنفسه متبعاً لهواه. " .

يقول النبي ﷺ " إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ ، وإن اللهَ مستخلفُكم فيها . فينظرُ كيف تعملون . اتقوا الدنيا واتقوا النساءَ . فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النساءِ " [متفق عليه] .

معنى اتَّقُوا النِّساءَ

فاتَّقُوا الدُّنيا : أي قُوموا بِما أَمرَكم به، واتْرُكوا ما نَهاكُم عنه، ولا تَغُرَّنَّكم حَلاوَةُ الدُّنيا ونَضْرَتُها. كما قال تَعالى: ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] وَاتَّقُوا النِّساءَ: أي احذَروا أن تَميلوا إلى النِّساءِ بِالحَرامِ ، فإن جمال النساء يجب أن يدفع الإنسان للعمل والسعي لتحصيل تكاليف الزواج ، ولقد وعد الله تعالى أن يغني الفقراء الطالبين للعفاف ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢] ويقول النبي ﷺ " ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ أنْ يُعينَهم: المجاهدُ في سبيلِ اللهِ، والنَّاكحُ يُريدُ أنْ يستعِفَّ، والمُكاتَبُ يُريدُ الأداءَ " [صحيح ابن حبان]

وإلى أن يرزقه الله تعالى ما يتزوج به فعليه مع سعيه في طلب الرزق أن يُنَزِّه بصره وفرجه عن الحرام ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣] ويقول تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور:٣٠] ويقول النبي ﷺ في بيان ذلك :

" منِ استَطاعَ منكمُ الباءةَ فليتزوَّجْ ، فإنَّهُ أغضُّ للبصرِ ، وأحصنُ للفرجِ ، ومن لم يستَطِعْ منكُم فعلَيهِ بالصَّومِ ، فإنَّهُ لَهُ وِجاءٌ " [صحيح أبي داود] .

قالت عبير : وكيف يمكن أن يتزوج الشباب وتكاليف الزواج مرتفعة جداً ؟ فماذا يفعل الشباب ؟

كيف عالج الإسلام مشاكل الزواج

– أمر النبي ﷺ أولياء أمور النساء أن يختاروا الزوج الصالح ذا الخلق والدين وإن كان فقيراً : " إذا أتاكم مَن ترضونَ خلقَهُ ودينَهُ فزوِّجوهُ إلا تفعلوا تَكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ " [صحيح ابن ماجة] .

وكما أمر الإسلام الرجال بالسعي في طلب الرزق الحلال وغض البصر وحفظ الفرج عن الحرام لكي ينعموا بالزوجة الصالحة التي يقول عنها النبي ﷺ : " خيرُ نِسَائِكُم التي إذَا نَظَرَ إليها زَوْجُهَا سَرَّتْه ، وإنْ أمرَهَا أطَاعَتْهُ ، وإذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْه في نَفْسِهَا وَمَالِه " [صححه الحافظ العراقي] وأمر الله تعالى أولياء الأمور بعدم المغالاة في المهور وتيسير الزواج للصالحين طلاب العفاف " إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا ، وَتَيْسِيرُ صَدَاقِهَا ، وَتَيْسِيرُ رَحِمِهَا " [حديث حسن رواه أحمد] .

وكما أمر الإسلام الشباب بالعمل والزواج وأولياء الأمور بتيسير الزواج أمر النساء بطاعة الله ورسوله وأداء العبادات كما أمرهن بعدم التبرج وفتنة الرجال تطهيراً لأنفسهن من ارتكاب المحرم وللمجتمع من الوقوع في الفتنة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]

ولما كانت النساء مُحَبَّبات للرجال وفي مقدمة الشهوات التي زينها الله تعالى لهم فهي تعد فتنة لهم ، والفتنة في اللغة معناها كما جاء في لسان العرب " الفتنة : الاختبار ، والفتنة : المحنة ، والفتنة : المال ، والفتنة : الأولاد .. " فكما أن الله حبَّب المال والبنين للإنسان وجعلهما زينة الحياة الدنيا ﴿المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ﴾ [الكهف:٤٦] وجعلهما فتنة يمتحن بهما الإنسان ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥] .

جعل الله تعالى النساء فتنة كذلك " ما تَركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجالِ منَ النِّساءِ " [متفق عليه] وهذا مفهوم فتنة النساء في سياقه.

هل النساء حبائل الشيطان ؟

لو جمعتُ طائفة من الناس، وقرأتُ عليهم هذا الحديث ثم طلبتُ منهم أن يقدموا ما فهموه منه لكان الغالب أنهم سيقولون قولاً قريباً من قول أحد شُرَّاح الحديث :

" يُروى أن الله عز وجلَّ لما خلق المرأة فرح الشيطان فرحاً شديداً ! وقال: هذه حبالتي التي لا تكاد يخطئني من نصبتها لـه، وجاء في الحديث : " النساء حبائل الشيطان" ! ورُوي : " استعيذوا من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر"، وقال ﷺ " أوثق سلاح إبليس النساء.!" .

والنساء في عصرنا، وفي عصور تقدَّمت، دفعن ضريبة الفهم الخاطئ لبعض الآيات والأحاديث التي تتحدَّث عن النساء ، وتكبّدت النساء في تاريخنا كثيراً من الظلم، وصار الكثير يطلق على النساء بأريحية وهدوء بال "حبائل الشيطان".

وكل ما فيه اتهام للنساء بصور عامة لا يصح سنداً ولا متناً مثل : طاعة المرأة ندامة ، هلكت الرجال حين أطاعت النساء ، شاوروهن وخالفوهن ، النساء حبائل الشيطان ، عقولهن في فروجهن ، شهوة النساء تضاعف على شهوة الرجال.

وأي رجل كامل الرجولة يفتن بالنساء فهن مُحَبَّبات للرجال كما قال النبي ﷺ " حُبِّبَ إليَّ النساءُ ، والطيبُ ، وجعلَتْ قرةُ عَيني في الصلاةِ " [صحيح النسائي]

هل فتنة النساء لا تكون إلا في البلاد الإسلامية ؟

قالت سارة : ولماذا فتنة النساء لا تكون إلا في البلاد الإسلامية ؟! لماذا لم نسمع عن هذه الفتنة في البلاد الغربية التي لا فرق فيها بين رجل وامرأة ؟!!

وكانت الحصة قد انتهت ولكن أستاذ الحصة التالية كان غائباً ولم يكن عند الأستاذ نبيل حصة فأكمل الموضع .

– إن فتنة النساء واقع لا يشك فيه وأنت تقرئين في قصة نبي الله يوسف ﷺ أنه حينما وجد نفسه أمام فتنة النساء وخشي على نفسه المعصية دعا الله قائلاً : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣] وبالفعل عصم الله نبيه يوسف ﷺ من هذه الفتنة بحجبها عنه ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

العَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٤] لهذه الدرجة يتأثَّر الرجال بالنساء ولا يستطيعون مقاومتهن . فمع كون سيدنا يوسف ﷺ من الأنبياء والمُقَرَّبين ومن أشد الناس طاعة لله وأكثرهم عبادة وأهداهم وأشدهم خشية لله فلم يأمن على نفسه هذه الفتنة الحاضرة المستمرة غير المحجوبة ولا الممنوعة فدعا ربه أن يصرف عنه هذه الفتنة فاستجاب ربه لدعائه .

– إن غالبية البشر يستطيعون ضبط أنفسهم والاستعصام عند حضور الفتنة ، فهو بذلك أمير نفسه ولا حاجة بحجب فتنة النساء عنه .

– هذا غير صحيح فلا بد من حجب فتنة النساء فالرجال مهما كان صلاحهم لن يكونوا خيراً من سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهو النبي بن النبي بن النبي بن النبي .

– لكن في المجتمعات الغربية لا يتحدثون عن هذه الفتنة .

الحصة القادمة إن شاء نتحدَّث عن فتنة النساء في المجتمعات الغربية .. من يعد لنا هذا البحث .

– روان .. أريد بحثاً متميزاً يا روان .

– إن شاء الله يا أستاذ .

***

المجتمعات الغربية والحرية الجنسيَّة

معالم منهج التآلف والتقارب لتجاوز الاختلاف

درسنا اليوم إن شاء الله عن " معالم منهج التآلف والتقارب لتجاوز الاختلاف " . لكي يحقق الاختلاف غاياته المبتغاة ويتحوَّل إلى نسق فكري وسلوكي ومنهج علمي منضبط يجب أن يختطَّ لنفسه طريقاً ذا معالم ثلاثة :

أولاً : الاعتراف : أي أن يعترف كل طرف مختلف بالطرف الآخر ، وحقه في أن يرى ما يراه ، وفقاً لقواعد المنطق والمنهج العلمي المنضبط .

ثانياً : التعرُّف : أي لابد أن يسعى كل طرف من الأطراف المتباينة المختلفة إلى فهم الرأي المغاير واستيعابه ودراسته من مختلف أركانه وجوانبه .

ثالثاً : التعارف : بمعنى التفاعل الذي لا ينبغي أن ينتهي إلى خصومة وتقاتل ، وهذا التفاعل ربما ينتهي بأحد الأطراف إلى التخلِّي عن وجهة نظره ، والإقرار بصحة رأي الآخر ، وقد ينتهي إلى الاتفاق على صيغة مشتركة وفق منهج تشاركي حضاري رفيع .

خطورة عدم إدراك سنة الاختلاف :

يدل واقعنا المعاصر على أن معنى الاختلاف والتعدد والتنوع لا يزال يفهم على أنه مورد للتحارب والقتال والتنابذ ، ولم يرتفع الوعي إلى مستوى اعتبار الاختلاف أو التنوع قيمة حضارية وإنسانية ودليل سمو ورقي أخلاقي .

من هنا لا بد من القول أن التمذهب الأعمى في الدين ، والتعصب البغيض فيه، ليس إلا شذوذاً وانحرافاً في الموقف تجاه الدين نفسه ، ونظرة سلبية

للمذاهب التي هي في الأساس طرق لفهم الدين ، وليس نسقاً منغلقاً على نظام واحد لا يجد للرد على خصومه إلا القتل والنبذ ، وإذا كانت مشاعر الطائفية قد ازدادت في الأعوام الأخيرة بفعل التوترات السياسية الخطيرة ، فيجب على أتباع الأديان الذين يملكون الوعي والإيمان المجرد عن الأهواء ، والعصبيات والمصالح ، أن يصونوا الاختلاف والتنوع وحرية الفكر والاجتهاد والاختيار . وأن يرفضوا كل تمييز على أساس ديني أو عرقي أو اجتماعي .

ثم قال الأستاذ نبيل مازحاً : والآن نعود إلى مناقشة القضايا التي تثيرها سارة لعنا ننجح في جعلها تخلِّي عن وجهة نظرها .

– لن أتخلَّى عن رأيي إلا إذا اقتنعت بصحة غيره .

قومي يا روان واذكري لها صحة غيره .

الآثار السلبية للحريّة الجنسيّة

– قبل أن تقرأ علينا روان بحثها أريد ان أعرف رأيك أنت يا أستاذ هل هناك مشكلة في العلاقة بين الرجال والنساء في الغرب ، هل يضيعون أوقاتهم في العلاقات العاطفية والجنسية ويهملون أعمالهم وإنتاجهم كما يفعل المسلمون ؟!

– لا يغرنك يا بنتي قول القائل إن المتدينين مهوسون بالنساء وبالجنس أما العلمانيون المتحضرون فلا تفتنهم النساء وقائل هذا الكلام لا يخرج عن واحد من أربع : إما جاهل بالعالَم المتحضِّر الذي يتحدَّث عنه ، وإما أنه يعلم ما يجري فيه ويكذب بذكر ما يخالف الواقع ، أو أنه ناقص الرجولة لا أربة له في النساء ، أو مريض بالبرود الجنسي .

ونظرة صادقة للمجتمعات الغربية التي تطبِّق الحرية الجنسية يجد أنهم لا يرغبون في الزواج ولا ييسرونه ويتفننون في تبرج المرأة وإبداء زينتها ومفاتنها بإقامة شركات ومحال وتجارة لشعر النساء ومثلها للأصباغ والمساحيق ومثلها

لملابسها، ومثلها للعطور والروائح ، ومثلها لأحذيتها ومثلها لرشاقتها وعمليات التجميل . إن نظرة صادقة كفيلة ببيان من في الفتنة سقطوا : المتدينون ، أم العلمانيون ؟

إن نسبة الاغتصاب ، وتجارة الرقيق الأبيض ، والخيانات الزوجية ، وزنا المحارم ، والأبناء غير الشرعيين في البلاد العلمانية نسب وبائية هذا فضلاً عن نسب الشواذ من الجنسين التي تصل إلى عشرات الملايين .

ويكفي هذا ونستمع الآن إلى بحث روان ، اقرئي علينا يا روان الجزء الخاص بالدراسات الغربية عن الثورة الجنسية الذي عرضتيه عليَّ أمس .

بحثت روان في أوراقها ثم قالت : لقد ذكرت الدراسات الغربية أنه " في سبعينات القرن العشرين، انتشرت المجلات والأفلام الإباحية نتيجة الثورة الجنسية في الغرب، وفي الثمانينات مع اختراع الفيديو زادت هذه التجارة بصورة كبيرة، ومع بداية التسعينات ظهرت آلاف من المواقع الإباحية علي الإنترنت وبدأت الكثير من الشركات ببيع الأفلام الإباحية عبر الإنترنت .

ويصعب تقدير عائد تجارة الإباحية في الولايات المتحدة، ولكن في عام ١٩٧٠ قدَّرت دراسة فيدرالية القيمة الكلية للإباحية بما يزيد عن ١٠ ملايين دولار.

وفي عام ٢٠٠١ قدَّرت دراسات مجموع تجارة الإباحية ما بين ٢,٦ و ٣,٥ مليار دولار أمريكي وفي دراسة فوم لعام ٢٠٠٣ البريطانية اكتشف أن ثلث المجتمع الإنجليزي يزور المواقع الإباحية على الإنترنت، مما ينعكس سلباً على العلاقة الجنسية الزوجية، وتؤدي إلى حدوث جرائم عنف واستخدام المخدرات، كما وجدت دراسة هوايت لعام ٢٠٠١ البريطانية أن ارتفاع معدلات الوفيات عند الرجال في سن ٢٠ – ٤٠ عاما نظراً لإدمانهم على تلك المواقع .

وتم إجراء العديد من الأبحاث حول تأثير المواد الإباحية، وقد شملت التأثيرات المحتملة للإباحية على زيادة معدلات الاغتصاب، والعنف المنزلي، والعجز الجنسي، وصعوبات إقامة العلاقات الجنسية، والاستغلال الجنسي للأطفال.

لقد أفاد استطلاع لمؤسسة غالوب عام ٢٠١٣، أنه من أصل جميع البالغين في الولايات المتحدة ٦٦% اعتبروا الإباحية "خاطئة من الناحية الأخلاقية"، بينما اعتبر ٣٣% أنها "مقبولة من الناحية الأخلاقية" .

– شكراً يا روان .. ها .. ما رأيك يا سارة هل فتنة النساء خاصة بالمسلمين فقط؟

من يسيء إلى المرأة الإسلام أم العلمانية ؟

– لكن الغرب لم يسئ للمرأة كما أساء المسلمون لها .

– الإباحية الغربية تستخدم المرأة كغاوية للرجال لما تعرف من فتنة النساء التي تحدَّث عنها الإسلام لكنه وجهها وجهتها الصحيحة ولم يطلق لها العنان لتتحول إلى فساد ودمار إنما جعلها وسيلة للزواج وتكوين الأسر وتعمير الكون .

– ما الدليل على إهانة الغرب للمرأة ؟

– اهتم الإسلام بتربية المرأة والعناية بها اهتماماً بالغاً، حتى لا تكون فتنة أو وسيلة دمار، في مقابل أن الغرب العلماني حوَّل المرأة إلى مصدر لهو وتسلية ومتعة وتجارة فإذا أرادوا أن يروِّجوا بضاعة وضعوا صورة امرأة على غلافها ، حتى المجلات الساقطة التي ليس لها نصيب من الناس لابد أن توضع فيها صورة امرأة جميلة في مقدمتها حتى تكون جاذبة للمشترين، والطائرة أول ما تقابل فيها تقابل المضيفات ، وبمقدار ما تتسابق شركات الطيران لتختار أجمل النساء بمقدار ما تكسب عدداً أكثر من الزبائن كما يقولون!

- المسلمون في البلاد العربية يفعلون ذلك وليس الغرب فقط ؟

غزو الشهوات والشبهات

- علينا أن نعلم أن أعداء الإسلام غزونا من ناحيتين: الشهوات، والشبهات.

فإن لم ينجحوا في الشبهات فإنهم يغزوننا بالشهوات، والشبهات قد لا تجد رواجاً مثل الشهوات؛ لأن الشهوات تميل إليها النفوس، أما والناس على بصيرة من دينهم فإنهم لا يعترفون بهذه الشبهات التي تطلق في مجتمعاتهم الإسلامية؛ لأنهم على ثقة من دينهم، لكن غزو الشهوات هو أخطر شيء أصيب به المجتمع الإسلامي اليوم؛ لأن الإنسان -بطبيعته البشرية- لديه ميل إليها.

ولقد استخدم أعداء الإسلام المرأة وسيلة لانحراف المجتمعات الإسلامية، وهذا مخطط رهيب من قِبَل أعداء الإسلام؛ من أجل أن يفسدوا على هذه الأمة دينها، ويقذفوا بهذا الشباب في هاوية سحيقة، فاستخدموا المرأة في كثير من الأماكن والأعمال المختلفة كالسكرتارية ، والإعلام ، والإعلان ، والفنون و... لإشعال هذه الفتنة، لاسيما في نفوس الشباب العزاب، خاصة الذين لم يتمكنوا من الزواج لأسباب منها: الاختلال الموجود في أنظمة المجتمع، أو في الأنظمة الاقتصادية وما أشبه ذلك، فمن أكبر الفتن أن يكون هناك تبرج مع وجود عزوف من الشباب عن الزواج، أو عجز من الشباب عن الزواج، ولقد أصيب العالم في هذا العصر بفتنة أخرى وهي وسائل التقنية الحديثة التي انتقلت إلى بلاد المسلمين، فنقلت الصورة الثابتة والصورة المتحركة، ونقلت الأفلام والعراء، وواكب ذلك وجود دعاة للباطل، يريدون أن تشتعل الفتنة وتنتشر في هذا المجتمع، فصاروا يبثون هذه الأفلام وينشرونها في بلاد المسلمين.

قالت سارة بشيء من الانفعال : كل ما فعله الغرب بالمرأة لا يصل إلى أن يشبونها بالكلب والحمار كما شبهها المسلمون .

- أجيبك الحصة القادمة إن شاء الله فقد انتهت الحصة وأخذنا بعضاً من حصة التي بعدها .

***

هل المرأة مثل الكلب والحمار ؟

عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ "

درسنا اليوم عن عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ " . حين يطالع المسلم سيرة بنت الشاطئ يثلج صدره وتقر عينه ، حيث إنها كانت عالمة مسلمة متقنة ، وكانت منارة في طريق العلم ، وعلامة مضيئة للمرأة المسلمة المعاصرة تُمثل نموذجاً فريداً للمرأة المسلمة في القرن العشرين ، لا وزنها الثقافي والعلمي فهي سيدة عرفت معنى أن تكون المرأة ذات عقل منفتح تستطيع أن تطَّلع على العلوم المختلفة ، وتتفوَّق وتصل إلى مكانة علمية رفيعة .

شرح حديث قطع المرأة الصلاة

قالت سارة : وهل إذا مرَّت د. بنت الشاطئ أمام عم سعيد الفراش وهو يصلي تقطع صلاته كالحمار والكلب ؟!!

ضحك الأستاذ نبيل : أنت مُصرَّة ألا نكمل المنهج الدراسي يا سارة .

- أجب حضرتك عن هذا السؤال ثمَّ أكمل .
- الإجابة طويلة ربما تستغرق الحصة كلها .
- حضرتك وعدتني أن تجيب عن هذا السؤال الحصة الماضية .
- أجبها يا أستاذ .. نحن نريد أن نعرف أيضاً الإجابة .
- هل فعلاً المرأة كلب وحمار ؟!!

– هناك حديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ " [صحيح مسلم] .

- وهل هذا صحيح ؟

قال الأستاذ مازحاً : الحديث أم معناه ؟

- كلاهما يا أستاذ .

- الحديث صحيح السند ، وإن كان يحتاج لفقه ، قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وجمهور العلماء من السلف والخلف : لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم.

والمراد بالقطع نقص الصلاة لشغل القلب بهذه الأشياء وليس المراد بطلانها .

ذُكِرَ للسيدة عائشة ما يقطعُ الصلاةَ، الكلبُ والحمارُ والمرأةُ، فقالت : " شبهتمونا بالحُمُرِ والكلابِ، واللهِ لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ يصلي، وإني على السريرِ بينَه وبين القبلةِ مُضْطَجِعةً، فتبدو لي الحاجةُ، فأكرَه أن أجلسَ، فأوذيَ النبيَّ ﷺ فأنْسلُّ من عندِ رجلَيه." [متفق عليه]

فتبين من هذا أن الصحيح عن أهل العلم أن الصلاة لا تبطل بمرور هذه الأشياء الثلاثة، وأن المقصود بالقطع: نقص الأجر بشغل القلب بمرور أحدها .

حكم المرور بين يدي المصلي

وينبغي أن نتنبه إلى أن أصل المرور بين يدي المصلي ، وتأثر صلاة المصلي بمن يمر من أمامه ، كائناً ما كان المار، رجلاً أو امرأة ، إنساناً أو حيواناً هذا كله ممنوع من حيث الأصل ؛ كما قال ﷺ في منع الجميع من هذا الفعل المذموم " لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ " قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً "
[البخاري]

بل جاء في الحديث المتفق عليه : " أن أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ كان فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يُصَلِّي إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ ، فَأَرَادَ شَابٌّ مِنْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ

يَدَيْهِ ، فَدَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ ، فَنَظَرَ الشَّابُّ فَلَمْ يَجِدْ مَسَاغًا إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَادَ لِيَجْتَازَ ، فَدَفَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ أَشَدَّ مِنْ الْأُولَى، فَنَالَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مَرْوَانَ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَدَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ خَلْفَهُ عَلَى مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ وَلِابْنِ أَخِيكَ ، يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟

قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ " .

معناه يفعل فِعْلَ الشَّيْطَانِ ؛ لأنَّ الشَّيْطان بعيد من الخيرِ وقبول السُّنة ومن الواضح هنا : أن هذا الحديث عام في كل من أراد أن يجتاز بين يدي المصلي ، وأن قصة أبي سعيد هذه : لا دخل للنساء فيها البتة !!

إذا كان المرور بين يدي المصلي ممنوعاً كله ، سواء في ذلك الرجل أو المرأة ، وإذا كان ذلك يؤثِّر أيضاً في صلاته ؛ فقد ذهب بعض أهل العلم في تأويل القطع المذكور في هذه الأحاديث، إلى أنه ليس المراد به إبطال الصلاة ، وإلزام إعادتها، وإنما المراد به القطع عن إكمالها والخشوع فيها بالاشتغال بها، والالتفات إليها .

ذلك أن المرأة تفتن ، والحمار ينهق ، والكلب يروِّع ، فيتشوش المتفكِّر في ذلك حتى تنقطع عليه الصلاة وتفسد ، فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع ، جعلها قاطعة .

بعد أن قال الأستاذ ذلك توجَّه إلى سارة قائلاً : ما رأيك يا سارة ؟

- الحديث صحيح كما قلت يا أستاذ والمسلمون يأخذونه على ظاهره ؟

- العيب ليس في الحديث إنما العيب في عدم فهمه ، يا بنتي ليس من الإنصاف ولا من العدل في شيء : أن يعمد الباحث ، أياً ما كان دينه ، ومذهبه، إلى نص منفرد ، مشتبه ، يحتمل من الدلالات ، ما لا علاقة له بموضوع نظره وبحثه ، ثم يجعله طعناً في دين كامل متكامل التشريعات والآداب ، كدين

الإسلام، متعامياً عن عشرات النصوص والأصول التي تكرِّم المرأة في ذلك الدين، بما لم يكرمها غيره من الأديان ولا الشرائع ولا القوانين .

نظرت سارة في كراستها وقالت : ولماذا لا تزوج المرأة نفسها إلا بولي ذكر ، ويجوز أن يتزوج عليها زوجها مثنى وثلاث ورباع وليس لها حق الاعتراض.. وإذا رفضت المرأة معاشرة زوجها باتت والملائكة تلعنها ؟

– هذه الأسئلة لا تكفيها حصة واحدة ما رأيك في أن نجعلها موضوع محاضرة الشهر؟

- ومتى ستعقد هذه المحاضرة يا أستاذ ؟
- بعد غد في مسرح المدرسة الحصة الرابعة .
- عندنا فيزياء في هذه الوقت .
- سأستئذن الأستاذ رمضان حتى يسمح لَكُنَّ بالحضور .

***

فلسفة الزواج في الإسلام

قالت الأستاذة وهيبة : نرحِّب بالأستاذ نبيل مع أنه ليس غريباً إنما صاحب بيت، ولقد اختار موضوع " فلسفة الزواج في الإسلام " ليكون موضوع هذه المحاضرة فليتفضل ، وأنتن تعرف آداب المحاضرة فأرجو التزام الهدوء فالعدد كبير ، وعدم مقاطعة الأستاذ نبيل حتى ينتهي من كلامه ، ومن لها سؤال تكتبه في الورق الذي سيوزع عليكن .. تفضل يا أستاذ نبيل .

– الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﴿ ... سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] هذا موعد ندوتنا الشهرية التي أسعد بها كثيراً ، ولقد اتفقت مع الأستاذة وهيبة على أن تكون عن " فلسفة الزواج في الإسلام " فلقد قالت لي إحدى الطالبات في مَعْرِض انتقاص الإسلام من شأن المرأة : " لماذا لا تُزوج المرأة نفسها إلا بولي ذكر.. ويجوز أن يتزوج عليها زوجها مثنى وثلاث ورباع وليس لها حق الاعتراض.. وإذا رفضت المرأة معاشرة زوجها باتت والملائكة تلعنها ؟ " .

الزواج فطرة إنسانية

الزواج أمر فطري مستقر في إحساس وشعور الرجل والمرأة؛ كل منهما يبحث عن الآخر. ومهما توفَّر للرجل والمرأة من المأكل والمشرب والراحة الجسدية، فإن ذلك لا يغني أحدهما عن البحث عن شريكة وبالزواج يكثر عدد أفراد الجنس البشري وتعمر الأرض وتخرج خيراتها، وتبني ديارها، وتسير الحياة. ولقد راعى الإسلام ذلك وسما بالزواج عن الحيوانية ووضعه في مكانه اللائق؛ فشرع اتصالاً كريماً بين الرجل والمرأة، يعلي من قدرهما، ويناسب كرامة الإنسان، وأفضليته على

المخلوقات، وعظَّم الإسلام شأن الزواج، وبيَّن أثره البالغ في أكثر من موضع في الكتاب والسنة:

١- الزواج ، عند المسلمين، آية من آيات الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم :٢١]

مقارنة بين الزواج والزنا

أما الزنا والسفاح فهو آية من آيات الشيطان لإيقاع الشقاق بين الناس والبغضاء ولذا حرمه الله في كل ملّة ودين ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١] فإن الفِطَر السليمة تأباه ، جميع المسلمين إلا عدداً لا يُذْكَر منهم لا يرضونه على أهلهم إناثاً وذكراناً لا يرضونه على : أبويهم ولا أخوتهم ولا أزواجهم ولا أبنائهم ولا أحداً ممن يحبونهم .

وإن ارتكب أحد هذه الفاحشة يعلم أنه ارتكب كبيرة وإثماً عظيماً ولكنه لا يستحلها ، والفرق بين من يفعل المعصية وهو مؤمن بحرمتها ويندم على فعها وبين من يستبيحها وينكر حرمتها هو الفرق بين المسلم والكافر .﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩] .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ قَالَ لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ قَالَ لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ

ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ " [صححه الألباني] وأنا أتوجه لله الغفور الرحيم أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يطهر قلوبنا وأن يحصن فروجنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

يقول تعالى مرغباً في الزواج ناهياً عن الزنا والسفاح ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥] فكما شرط الإحصان في النساء –وهي العفة–عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل أيضاً محصناً عفيفاً؛ ولهذا قال: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ وهم : الزناة الذين لا يرتدعون عن معصية، ولا يردُّون أنفسهم عمن جاءهم﴿وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ أي: ذوي العشيقات الذين لا يفعلون إلا معهن.

٢– الزواج ضرورة حياتية؛ فهو الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر؛ واستمرار الحياة : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١] .

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢] .

وأبناء الزنا إما أن يُلْحقوا بغير آبائهم تدليساً أو يُلْقى بهم في الملاجئ أو أمام المساجد أو يوأدون في الأرحام أو بعد ميلادهم ؛ فأبناء الزنا عار يدنس الأم ويجلب الذل والهوان لكل الأهل والأصدقاء ، والأبناء الشرعيون فخر للأم ومصدر فرحة وبهجة لأبويهم ولكل الأهل والأصدقاء .

٣– تلبية الرغبة الطبيعية المستقرة في الرجل والمرأة التي جعلها الله عز وجل لكمال الحياة البشرية وإيجاد نفس أخرى يسكن إليها الرجل، ويأوي إليها ويبثها شكواه وحزنه، ويطلعها على ما في نفسه لتخفف عنه، وتواسيه وتسليه، ويجد

الراحة التامة بذلك، ومن أجل كمال هذا الارتباط جعل الله بين هاتين النفسين مودة ورحمة.

والزناة لا مودة بينهم ولا رحمة ولا كرامة إنما هو امتهان للنفس وأقسى أنواع القسوة خاصة بالنسبة للمرأة .

٤- والزواج في الإسلام تمام الدين، وطهارة النفس والبدن وحفظ السمعة، حيث تعف الرجل زوجته، ويعفُّها، ويجد بها متنفساً لشهواته، فلا يفكر في مقاربة المعاصي. ويقول رسول الله ﷺ مَنْ رَزَقَهُ الله امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ الله عَلَى شَطْرِ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ الله فِي الشَّطْرِ الْبَاقِي." [رواه الحاكم وصححه] والزنا فساد للدين ودنس للنفس والبدن وإساءة للسمعة .

٥- الزواج يربط بين الأسر، ويقوي أواصر المحبة في المجتمعات الإنسانية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[الفرقان: ٥٤] والزنا يهدم البيوت ويوقع الشقاق والفرقة بين الزوجين فالرجل كريم النفس لا يقبل أن يعيش من زوجة زانية غير أمينة على شرفه ولا أولاده ولا بيته ، وأي حب وإخلاص ينشأ في قلب رجل خائن أو امرأة خائنة يستبدل اللحم النتن باللحم الطيب ؟!

٦- والزواج فيه تكثير الأمة، وحفظها من الزوال، ولذا قدَّم كثير من العلماء أحكام الزواج، في مؤلفاتهم، على أحكام الجهاد. والزنا ضياع للنسل وللأسرة وللمجتمع لذا جعله الله تعالى كالنبتة الخبيثة يجب أن تجتث من الأرض حتى يصلح الزرع الطيب فجعل حد الزاني والزانية المتزوجين الرجم حتى الموت " الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالاً مِنَ اللَّهِ" [متفق عليه] .

والزواج هو السبيل الأمثل لإعفاف كل واحد من الزوجين نفسه وإحصانها، حتى لا يقع في المحرم أو يسلك مسلكاً خاطئاً في قضاء الشهوة، واستمتاع كل واحد من الزوجين بالآخر، استمتاعاً أحله الله لعباده، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ" [صحيح مسلم] القرآن الكريم: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]

في نظام الزواج يتحقق اختصاص الرجل بالمرأة، واختصاص المرأة بالرجل على نحو يليق بالإنسان وكرامته، وعلى نحو لا يوجد في عالم الحيوانات، ومن آثار هذا الاختصاص إيجاد النسل الثابت النسب منهما، وما يتبع ذلك من رعاية مادية ومعنوية لهذا النسل من قبل الزوجين، فينشأ هذا النسل سوياً خالياً من الشذوذ والانحراف، بخلاف أولاد الزنا الذين يرفضهم المجتمع ولا يعترف لهم بنسب، ولا يجدون حنان الوالدين ولا رعايتهما، وبهذا وضع الإسلام للغريزة سبيلها المأمونة، وحمي النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون كلأ مباحاً لكل أحد.

والزواج سبيل لاكتمال خصائص الرجولة والأنوثة عند الرجال والنساء، فكثير من الخصائص تكتمل وتتحقق في ظلال الحياة الزوجية، ومنها العواطف النبيلة، التي يشعر بها كل واحد من الزوجين تجاه الآخر، ومنها مشاعر الأبوة والأمومة، ومشاعر العطف والحنان، والشعور بالمسئولية التكاملية مع الطرف الآخر وفهم طبيعة مشاكل الناس وكيفية إيجاد الحلول المناسبة.

لماذا لا تزوّج المرأة نفسها ؟

المرأة في الإسلام لا تزوِّج نفسها إنما يزوجها وليها بموافقتها .

وهذا الشرط فيه حماية للمرأة وحقوقها من خداع الزوج لها؛ فموافقة وليها (أبوها) وهو أكثر الناس حباً لها ورغبة في إسعادها أمر ضروري للفتاة فقد تقع – وكثيراً ما يحدث هذا – في حب شاب غير مناسب لها ولا كفء فيكون هنا دور الأب الحريص على سعادة ابنته فيبين جوانب الضعف التي خفيت على الفتاة الواقعة تحت تأثير حب هذا الشاب ف "حُبكَ الشيء يعمِي وَيُصِمُّ" كما روي عن النبي ﷺ وكما يقول العامة " مراية الحب عمية " والأمثلة أكثر من أن تحصى على ذلك فالزواج لا يُبْنَى فقط على عاطفة الحب إنما لا بد من الكفاءة بين الزوجين لدوام العشرة واستمرار الزواج .

وإذا كانت المرأة لا تستطيع أن تزوج نفسها إلا بموافقة وليها فوليها لا يستطيع أن يزوجها إلا بموافقتها كذلك ، والمنطق والواقع يؤكدان أنه إذا توافق الأب وابنته

على زوج فعوامل نجاح هذا الزواج كبيرة ، أما إذا اختلفا وأُكْرِه أحدهما على النزول على رغبة الآخر فإن عوامل نجاح هذا الزواج سوف تتضاءل .

ومن مصلحة الزوجة رضا الأب عن الزواج فهو الأب الذي يجهزها بجهازها ويسعد بفرحها ويدعو لها بالرفاء والبنين ويعمل له الزوج ألف حساب ، وإذا وقعت أية مشاكل سارع الأب بالإصلاح والتوفيق فهو حصن ابنته إن حدث عليها اعتداء أو وقع عليها ظلم .﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥] فالزوجان ، خاصة في بداية الزواج ، يكونان قليلي الخبرة وكثيراً ما يقع بينهما الخلافات التي لا يستطيعان حلها بمفردهما فهنا يتدخل أولياء الأمور للإصلاح وإعادة الوئام ، فما حال الفتاة التي تزوجَّت رغماً عن إرادة أبيها أو أرغمته على الموافقة إذا حدث خلاف كبير بينها وبين زوجها فلمن تلجأ ؟ وأي بيت سيحتضنها ؟ وبالطبع قد سمعت كثيراً عن مآسي الفتيات اللاتي هربن من أهلهن وتزوجن من أحببن .

وقبل أن أتحدَّث عن موضوع لعن الملائكة المرأة التي تمتنع عن زوجها نجيب عن بعض الأسئلة التي وصلتني .

لماذا لا يحل للمرأة المسلمة الزواج من غير مسلم ؟

سؤال تقول صاحبته : " لماذا لا يحلُّ للمرأة المسلمة الزواج من يهودي أو مسيحي بينما يحلُّ ذلك للرجل المسلم ؟ " .

– الزواج في الإسلام يقوم على " المودة والرحمة " والسكن النفسي . ويحرص الإسلام على أن تبنى الأسرة على أسس سليمة تضمن الاستمرار للعلاقة الزوجية، والإسلام دين يحترم كل الأديان السماوية السابقة ويجعل الإيمان بالأنبياء السابقين جميعًا جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. وإذا تزوَّج مسلم من مسيحية

أو يهودية فإن المسلم مأمور باحترام عقيدتها ، ولا يجوز له ، من وجهة النظر الإسلامية ، أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها، والذهاب من أجل ذلك إلى الكنيسة أو المعبد.

وهكذا يحرص الإسلام على توفير عنصر الاحترام من جانب الزوج لعقيدة زوجته وعبادتها. وفى ذلك ضمان وحماية للأسرة من الانهيار.

أما إذا تزوج غير مسلم من مسلمة فإن عنصر الاحترام لعقيدة الزوجة يكون مفقودًا ؛ لأنه لا يؤمن بنبي الإسلام، ولا يعترف به ؛ لذا المسلمة لا تأمن على دينها ولا ممارسة شعائره إلا مع من يؤمن به ، كما أن الأولاد يتبعون دين أبيهم فكيف تربي المسلمة أولادها على عقيدة غير عقيدتها وعلى أفكار تخالف دينها ؟!

وهذا الحكم لم يتفرد به الإسلام بل تشاركه فيه الديانات السماوية الأخرى ، فاليهودية لا تتزوج إلا يهودي ، واختلاف الدين مانع من الزواج في المسيحية .

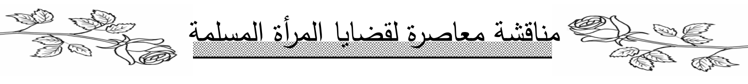
على أننا ننبه هنا إلى أن زواج المسلم بالكتابية ، وإن كان مباحا في الشرع ، فإنه " مستثقل مذموم " كما قال الإمام مالك رحمه الله .

ماذا تفعل الفتاة إذا أراد أبوها أن يزوجها ممن لا تحب ؟

سؤال آخر تقول صاحبته : " إذا كان الأب رجلاً ظالماً ويريد أن يكره ابنته على الزواج ممن لا تحب فماذا تفعل ؟ " .

والحقيقة أن الأب لا يملك أن يكره ابنته على الزواج ممن تكرهه ، وأن وقع فالزواج باطل " زواج عتريس من فؤادة باطل .. باطل .. باطل " .

ضحكت الطالبات وأكمل الأستاذ : وإن أراد أن يحرمها من زوج كفء مناسب وتسلَّط في استخدام سلطته فلها أن ترفع أمرها للقاضي الذي إذا تبين أن الأب قد عَضَلَها وحرمها من الزواج بكفء الذي يعطيها مهر المثل زوجها هو ، أو زوَّجت نفسها على مذهب أبي حنيفة الذي يبيح أن تزوج المرأة نفسها بشرطين : أن تتزوج بكفء ، وأن يكون لها مهر المثل .



فبالله عليكن هل جار الإسلام على المرأة أم صانها وحافظ على حقوقها وأكرمها ؟

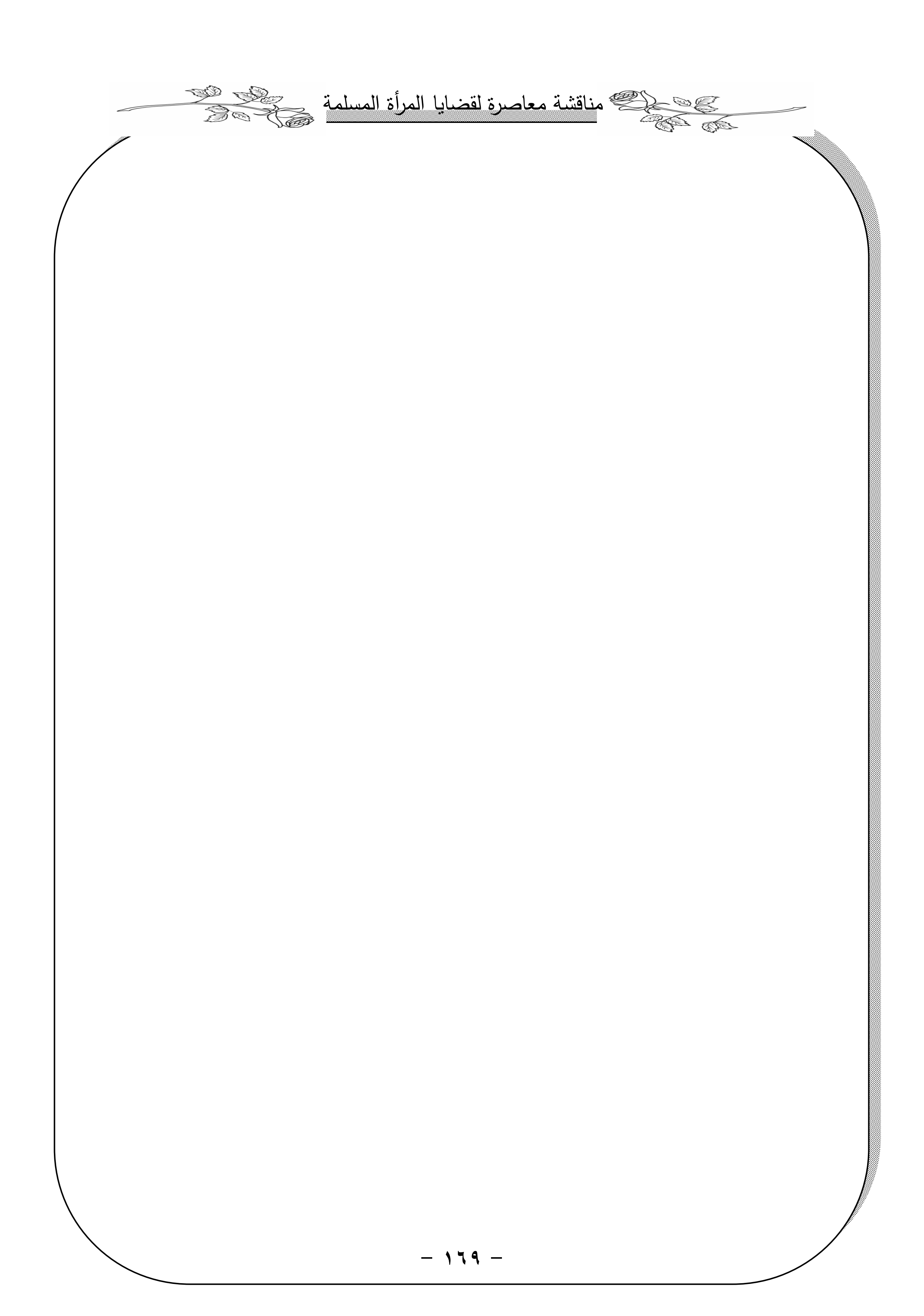
والآن نتحدث عن حديث لعن الملائكة المرأة ...

- أنا آسفة يا أستاذ نبيل لا بد ان ننهي المحاضرة فالحصة الرابعة قد انتهت والفسحة كذلك وبدأنا في الحصة الخامسة لنؤجِّل هذا الموضوع لمحاضرة أخرى.

- كما ترين .

- نشكر الأستاذ نبيل ، وإن شاء الله نلتقي على خير في المحاضرة القادمة .

***



لعن الملائكة المرأة التي تمتنع عن زوجها

العوامل التي أثرت في تكوين بنت الشاطئ

نستكمل اليوم حديثنا عن د. عائشة عبد الرحمن وسوف نتحدث عن العوامل التي أثرت في تكوينها العلمي . حرص والدها على تنشئتها تنشئة دينية منذ طفولتها الباكرة فتعدها بالتلاوة لآيات القرآن الكريم وعهد بها إلى محفِّظ للقرآن الكريم واتفق معه أن تنتظم ستة أيام في الأسبوع كل يوم من مطلع الشمس إلى قرب صلاة العصر فأخذت عائشة في التردد على محفظِّ القرآن ، ولم تبلغ العاشرة حتى أتمت حفظ القرآن ومن ثمَّ شعرت بالثقة والتقدُّم .

على الرغم من عدم انتشار التعليم بين الفتيات في هذا العصر ، واعتراض والدها على خروجها من المنزل من أجل العلم ، إلا أن عائشة تمكَّنت من نيل نصيبها من العلم بفضل إرادتها وعزمها فقد حفظت القرآن الكريم ، ثمَّ تمكنت من الحصول على شهادة الكفاءة للمعلمات وكان ترتيبها الأولى على القطر المصري كله في عام ١٩٢٩م ، ومن بعدها حصلت على الشهادة الثانوية عام ١٩٣١م ، جاءت بعد ذلك المرحلة الجامعية فقامت بالالتحاق بكلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ، وكالعادة لازمها التفوق طوال المراحل التعليمية ...

– يكفي هذا يا أستاذ ونعود إلى الأسئلة .

– نكمل الدرس وسوف أعطيك بحثاً بقية أسئلتكِ يا سارة .

– لماذا يا أستاذ ؟

– لأن الأسئلة تناول قضايا خاصة بالرجل والمرأة أفضل أن تقرئيها .

قالت عبير : ما هذا الموضوع الخاص بالرجل والمرأة وتتحرَّج من ذكره .

غضَّت الطالبات رءوسهن حياء وتعالت همساتهن .

قال الأستاذ نبيل : لعن الملائكة المرأة التي تمتنع عن زوجها .

قالت عبير : لا حياء في الدين يا أستاذ .. نحن لسنا صغيرات ونستطيع أن نفهم أي شيء ، ولا تنس حضرتك أننا طالبات فائقات .

- الموضوع ليس موضوع فهم بقد ما هو موضوع ربما شائك بعض الشيء .

قالت عبير مازحة : تكلَّم يا أستاذ .. ونعدك أننا لن نخبر أحداً .

ضحك الأستاذ نبيل وقال : تشعريني أني مقدم على ارتكاب فعلاً محرَّماً .. مع أني أريد أن أسبب حَرَجاً .

- لماذا الحرج يا أستاذ أليس هذا موضوع ديني محترم ؟!

ضحك الأستاذ نبيل وقال : وهل هناك موضوع ديني محترم وآخر غير محترم ؟!

- إذن حدثنا عن لماذا تلعن الملائكة المرأة التي تمتنع عن زوجها !!

- نسأل الطالبات إن كن موافقات هذا الموضوع أم لا ؟

قالت عبير : إنه موضوع يبدو أنه شيق وجديد ما رأيكن ؟

- ....

- لم يُجِبْن يا عبير ؟

- السكوت علامة الرضا يا أستاذ .. توكل على الله .

ضحكت الطالبات وكثر همسهن .

لماذا تلعن الملائكة المرأة التي تمتنع عن زوجها ؟

فقال الأستاذ نبيل بنبرة علميَّة جادة : إن ألزم واجبات كلا الزوجين أن يعفَّا أنفسهما وأن يلبِّي كل واحد منهما احتياجات الآخر العاطفيَّة والجنسيَّة وألا يمتنع عن ذلك إلا لعذر حقيقي وإلا استحق لعن الملائكة .

فملعون من يهجر زوجته بغير عذر حقيقي : مرض أو تعب أو عجز أو أزمة نفسية ويحرمها حقها والنبي ﷺ يقول " وإن لزَوجِك عليك حقًّا " [صحيح البخاري]

وكذلك الزوجة التي تمتنع عن زوجها لغير عذر شرعي : حيض ، نفاس ، مرض ، حزن ، أزمة نفسية ... تلعنها الملائكة ؟

فامتناع أحد الزوجين عن تلبية احتياجات الآخر الجنسيَّة والعاطفيَّة قد ينشأ عنه انحراف ووقوع في الحرام لذا استحقَّ فاعله اللعن ، والرجال والنساء في هذا سواء لقوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨] قال ابن عباس : " إني لأتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي " عملاً بهذه الآية ويقول ترجمان القرآن أيضاً " الدرجة التي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ، الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه" .

قالت سارة : ولكن الحديث الشريف لم يذكر إلا لعن الملائكة المرأة فقط !!

– إن أي حكم شرعي لا يؤخذ من نص واحد إنما تجمع فيه كل النصوص الصحيحة ذات الصلة : آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أقوال الصحابة ثم ينظر فيها أهل الفقه ويستنبطون من كل ذلك الحكم الشرعي مراعين الزمان والمكان والحال ومقاصد الشريعة وقواعدها العامة، فلا حديث بغير فقه كما لا فقه بغير حديث كما قال بعض العلماء .

وبدأ يقرأ الأستاذ من البحث الذي أخرجه من حقيبته " وسئل ابن تيمية : عن الرجل إذا صبر على زوجته الشهر ، والشهرين ، لا يطؤها ، فهل عليه إثم أم لا؟ وهل يطالَب الزوج بذلك ؟

فأجاب : " يجب على الرجل أن يطأ زوجته بالمعروف ، وهو من أوكد حقها عليه ، أعظم من إطعامها ، والوطء الواجب ، قيل : إنه واجب في كل أربعة

أشهر مرة ، وقيل : بقدَر حاجتها وقُدْرته ، كما يطعمها بقدَر حاجتها وقُدْرته ، وهذا أصح القولين . " .

وذكر العلماء أن من هجر زوجته في الفراش أكثر من أربعة أشهر ، إضراراً بها، من غير تقصير منها في حقوق زوجها فيؤمر بجماعها أو بالطلاق ، فإن أبى الطلاق طلّق عليه القاضي . " هذا قول العلماء وما تفتي به لجان الفتوى .

لماذا ذكر الحديث لعن الملائكة المرأة دون الرجل؟

أما لماذا ذكر الحديث لعن الملائكة للزوجة التي تمتنع عن زوجها بغير عذر شرعي ولم يذكر الزوج ؟ فلأنه فالغالب الأعم وفي معظم الحالات أن الرجل هو الذي يدعو زوجته إلى الجماع . بل هو المشاهد في كل الكائنات الحية، فالذكور هي التي تبدأ بمغازلة الإناث وهي التي تسعى إليها وتبدأ الممارسات الجنسية معها، ونادرًا ما تطلب الزوجة من زوجها – بشكل صريح – أن يجامعها، فالحياء يعقد لسانها.

ومن المعلوم أن الأحكام الشرعية تُبْنَى على الغالب من أحوال الناس، وأن النادر لا حكم له. ولهذا ذكر الحديث المرأة التي ترفض دعوة زوجها إلى الفراش، ولم يذكر حالة الرجل الذي يرفض دعوة زوجته لندرة حدوث ذلك.

يقول د. سامي بن عبد العزيز الماجد : " إن الرجل – في الغالب – هو الطالب، والمرأة هي المطلوبة، والرفض لا يُتصور إلا من المطلوب، والغالب أن الرجل هو الذي يدعوها للفراش، وقليلٌ ما تدعوه هي لذلك، وإذا دعته فقليل ما يأبى الزوج دعوتها، ولذا كان الزجر أغلظ على الطرف الذي يتصّور منه التمنع أكثر؛ لكونه مطلوباً، وهو المرأة .

وكذلك لأن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة، كما أنه أسرع منها استجابةً للمثيرات والمرغبات. ومنعُه من قضاء وطره وإتيان شهوته أشدُّ ضرراً وأعظمُ مفسدةً من منع المرأة من ذلك، فإن المرأة تصبر، والرجل لا يصبر .

إن النظرة العميقة الفاحصة ترى في هذا الحديث مراعاةً لمصلحة الزوجين جميعاً، لا لمصلحة أحدهما دون الآخر، فالحديث وإن كان ظاهره مراعاة مصلحة الرجل وحاجته، إلا أن مآله فيه مصلحةُ الزوجين كليهما .

وبيان ذلك: أن المرأة العاقلة لا ترضى أن يفرغ زوجها شهوته في غيرها بالحرام، وهي تغار أشدَّ الغيرة لو همَّ زوجها بذلك، فكيف لو وقع ؟!

غير أنه لا يتناسب مع هذه الرغبة والغيرة رفضُها لدعوته إياها لفراشه، فهذا الرفض دافعٌ قوي – وبخاصة إذا تكرر– إلى أن يبحث زوجها عن موضعٍ آخر (غيرها) يضع فيه شهوته ويمارس معه المتعة .

وكلما تمنعت المرأة من زوجها عظُمَ في نفسه الدافعُ إلى قضاء وطره في غيرها، وقد يفضي به الأمر إلى أن تخرج من قلبه، وتصبح العلاقة بينهما سطحية رتيبة؛ كعلاقة الرجل بزميله في العمل، وهذا –قطعاً – لا يضر الزوج وحده، بل يضر الزوجة معه .

إنَّ تفهُّم الزوجة لحاجة زوجها الجنسية وتقبلَها لدعوته– بما لا يضر بها وإن كثُر– يجعله راغباً فيها لا راغباً عنها، منصرفاً إليها لا منصرفاً إلى غيرها. كما أنه يقطع الطريق على وساوس الشيطان أن تتسلل إلى قلبه، فتوسوس له وتزين له الفاحشة، وتجعل من رفض زوجته لإشباع رغبته عذراً له أن يقع في المحظور .

ومن هنا يظهر لنا جليّاً أن الحديث يأمر المرأة بما هو مصلحة لها في مآله لو تأمّلت أبعاد هذا الأمر في دلالة الحديث .

دق جرس الحصة وانهى الأستاذ كلامه .




قالت سارة : لماذا تعدد الزوجات للرجال دون النساء ؟

- من يعد لنا هذا البحث ؟
- عبير هذه المرة هي التي تعد البحث .

أنا أريد أن عمل بحث عن الحب يا أستاذ وليس تعدد الزواجات .. هل من العدل أن تطلب من فتاة أن تعد بحثاً عن تعدد الزواجات ؟!

- أعدِّي البحث وسوف نتناقش حوله .. اتفقنا .
- اتفقنا يا أستاذ .

***

لماذا تعدد الزوجات للرجال دون النساء ؟

رحمة الله بعباده

حصتنا اليوم عن رحمة الله بعباده . الرحمة من معانيها الشفقة ، والمغفرة اختارها اله تعالى صفة لذاته ، وتعني في حقه تعالى إيصال الخير والإحسان للخلق فسمي بالرحمن واختارها صفة لأفعاله فسمي الرحيم لذا كان من الدعاء الماثور : يا رحمن الدنيا ويا رحيم الآخرة . والرحمن تعني : رحمة الله بخلقه : مؤمنين وكافرين ، والرحيم تعني : رحمة الله بالمؤمنين في الآخرة خاصة ، وقد طلب الحق عباده بإشاعة الرحمة فيما بينهم وجعلها مقصداً من مقاصد الشريعة ، ونحن في صلواتنا وفي فاتحة الكتاب ومع البسملة نردد – بسم الله الرحمن الرحيم – نكررها مرات ومرات لتترسخ في النفوس ، وقد ثبت أن القلوب العامرة بالرحمة والشفقة تثمر السكينة والطمأنينة وأن المجتمع معها يبنى على التآلف والتعاطف ، بينما القلوب الغليظة يتمزق معها المجتمع وتتزلزل أركانه وينتشر معها البغي والظلم والاعتداء على حقوق الناس .

- يكفي هذا يا أستاذ ونتحول إلى الأسئلة .
- هل أعددت البحث يا عبير ؟

قالت : نعم يا أستاذ .

- سأمهد أنا لك بمقدمة وأنت تكملين .
- لا .. يا أستاذ أنا أقرأ البحث وحضرتك تجيب عن الأسئلة .
- اتفقنا .

حقائق عن تعدُّد الزوجات ؟

– قبل الاستفاضة في بيان الحكمة من تعدد الزوجات نقرر هذه الحقائق :

١– الإسلام لم ينشأ التعدد ، فقد جاء الإسلام والتعدد موجود فقيَّده ووضع له الضوابط والشروط .

٢– الإسلام يجيز للرجل الزواج من امرأة ثانية ، ولكنه يفرض عليه المحافظة على زوجته الأولى وعدم الإضرار بها .

٣– الإسلام يشترط لإباحة التعدد القدرة عليه بدنيّاً وماليّاً .

٤– الإسلام يشترط لإباحة التعدد العدل بين الزوجات .

يقول تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] فإذا آنس الرجل من نفسه القدرة البدنية والمالية والقدرة على العدل أبيح له الزواج والتعدد .

قالت سارة : ولكن في هذا إيذاء نفسي وضرر للزوجة الأولى .

– أجيبي يا عبير .

– أجب حضرتك .. لقد اتفقنا .

– مما لا شك فيه أن الزواج بأخرى ربما سبب بعض الإيذاء النفسي ، والتوتر العصبي وغير ذلك بالنسبة للزوجة الأولى ، لذا وجب على الزوج أن يتلطف بزوجته ، ويقنعها بالأمر ، وأن يبذل لها ما يجبر خاطرها ، لأن هذا من العشرة بالمعروف ، وإن ترك التعدد حفاظاً على مشاعرها ، فيؤجر على ذلك .

كما أن الزوج ينبغي له أن يوازن بين المصالح والمفاسد من هذا الزواج فيفعل الأصلح ، وهذا يختلف باختلاف الناس.

قال الأستاذ نبيل ذلك ثم قال : أكملي يا عبير وحدثينا عن الحكمة من إباحة الإسلام التعدد .

لماذا أباح الإسلام تعدُّد الزوجات ؟

١- إن الإسلام حرم الزنا، وشدَّد في تحريمه؛ لما فيه من المفاسد العظيمة التي تفوق الحصر والعد، والإسلام حين حرَّم الزنا وشدَّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة، والسكن، والطمأنينة ألا وهو الزواج، حيث شرع الزواج، وأباح التعدد لدواعي تحتمه وشروط تضبطه .

٢- إن عدد النساء يفوق عدد الرجال ، ويتجلَّى ذلك في أيام الحروب؛ فَقَصْر الزواج على واحدة يؤدي إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج، وذلك يسبب لهن الحرج، والضيق، والتشتت، وربما أدَّى بهن إلى بيع العِرض، وانتشار الزنا، وضياع النسل.

٤- إن هناك ملايين من الرجال غير قادرين على الزواج بسبب الباطلة أو العجز أو المرض ، بالإضافة إلى الشواذ الذين يُعدُّون بعشرات الملايين في أمريكا وأوربا. ناهيك عن عزوف كثير من الشباب عن الزواج وذلك لأنهم وجدوا حاجتهم في الخليلات ومشاهدة الأفلام الإباحية والتردد على بيوت الدعارة فمبدؤهم " لماذا اشتري بقرة ما دام اللبن في السوق ؟! " .

٣- إن نظرة الإسلام عادلة متوازنة: فالإسلام ينظر إلى النساء جميعهن بعدل، والنظرة العادلة تقول بأنه لا بد من النظر إلى جميع النساء بعين العدل وليس للمتزوجات فقط .

إذا كان الأمر كذلك؛ فما ذنب العوانس اللاتي لا أزواج لهن؟ ولماذا لا يُنظر بعين العطف والشفقة إلى من مات زوجها وهي في مقتبل عمرها؟ ولماذا لا ينظر إلى النساء الكثيرات اللواتي قعدن بدون زواج؟.

٤- أيهما أفضل للمرأة : أن تنعم في ظل زوج معه زوجة أخرى، فتطمئن نفسها، ويهدأ بالها، وتجد من يرعاها، وترزق بسببه الأولاد، أو أن تقعد بلا زواج البتة؟.

٥- أيهما أفضل للمجتمعات: أن يعدد بعض الرجال فيسلم المجتمع من تبعات العنوسة؟ أو ألا يعدد أحد، فتصطلي المجتمعات بنيران الفساد؟.

وأيهما أفضل: أن يكون للرجل زوجتان ؟ أو أن يكون له زوجة واحدة وعشر عشيقات، أو أكثر أو أقل؟.

٦- أن التعدد ليس واجباً: فكثير من الأزواج المسلمين لا يعددون ما دامت زوجة واحدة تكفيه، أو أنه غير قادر على العدل أو النفقة فلا حاجة له في التعدد.

٧- إن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل: وذلك من حيث استعدادها للمعاشرة؛ فهي غير مستعدة للمعاشرة في كل وقت، ففي الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام، أو أسبوعين كل شهر ، وفي النفاس مانع-أيضاً-والغالب فيه أنه أربعون يوماً، والمعاشرة في هاتين الفترتين محظورة شرعاً، لما فيها من الأضرار التي لا تخفى. وفي حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة في معاشرة الزوج، وهكذا. أما الرجل فاستعداده واحد طيلة الشهر، والعام؛ فبعض الرجال إذا منع من التعدد قد يؤول به الأمر إلى سلوك غير مشروع.

٨- قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد: فيُحْرَمُ الزوج من نعمة الولد، فبدلاً من تطليقها يبقي عليها ويتزوج بأخرى وَلُود.

٩- قد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً: كالشلل وغيره، فلا تستطيع القيام على خدمة الزوج؛ فبدلاً من تطليقها يبقي عليها، ويتزوج بأخرى.

١٠- قد يكون سلوك الزوجة سيئاً: فتكون شرسة، سيئة الخلق لا ترعى حق زوجها ؛ فبدلاً من تطليقها يبقي الزوج عليها، ويتزوج بأخرى؛ وفاء للزوجة، وحفظاً لحق أهلها، وحرصاً على مصلحة الأولاد من الضياع إن كان له أولاد منها.

١١- التماس الأجر: فقد يتزوج الإنسان بامرأة مسكينة لا عائل لها، ولا راع، فيتزوجها بنيَّة إعفافها، ورعايتها، فينال الأجر من الله بذلك.

وهكذا يتبين حكمة الإسلام، وشمول نظرته في إباحة التعدد،

فإن التعدد مباح في الأصل لمن أنس من نفسه العدل ولم يخف من الجور ، وأما من خشي عدم العدل فعليه بواحدة كما قال تعالى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]

إن الصبر قد يكون على وقوع المكروه ، وقد يكون على فوات المرغوب والمحبوب، ويُؤجر العبد على الصبر بنوعيه إذا احتسب الأجر عند الله عز وجل، ويدخل ترك الزواج بأخرى محافظة على مشاعر الزوجة أو خوفاً مما قد يسببه الزواج من مشاكل معها في الصبر على فوات المرغوب، الذي يؤجر عليه الإنسان بشرط أن يحتسب أجر ذلك عند الله عز وجل .

عند بعثة النبي كان العالم في حاجة إلى زيادة عدد السكان لتعمير الأرض ولتعويض ضحايا الحروب المشتعلة في كل مكان ، وكان التعدد موجوداً بغير ضابط ولا تنظيم فجاء الإسلام فجعل لزيادة عدد أفراد الأمّة الإسلاميّة المكلفة بالإيمان بالله الواحد الأحد ، والدعوة إليه ، وإصلاح الكون وتعميره ، ونشر الخير والحق ، ورفع الظلم عن الأمم المستضعفة ... لذا دعا لزيادة النسل وأجاز تعدد الزوجات وفق ضوابط وشروط تضمن عدم خروجه عن الحكمة التي شرع من أجلها .

إن الرغبة الجنسية عند الرجال أقوى منها عند النساء ، والقدرة على الإنجاب عند الرجال لا تتوقف عند سن معينة والنساء العاطفة عندهن أقوى من الرجال ، وبعد سن الخامسة والأربعين تتأثر كثيراً وتنخفض ، غالباً ، حاجتهن للجماع بسبب قرب سن اليأس وما يحدث لهن من خلل هرموني .

فكيف يفرغ الرّجال طاقتهم الجنسية ، وزيادة نسلهم ، وقد توقفت زوجاتهم عن الرغبة الجنسية والقدرة على الإنجاب بما هو محلّل ؟

كذلك فإن بعض الزّوجات قد ابتلاهن الله بالعقم أو المرض، أو عدم قدرتهنّ على إشباع حاجات الزّوج الجنسيّة .

كما أن هناك أرامل ومطلّقات وضّعيفات يحتجن إلى من يعيلهنّ ويأويهن ويلبي حوائجهن الجنسية والنفسية والمادية.

بديل تعدد الزوجات

والعجيب أن الدول الغربية التي تشنّع على الإسلام بسبب تعدد الزوجات أحوج من البلاد الإسلامية إلى التعدد بسبب ملايين النساء اللاتي يعشن بلا أزواج .

والحل لكل هذه المشاكل هو تعدد الزوجات ، لا تعدد الخليلات كما اختارت الشعوب التي لا تؤيد التعدد .

إن العلاقات المحرمة تزيد ، وكذلك ظاهرة الزواج العرفي في ظل وجود ملايين من النساء بلا زواج .. وأكدت الباحثتان غادة محمد إبراهيم و داليا كمال عزام في دراستهما تراجع حالات الزواج بين الشباب بنسبة ٩٠ % بسبب الغلاء والبطالة وأزمة المساكن .

وتقول إحصائية رسمية أمريكية : إنه يولد سنوياً في مدينة نيويورك طفل غير شرعي من كل ستة أطفال يولدون هناك ، ولا شك أن العدد على مستوى الولايات المتحدة يبلغ الملايين من مواليد السفاح سنوياً .

ولقد اختلَّ التوازن العددي بين الرجال والنساء بصورة مفزعة بسبب الحرب الضارية التي شهدتها الأمة العربية مثل حرب الخليج الأولى (العراق وإيران) وحرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت) والحروب الأهلية بعد الربيع العربي (في سوريا وليبيا واليمن والعراق ...) بالإضافة إلى فلسطين .

فماذا تفعل الفتيات المسلمات اللائي لا يجدن أزواجاً من المسلمين ؟

مما يعود بالضرر عليها وعلى المجتمع :

أما الضرر الذي سيلحقها فهو أنها لن تجد لها زوجاً يقوم على مصالحها ، ويوفر لها المسكن والمعاش ، ويحصنها من الشهوات المحرمة ، وترزق منه بأولاد تقرُّ بهم عينها ، مما قد يؤدي بها إلى الانحراف والضياع إلا من رحم ربك .

وإذا كانت النساء غير المتزوجات في الدول التي لا تبيح التعدد يمكن أن يشبعن رغباتهن الجنسية عن طريق الزنا والبغاء فإن ذلك لا يشبع مشاعر العاطفة لديهن ولا غريزة الأمومة .

إن حرمان المرأة من العواطف والأمومة أشد خطورة من حرمانها الجنسي .. فمتعة الإشباع الجنسي بدون عواطف ليس لها أي تأثير لدى المرأة .. بينما الكلمة الرقيقة واللمسة الحانية تأثيرها أكثر بكثير ، وتجعلها تنعم بالإشباع الجنسي .. هذا ما يؤكده الدكتور سعيد عبد العظيم – أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بطب القاهرة – ويضيف أن الحرمان العاطفي عند المرأة هو الطريق السريع إلى الانحراف أو البرود الجنسي ، بالإضافة إلى العديد من الأمراض الجسدية والنفسية وغيرها ..

يقول الدكتور محمد هلال الرفاعي أخصائي أمراض النساء والتوليد :

عدم الزواج أو تأخيره يعرض المرأة لأمراض الثدي أكثر من المتزوجة ، وكذلك سرطان الرحم والأورام الليفية .. وقد سألت كثيراً من المترددات على العيادة : هل تفضلين عدم الزواج أم الاشتراك مع أخرى في زوج واحد ؟

كانت إجابة الأغلبية الساحقة هي تفضيل الزواج من رجل متزوج بأخرى على العنوسة الكئيبة ، بل إن بعضهن فضلن أن تكون حتى زوجة ثالثة أو رابعة على البقاء في أسر العنوسة .

وإذا كان هذا هو رأى العلم ، فإن المرأة الطبيبة تكون أقدر على وصف الحال بأصدق مقال .. تقول طبيبة في رسالة بعثت بها إلى الكاتب الكبير أحمد بهجت " إنها قرأت إحصائية تقول : إن هناك ما يقرب من عشرة ملايين سيدة وآنسة بمصر يعشن بمفردهن .. وهن إما مطلقات أو أرامل لم ينجبن أو أنجبن ، ثم كبر الأبناء وتزوجوا أو هاجروا ، أو فتيات لم يتزوجن مطلقاً ..

وتقول الطبيبة : هل يستطيع أحد أن يتخيل حجم المأساة التي يواجهها عالم (النساء الوحيدات) ؟ إن نساء هذا العالم لا يستطعن إقامة علاقات متوازنة مع

الآخرين ، بل يعشن في حالة من التوتر والقلق والرغبة في الانزواء بعيداً عن مصادر العيون و الألسنة والاتهامات المسبقة بمحاولات خطف الأزواج من الصديقات أو القريبات أو الجارات .. وهذا كله يقود إلى مرض الاكتئاب ، ورفض الحياة ، وعدم القدرة على التكيف مع نسيج المجتمع .

وتدق الطبيبة ناقوس الخطر محذرة مما يواجه هؤلاء النسوة من أمراض نفسية وعضوية مثل الصداع النصفي وارتفاع ضغط الدم والتهابات المفاصل وقرحة المعدة والاثنى عشر والقولون العصبي واضطرابات الدورة الشهرية وسقوط الشعر والانحراف الخلقي .. ويضطر الكثير منهن للارتباط برجل متزوج .

والأخذ بنظام تعدد الزوجات جنَّب المجتمعات الإسلامية شروراً ومصائب لا حصر لها .. وتكفى مقارنة بسيطة بين المجتمعات العربية مثلاً – التي تندر فيه الجرائم الخلقية مثل الاغتصاب والدعارة وبين المجتمع الأمريكي الذي تكاد نسبة العشيقات فيه تزيد على نسبة الزوجات .. كما تبلغ نسبة الأطفال غير الشرعيين فيه أكثر من ٤٥ % من نسبة المواليد سنويّاً !! وتقول الإحصاءات الرسمية الأمريكية إن عدد الأطفال غير الشرعيين كان ٨٨ ألف مولود سنة ١٩٣٨ ، ثم ارتفع إلى ٢٠٢ ألف عام ١٩٥٧ ، ووصل إلى ربع مليون مولود من الزنا عام ١٩٥٨ .. ثم قفز الرقم إلى الملايين من ثمرات الزنا في التسعينيات !! والأرقام الحقيقية تكون عادة أضعاف الأرقام الرسمية التي تذكرها الحكومات .

شكراً لك يا عبير بحث جيد جداً أنا أعرف من أين أتيت به لكن قولي لزميلاتك مرجعك .

– موقع ملتقى أهل الحديث ، وبحث بعنوان " زوجات لا عشيقات " ، ومساعدة حضرتك .

قالت سارة : ولكن أنا ما زلت عند رأيي التعدد ظلم للزوجة الأولى .

هذا الموضوع الحصة القادمة إن شاء الله الحصة قبل الأخيرة في نصف الدراسة الأول .

***

التعدد وظلم الزوجة الأولي

الرسول الرحمة المهداة

حصتنا اليوم " الرسول الرحمة المهداة . إذا كانت مظاهر رحمة الله بالإنسان كثيرة ومتنوعة فإن إرسال الرسل والأنبياء وإنزال الكب السماوية من مظاهر هذه الرحمة ، ونقف بكن أمام الرسول الكريم ﷺ بوصفه أهم مظهر لهذه الرحمة لنعرف أثره في العالمين فقد نطق القرآن في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وإذا كنا نؤمن بأن الإسلام بشرائعه وتعاليمه وآدابه عين الرحمة فإن النبي الكريم ﷺ يعد التجسيد العملي في القول والفعل والتطبيق لهذا الدين الذي ر يتضح في أوامره ونواهيه إلا بالرحمة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وقد وصف الله تعالى هدي النبي في الدعوة لقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] ولا شك أن سيرته مليئة بمشاهد تدل على رحمته التي فتح الله بها القلوب وأحيا بها النفوس ، " إنَّ فتًى شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي بالزِّنا فأقبل القومُ عليه فزجَروه وقالوا : مَهْ مَهْ فقال : ادنُهْ فدنا منه قريبًا قال : فجلس قال : أَتُحبُّه لِأُمِّكَ ؟ قال : لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال : ولا الناسُ يُحبونَه لأُمهاتِهم قال : أفتُحبُّه لابنتِك قال : لا واللهِ يا رسولَ اللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال : ولا الناسُ يُحبونَه لبناتِهم قال : أفتُحبُّه لأُختِك قال : لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَك قال : ولا الناسُ يُحبونَه لأَخَواتِهم قال : أَفتُحبُّه لعمَّتِك قال : لا واللهِ جعلني

اللهُ فداءَكَ قال : ولا النَّاسُ يُحبُّونَـه لعمَّاتِهم قال : أفتُحبُّه لخالتِك قال : لا واللهِ جعلني اللهُ فداءَكَ قال : ولا النَّاسُ يحبونَـه لخالاتِهم قال : فوضع يدَه عليه وقال : اللهمَّ اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرْجَهُ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ " [صححه الألباني] .

قالت سارة : نعود لوضوع الأسبوع الماضي فقد قرأت شيئاً وأريد أن أعرضه على حضرتك .

رأي قاسم أمين في تعدد الزوجات

ولم تنتظر سارة رد الأستاذ فأخذت تقرأ من ورقة في يدها : " يقول قاسم أمين في كتابه المرأة الجديدة : " إن في تعدد الزوجات احتقاراً شديداً للمرأة لأنك لا تجد امرأة ترضي أن تشاركها في زوجها امرأة أخرى ، كما إنك لا تجد رجلاً يقبل أن يشارك غيره في محبة امرأته ، وهذا النوع من الحب اختصاص طبيعي للمرأة كما أنه طبيعي للرجل." .

شروط التعدد

قال الأستاذ نبيل : كلام قاسم أمين ، وغيره يقودنا إلى بيان شروط التعدد:

أولاً : العدل ؛ لقوله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣] أفادت هذه الآية الكريمة أن العدل شرط لإباحة التعدد ، فإذا خاف الرجل من عدم العدل بين زوجاته إذا تزوج أكثر من واحدة ، كان محظوراً عليه الزواج بأكثر من واحدة. والمقصود بالعدل المطلوب من الرجل لإباحة التعدد له ، هو التسوية بين زوجاته في النفقة والكسوة والمبيت ونحو ذلك من الأمور المادية مما يكون في مقدوره واستطاعته .

وأما العدل في المحبة فغير مُكلَّف بها ، ولا مطالب بها لأنه لا يستطيعها ، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ " اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِى فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ " يَعْنِى الْقَلْبَ [رواه النسائي وأبو داود].

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩] .

ثانياً : القدرة على الإنفاق على الزوجات :

والدليل على هذا الشرط قوله تعالى : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣] . فقد أمر الله في هذه الآية الكريمة من يقدر على النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر أن يستعفف ، ومن وجوه تعذر النكاح : من لا يجد ما ينكح به من مهر ، ولا قدرة له على الإنفاق على زوجته . ويقول النبي ﷺ " يا معشرَ الشبابِ ! من استطاع منكم الباءةَ فليتزوجْ . فإنه أغضُّ للبصرِ ، وأحصنُ للفرجِ . ومن لم يستطعْ فعليه بالصومِ . فإنه له وجاءٌ " [متفق عليه] .

أكملت سارة قراءة قائلة : والزوجة الثانية إن قبلت الزواج لإشباع غريزتي : الجنس والأمومة ، وسد حاجتها للحب والنفقة والحماية فإن الزوجة الأولى سوف تُضَار بمشاركة زوجة أخرى لها في زوجها وربما مال إلى الثانية وهجر الأولى .

– الإسلام اشترط للتعدد العدل كما سبق القول فيأثم من لم يعدل بين زوجتيه ، وإذا كانت الزوجة الأولى ينالها ضرر من الزواج بالثانية، فإن الثانية ينالها ضرر أشد وأعظم بحرمانها من إشباع غريزتي : الجنس والأمومة والحب والمودة والرحمة في كنف رجل ، وهذا خير لها من الطلاق والحرمان وتشريد الأطفال ، وصيانة للمجتمع من الانحراف والفساد فالفائدة تعود على النسبة الأكبر في المجتمع والضرر الكبير يدفع الضرر اليسير .

والشَّرِيعَة سمحت للزوجة إن وجدت نفسها محرومة من حقها الطبيعي في متعتها الجنسية أن تطلب الفراق من زوجها الذي لم تنل منه حقها الطبيعي الذي شرع الزواج سبيلاً إليه لتتزوج من رجل غيره وللزوجة أن تشترط على زوجها حين العقد بألا يتزوج عليها، فحينئذ لا يجوز له الزواج من غيرها، فإن لم يوف لها فُسخ النكاح .

وقال بعض العلماء إنه إذا تزوج رجل من امرأة من قوم لم تجر العادة بالتزوج على نسائهم، كان بمنزلة الشرط عليه ألاَّ يتزوج على امرأته .

إن ضرورات الحياة تفرض على كل زوج وزوجته التضحية ببعض ما يحب في سبيل المصلحة المشتركة لكليهما أو المصلحة العامة للمجتمع ، أو حتى مصلحة الآخر إذا كان يحبه حقاً .. والإسلام يبغض الأنانية ويدعو إلى الإيثار وليس الأثرة المقبوحة ..

وفى عصرنا هذا نرى ملايين الرجال يسافرون للعمل في الخارج تاركين زوجاتهم وأطفالهم عاماً أو أكثر في سبيل لقمة العيش .. والغريب أن أولئك الذين يتباكون على نقصان حظ الزوجة من رجلها حين يقترن بأخرى لا يعترضون على حرمانها الكامل سنوات وسنوات في حالة سفر الزوجة للعمل بالخارج ، بل يدعون إليه ويشجعونه بحجة الرغبة في زيادة موارد الدولة من العملة الصعبة ، ولو على حساب الزوجات !

وهناك فترات الولادة والنفاس التي تمتد إلى أربعين يوما لكل مرة ، ويحظر الجماع خلالها ..

ولا داعي إذن إلى المبالغة في التهويل وتضخيم الضرر الذي يلحق بالزوجة الأولى بسبب التعدد .

أليس من العدل (في مصر مثلاً) أن تراعى مصالح ثمانية أو حتى عشرة ملايين من الزوجات على حساب عشرة ملايين امرأة وفتاة ينتظرن حظاً من الحياة؟! إن الأقرب على العدل والرحمة والإنسانية أن يشاركن المتزوجات في التمتع بالحياة وبعطف ورعاية الأزواج .

وهناك نقطة أخرى يثيرها معارضو التعدد ، وهى مغالطة واضحة تنافى الواقع الملموس وطبائع الأشياء .. فالرجل إذا كانت له زوجتان أو ثلاث أو أربع يصل إلى مرحلة من الارتواء العاطفي والجنسي غالباً ، ويكون أقل من غيره استعداداً للوقوع في الخطيئة .

والأهم من ذلك أن التعدد لا يستهدف في المقام الأول أو الوحيد مجرد إشباع الشهوة .. فكما أسلفنا يقرر الطب النفسي أن الإشباع العاطفي أهم بكثير من مجرد الإشباع الغريزي والارتواء الجنسي .

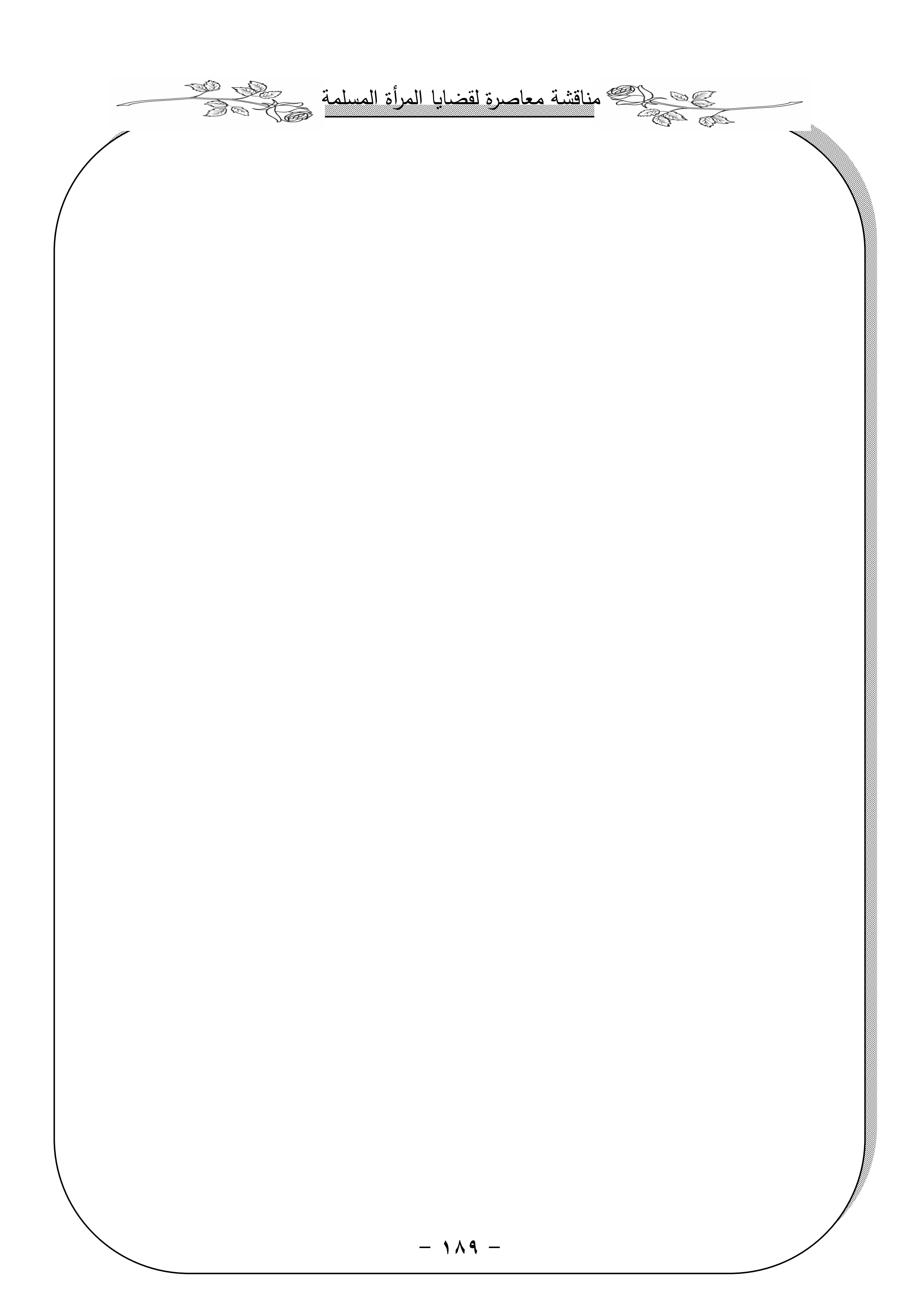
وليس الغرض الوحيد من الزواج هو ممارسة الجنس .. فالسكون العاطفي والمودة والرحمة وإنجاب الذرية الصالحة والترابط الاجتماعي بالمصاهرة ورعاية النساء والأطفال والقيام على شئونهم والإنفاق عليهم – كلها مقاصد أسمى بكثير من مجرد ممارسة الجنس ولإشباع الشهوة .. والرجال يتفاوتون في القدرات الجنسية ، كما يتفاوتون في مقدار حاجتهم إلى الأكل .

والمستهدف هو تجنيب المجتمع أسباب الرذائل بقدر الإمكان ، وتحصين المسلم بالوسائل التي تساعده على غض البصر وحفظ الفرج ، ومن هذه الوسائل المساعدة إباحة تعدد الزوجات بشرط العدل ، حتى نساعد الزوجات أيضا على الالتزام بالعفة وحفظ الفرج وغض البصر بدورهن .. ورغم هذا قد ينحرف البعض .. تماما مثلما أن الدولة الحديثة توفر فرص العمل للناس ، إلا أن هذا لم يمنع ولن يمنع انحراف البعض للسرقة أو السطو أو الاتجار بالمخدرات لتحقيق مكاسب غير مشروعة رغم وجود فرص الكسب المشروع .. فقط تحاول الدول المختلفة الحد من الظاهرة وتقليل أعداد المنحرفين ما أمكن .. هذا بالضبط ما تستهدفه أحكام الشريعة الإسلامية الغراء (ومنها حق الرجال في تعدد الزوجات بضوابط وشروط معينة) ، فالهدف دائما الإقلال من الجريمة والانحرافات ، وليس القضاء التام عليها ، لأن ذلك مستحيل في عالم البشر الضعفاء الخطائين، وخيرهم بالطبع هم التوابون الذين يجتهدون لمقاومة نزعات النفس الأمارة بالسوء..

قالت شروق : إذا كان من حق الرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة فلماذا يَحْرُم على المرأة ذلك ؟

ضحكت الطالبات ، وانتهت الحصة .

***



هل يجوز تعدد الأزواج ؟

قبل أن يبدأ الأستاذ نبيل الحصة قالت : يا أستاذ لقد انتهينا بحمد لله من المنهج الدارسي ، لم ننته من مناقشة بقية الأسئلة ، وهذه آخر حصة في الفصل الدراسي الأول .

قال الأستاذ نبيل : عندنا فصل دراسي ثاني نكمل فيه ما فاتنا .

- أريد أن أعرف إجابة بقية الأسئلة ولم يتبق إلا سؤالاً أو اثنين فقط .
- تفضلي يا سارة .

قالت شروق : لقد كان لي سؤال آخر الحصة الماضية أتذكره يا أستاذ ؟

قالت بعض الطالبات : ما هذا السؤال ؟

لماذا لم يسمح الإسلام بتعدد الأزواج ؟

ضحك الأستاذ وقال : لقد سألت سفسطائية آخر الزمان من باب المشاغبة والجدل البيزنطي ، ولماذا سمح الإسلام بتعدد الزوجات للرجال ولم يسمح لتعدد الأزواج للنساء؟ أليس كذلك يا شروق ؟

- بلى .. يا أستاذ مع أني لا أدري ما معني سفسطائي .

– ومع أن إجابة السؤال لا يجهلها عاقل إلا أننا سنجيب عن السؤال لبيان الاختلاف بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالجنس.

إن جميع الديانات السماوية والقوانين الوضعية متَّفقة على أنه لا يجوز للمرأة أن تعدد الأزواج ؛ فالله سبحانه جعل المرأة هي الوعاء ، والرجل ليس كذلك ، فلو

حملت المرأة بجنين " وقد وطئها عدة رجال في وقت واحد " لما عُرِف أبوه ، واختلطت أنساب الناس ولتهدمت البيوت وتشرد الأطفال ، ولأصبحت المرأة مثقلة بالذرية الذين لا تستطيع القيام بتربيتهم والنفقة عليهم ولربما اضطرت النساء إلى تعقيم أنفسهن .

تعدد الأزواج وواجبات الزوجة

كما أن تعدد الأزواج يمنع المرأة من أداء واجبات الزوجة بصورة متساوية وعادلة بين أزواجها سواء أكان ذلك في الواجبات المنزلية أو في العلاقات الجنسية وبخاصة وأنها تحيض لمدة خمسة أو سبعة أيام في كل شهر ، وإذا حملت تمكث تسعة أشهر في معاناة جسدية تحول دون القيام بواجباتها نحو الرجال الذين تزوجوها . وعند ذلك سيلجأ الأزواج– بلا شك – إلى الخليلات من بنات الهوى أو يطلقونها فتعيش حياة قلقة غير مستقرة .

تعدد الأزواج والطب

ثم إن الثابت الآن – طبياً – أن الأمراض الخطيرة التي انتشرت كالإيدز والزهري والسيلان ... من أهم أسبابها كون المرأة يطأها أكثر من رجل ، فاختلاط السوائل المنوية في رحم المرأة يسبب هذه الأمراض الفتاكة ، ولذلك شرع الله العدّة للمرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها حتى تمكث مدة لتطهير رحمها ومسالكها من آثار الزوج السابق وللطمث الذي يعتريها دور أيضاً في هذه العملية .

وهنا أخرج الأستاذ بعض أوراقه وأخذ يقلب فيها ثم بدأ يقرأ : " إن الحقيقة العلمية ناطقة من خلال الإحصائيات التي تؤكد أن نسبة عالية من سرطان الرحم تحدث بين النسوة اللائي يمارسن البغاء، لتعدد مصادر الماء في المكان الواحد(فرج المرأة) وكان هذا عقوبة للزناة في الدنيا قبل الآخرة .

وعلى ذكر البغاء فإن الدراسات النفسية تؤكد أن دافع النساء اللاتي يمارسن البغاء ، في الغالب الأعم ، يكون من أجل المال لا للإشباع الجنسي ، بعكس

الرجال الذين يترددون على بيوت البغاء فإن الدافع لديهم هو إشباع غرائزهم الجنسية لذا يبذلون الكثير من المال من أجل الحصول على هذا الإشباع وهذا يؤكد أن التعدد يتوافق مع طبيعة الرجال ولا يتناسب مع طبيعة النساء.

تقول لينا فارس أخصائية نفسية : " المرأة البغي : هي من تقدِّم جسدها فرصة لينال الرجل لذاته الجنسية مقابل ثمن يدفعه من غير أن يكون مقصدها هي الحصول على نفس هذه المتعة. فهي لا تبحث عن طريق هذا الاجتماع لا عن اللذة ولا الحب ولا العطف ولا الحنان إنما تسعى للثمن " .

لقد أثبتت الإحصائيات أنَّ أكثر الذين يذهبون إلى أماكن الدَّعارة والفحش هم الرجال ومن المتزوجين. أما المرأة التي تذهب إلى هذه أماكن الدَّعارة أكثرهن يذهبن كرهًا، إما بسبب فقرها واحتياجها إلى المال وتأمينها العيش السعيد أو بسبب الجهل، باستثناء القلة القليلة منهن يذهن لأجل الشهوة.

والذي يؤكد ذلك أنَّ أكثر النساء عندما تفقد زوجها عملاً بفطرتها التي فطر الله بهن، لا ترغب بالزّواج عمومًا؛ وسبب عدم زواجها لأنَّ في تكوين المرأة ليست الشهوة بالدرجة الأولى بل عملها الأصلية هي الأُمومة وتربية أولادها وتكوين الأسرة السعيدة كما أراد الله تعالى.

لقد اِكتشف علم الطب الحديث خطورة زواج المرأة لأكثر من زوج وذلك لأنَّ للسائل الذكري شفرة خاصة بها، يختلف من شخص إلى أخر، كما في اختلاف بصمات الإصبع. وأن المرأة تحمل داخل جسدها جهازًا مثل كمبيوتر يختزن شفرة الرجل الذي يعاشرها. وإذا دخل على هذا الكمبيوتر أكثر من شفرة فلا تقبلها فكأنما دخل فيروس إلى الكمبيوتر ويصاب بالخلل والاضطراب. وإن جميع ممارسي مهنة الدعارة يصبن بالأمراض الخبيثة وخاصة بسرطان الرحم. ومع الدراسات المكثفة للوصول لحل هذه المشكلة فوجدوه أكبر علاج تكمن في نظام الإسلام التي تحرم بمثل هذه الأمور واعتبرها زنا تستحق العقاب. ونواصل ونقول

من أجل طهارة المرأة تحتاج مدة العدة التي شرعها الإسلام حتى تستطيع استقبال شفرة جديدة بدون إصابتها بأذى. وهذا الاكتشاف الطبي توضح جواب سؤال لماذا تتزوج المرأة رجلاً واحدًا ولا تعدد أزواج؟

علاقة المرأة بالشيطان

قالت سارة : لقد أجبت حضرتك قبل ذلك عمن شبه المرأة بالكلب والحمار فما رأيك في تشبيهها بالشيطان ؟

– تقصدين قول النبي " لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ " .

– نعم يا أستاذ أليس في هذا إهانة للمراة ؛ فهي إما شيطان ، أو مساعدة شيطان ؟!!

ضحك الأستاذ وقال : المراد بالخلوة انفراد الرجل بالمرأة الأجنبية عنه في مكان لا يراهم فيه أحد . والملاحظ أن النبي ﷺ ينهى الرجل بالخلوة بالمرأة لما يعلم من غريزة حب الرجال للنساء كما بينا في الشبهة السابقة فأي إساءة للمرأة في ذلك ؟! إن النبي ﷺ يريد أن يحافظ على المرأة من إساءة الرجل عليها والاعتداء عليها في غيبة من يدافع عنها ويحميها منه ، وأن يقطع طريق الشيطان على الرجل الذي يزين له ارتكاب الفاحشة وتغريه قوته بإرغام المرأة عليها مستغلاً انفراده بالمرأة والمتأمل في نص الحديث يجد النبي ﷺ يحذر من سوء أخلاق الرجال بعد انقضاء زمان النبي والصحابة الكرام فلا يتورَّع هؤلاء الرجال عن الكذب وشهادة الزور لذا ينهى ﷺ عن خلو الرجل بالمرأة والتزام الجماعة وعدم الفرقة ويعلل ذلك بأن الشيطان سلطته أقوى على الواحد الفرد وتضعف سلطة الشيطان بزيادة العدد والجماعة .

عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : " أُوصِيكم بِأَصْحَابِي، ثُّم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يَفْشُو الكذبُ حتى يحلفَ الرجلُ ولا يُستَحْلَفُ، ويشهد

الشاهدُ ولا يُسْتَشْهَدُ . ألا لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ . عليكمْ بالجماعةِ، وإياكم والفرقةَ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ وهو من الاثنينِ أبعدُ . من أراد بحبوحةَ الجنةِ فلْيلزمِ الجماعةَ . من سرَّتهُ حسنتُه وساءتْه سيئتُه فذلكمُ المؤمنُ " [صحيح الترمذي]

والخلوة معناها لغة: الانفراد، وفي حالة التعدد لم ينفرد الرجل بالمرأة، ولم تنفرد به . لذا قال النبي ﷺ " لا يخلون رجل بامرأة "، لم يقل " ما خلا رجل بنساء " ولا " ما خلا رجال بامرأة " فهذه الصورة التي وقع فيها التعدد لا تدخل في نص الحديث .

ويؤكد هذا حديث عبد الله بن عمر " أنَّ نفرًا من بني هاشمٍ دخلوا على أسماءَ بنتِ عميسٍ . فدخل أبو بكرٍ الصديقُ ، وهي تحتَه يومئذٍ ، فرآهم . فكرِهَ ذلك . فذكر ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ وقال : لم أرَ إلا خيرًا . فقال رسولُ اللهِ ﷺ " إنَّ اللهَ قد برَّأَها من ذلك " . ثم قام رسولُ اللهِ ﷺ على المنبرِ فقال " لا يدخلَنَّ رجلٌ ، بعد يومي هذا ، على مُغيبةٍ ، إلا ومعَه رجلٌ أو اثنانِ. " [صحيح مسلم] .

" المُغيبة " وهي المرأة الَّتِي غاب عنها زوجُها عن مَنزِلِها، سواءٌ غابَ عن البلدِ بأنْ سافَرَ أو غابَ عن المنزلِ وإنْ كان في البَلدِ، " إلَّا ومعه رجلٌ أو اثنانِ " ؛ سدًّا لِذَرِيعَةِ الخَلْوة، ودَفعًا لِمَا يُؤدِّي إلى التُّهَمة، وإنَّما اقتَصَر على ذِكر الرجلِ والرَّجُلَيْن؛ لصلاحيةِ أولئك القَوْم؛ لأنَّ التُّهَمةَ كانت ترتفِع بذلك القَدْر .

فمنع الخلوة إنما كان لأنها مظنة الفتنة، وطريق إلى الإغراء بالمعصية، ومع وجود التعدد تصبح المظنة بعيدة، كما جرت بذلك العادة .

وعلى هذا لا تتحقّق الخلوة في الشوارع والمحال التجاريّة والمواصلات التي تغصُّ بالرّجال والنِّساء، وإنّما المطلوب هو الحشمة في الملابس والأدب في الكلام، وعدم الاحتكاك بين الطرفين، وبخاصّة في الزّحام.

ومن المباح أيضا الخلوة بمعنى انفراد رجل بامرأة في وجود الناس، بحيث لا تحتجب أشخاصهما عنهم، بل بحيث لا يسمعون كلامهما. فعن أنس بن مالك قال " جاءت امرأة من الأنصار إلى النبيِّ ﷺ فَخَلَا بِها " [صحيح البخاري] .

وقد تكون الخلوة بالأجنبية واجبة في حال الضرورة، كمن وجد امرأة أجنبية منقطعة في برية، ويخاف عليها الهلاك لو تركت.

قالت سارة : آخر سؤال يا أستاذ ، لماذا لا يفلح قوم ولوا عليهم امرأة مع أن المرأة في العصر الحديث قد اختيرت لتولّي الحكم والوزارة والمناصب الكبرى وقد قامت بكل هذا خير قيام .. خير من الرجال ؟!

لن يفلح قوم ولُّوا عليهم امرأة

– أولاً نذكر نص الحديث فعن أبي بَكرَة قال : " لما بلغ رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ أهلَ فارسٍ قد ملَّكوا عليهم بنتَ كِسرى، قال : " لن يُفلحَ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأةً "
[صحيح البخاري]
والحديث نبوءة من النبيِّ ﷺ عمَّا سيَحدُث للفُرسِ مِن الخُسرانِ والهزيمةِ وبُشْرَى للصحابة بالنصرِ عليهم، وقد حدَث ذلك. وليس فيه انتقاص للمرأة ولا تقليل من شأنها .

وهذا ليس الحديث الوحيد الذي يتنبأ فيه النبي ﷺ بزوال ملك كسرى وبشارة المسلمين بفتح بلاد كسرى فقد جاء في حديث النبي ﷺ لعدي بن حاتم " ولَئنْ طالَت بكَ حَياةٌ لتُفتَحَنَّ كُنوزُ كِسرَى قال : كِسرَى بنُ هُرمُزَ قال : كِسرَى بنُ هُرمُزَ " [صحيح البخاري] وفي حديث ابن عباس ما يدل على أن زوال ملك الفرس ليس بسبب أن امرأة ملكتهم إنما بسبب تمزيق كسرى لرسالة النبي ﷺ ودعاء النبي عليهم بتمزيق ملكهم قال ابن عباس : " أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعث بكتابهِ إلى كِسرى، مع عبدِ اللهِ بنِ حذافةَ السهميّ ، فأمره أن يدفعَه إلى عظيمِ البحرَينِ، فدفعهُ عظيمُ البحرَينِ إلى كِسرى، فلما قرأه مزَّقهُ، فحسبتُ أن ابنَ المسيّبِ قال : فدعا عليهمْ رسولُ اللهِ ﷺ أن يُمزَّقوا كلَّ ممزَّقٍ " [صحيح البخاري]

استجابَ اللهُ دعاءَ نبيِّه ﷺ ، ولم تَمضِ سوى سَنواتٍ قَلائِلَ حتَّى زالَ سُلطانُ الفُرْسِ نِهائيًّا مِن جميعِ الأرض، واضمحَلَّ بدعوةِ النَّبيِّ ﷺ وانقرَضوا بالكلِّيَّة في خلافةِ عمرَ بن الخطاب.

فالشبهة إنما جاءت من خلط الولايات الجزئية كالوزارة والسفارة والخاصة بالإمامة العظمى والولاية العامة لدار الإسلام وأمته وهى الولاية التي اشترط جمهور الفقهاء " الذكورة " فيمن يليها .. ولا حديث للفقه المعاصر عن ولاية المرأة لهذه الإمامة العظمى ؛ لأن هذه الولاية قد غابت عن متناول الرجال ، فضلاً عن النساء ، منذ سقوط الخلافة العثمانية [١٣٤٢ هجرية ١٩٢٤م] وحتى الآن..!

والقرآن الكريم لم يعرض لقضية ولاية المرأة ، كما لم تعرض لها السنة النبوية ، لأن القضية لم تكن مطروحة على الحياة الاجتماعية والواقع العملي لمجتمع صدر الإسلام ، فليس لدينا فيها نصوص دينية أصلاً ،ومن ثم فإنها من مسائل الاجتهاد.

إن هذه القضية هي من "مسائل المعاملات" وليست من "شعائر العبادات" وإذا كانت " العبادات توقيفية " تُلْتَمس من النص وتقف عند الوارد فيه فإن " المعاملات " تحكمها المقاصد الشرعية وتحقيق المصالح الشرعية المعتبرة ، والموازنة بين المصالح والمفاسد فيها ، ويكفى في "المعاملات" ألاَّ تخالف ما ورد في النص ، لا أن يكون قد ورد فيها نص .

باب الاجتهاد الجديد والمعاصر والمستقبلي في هذه المسألة وغيرها من فقه الفروع مفتوح ، لأنها ليست من المعلوم من الدين بالضرورة أي المسائل التي لم ولن تختلف فيها مذاهب الأمة ولا الفِطر السليمة لعلماء وعقلاء الإسلام .

وأنا سوف أقرأ عليك ما قاله العلماء المعاصرون في ذلك .

قالت سارة مازحة : يبدو أن حضرتك قد أعددت للأسئلتي إجاباتها .

- أنسيتي أنك في بداية العام الدراسي قد أعطيتني قائمة بجميع أسئلتك ، وفي هذه الحقيبة كل الإجابات .

- ليتني ما اعطيت حضرتك الأسئلة حتى أفاجئك بها .

- كنت سأجيب عما أعلم ، وأأجل الرد عما أجهل حتى أعد إجابته .

قالت سلمي : نعم العالم أنت يا أستاذ .

وبعد أن شكر الأستاذ سارة على أن حفزته على البحث في قضايا كان يجهل تفاصيل بعضها ، وشكر سلمى على حسن ظنها به قال : يقول د. محمد عمارة في جريدة " الاتحاد الإماراتية " المسلمون مجمعون على أن الإسلام سبق كل الشرائع الوضعية والحضارات الإنسانية عندما أعطى المرأة ذمة مالية خاصة، وولاية وسلطاناً على أموالها، كما أن لها ولاية على نفسها، تؤسس لها حرية وسلطاناً في زواجها، وسلطانها في هذا يعلو سلطان وليها الخاص والولي العام، وأيضاً المسلمون مجمعون على أن للمرأة ولاية ورعاية وسلطاناً في بيت زوجها، وفي تربية أبنائها.

والمشكلة أن قطاعاً من الفقهاء وقف بالولايات المباحة والمفتوحة ميادينها أمام المرأة عند الولايات الخاصة، واختاروا حجب المرأة عن " الولايات العامة " ، التي تلي فيها أمر غيرها من الناس، خارج الأسرة وشئونها، ونجد من تطبيقات وممارسات مجتمع النبوة والخلافة الراشدة مشاركات للنساء في العمل العام من الشورى في الأمور العامة، وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى. وحتى ولاية الحسبة والأسواق والتجارات وانتهاء بالمشاركة في القتال.

هناك فهم مغلوط للحديث النبوي الشريف: " ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " إذ هو الحديث الذي يستظل بظله كل الذين يحرمون مشاركة المرأة في الولايات العامة والعمل وإذا كانت صحة الحديث من حيث " الرواية " هي حقيقة لا شبهة فيها، فإن إغفال مناسبة ورود هذا الحديث يجعل " الدراية " بمعناه الحقيقي مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل العام .

فملابسات ورود الحديث تجعله نبوءة سياسية بزوال ملك فارس وهي نبوءة نبوية قد تحققت بعد ذلك بسنوات أكثر منه تشريعاً عاماً يحرم ولاية المرأة للعمل السياسي العام.

إن مفهوم الولاية العامة قد تغيَّر في عصرنا الحديث، وذلك بانتقاله من " سلطان الفرد " إلى " سلطان المؤسسة " ، والتي يشترك فيها جمع من ذوي السلطان

والاختصاص. فقد تحول القضاء من قضاء القاضي الفرد إلى قضاء مؤسسي، يشترك في الحكم فيه عدد من القضاة. فإذا شاركت المرأة في " هيئة المحكمة " فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة للقضاء، بالمعنى الذي كان وارداً في فقه القدماء؛ لأن الولاية الآن لمؤسسة وجمع، وليست لفرد من الأفراد، رجلاً كان أو امرأة. بل لقد أصبحت مؤسسة التشريع والتقنين مشاركة في ولاية القضاء، بتشريعها القوانين التي ينفذها القضاة، فلم يعد قاضي اليوم ذلك الذي يجتهد في استنباط الحكم واستخلاص القانون، وإنما أصبح " المنفذ " للقانون الذي صاغته وقننته مؤسسة، تمثل الاجتهاد الجماعي والمؤسسي لا الفردي.

لقد تحدَّث القرآن الكريم عن ملكة سبأ وهي امرأة فأثني عليها وعلى ولايتها للولاية العامة؛ لأنها كانت تحكم بالمؤسسة الشورية لا بالولاية الفردية، وذم القرآن الكريم فرعون مصر وهو رجل لأنه انفرد بسلطان الولاية العامة وسلطة صنع القرار. فلم تكن العبرة بالذكورة أو الأنوثة في الولاية العامة وإنما كانت العبرة بكون هذه الولاية مؤسسية شورية أم سلطاناً فردياً مطلقاً.

إن الأحكام الفقهية التي هي اجتهادات الفقهاء، مثلها كمثل الفتاوى، تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والمصالح الشرعية المعتبرة فتولي المرأة للقضاء قضية فقهية، لم ولن يغلق فيها باب الاجتهاد الفقهي الإسلامي. وأيضاً أن اجتهادات الفقهاء القدماء حول تولي المرأة منصب القضاء هي اجتهادات متعددة ومختلفة باختلاف وتعدد مذاهبهم واجتهاداتهم في هذه المسألة.

إن الذين قاسوا القضاء على الإمامة العظمى التي هي الخلافة العامة على أمة الإسلام ودار الإسلام مثل فقهاء المذهب الشافعي قد منعوا تولي المرأة القضاء، لاتفاق جمهور الفقهاء باستثناء بعض الخوارج على جعل " الذكورة " شرطاً من شروط الخليفة والإمام ، فاشترطوا هذا الشرط " الذكورة " في القاضي، قياساً على الخلافة والإمامة العظمى. ويظل هذا القياس قياساً على "حكم فقهي" ليس عليه إجماع وليس قياساً على نص قطعي الدلالة والثبوت. والذين أجازوا توليها

القضاء، فيما عدا قضاء "القصاص والحدود" مثل أبي حنيفة وفقهاء مذهبه قالوا بذلك لقياسهم القضاء على الشهادة، فأجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه ".

قال الدكتور على جمعة المفتى السابق خلال برنامج "والله أعلم" على قناة CBC، إن حديث رسول الله ﷺ : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " خاص ببنت كسرى." .

وعلى ذلك فالولاية السياسية في الإسلام للأصلح لها القادر عليها لا فرق في ذلك بين رجل أو امرأة .

وبهذا أتمنى أن أكون قد أجبت عن كل التساؤلات حول إساءة الإسلام للمرأة ،

– استعد يا أستاذ لإجابة أسئلة جديدة في الفصل الدراسي الثاني ، ولن أخبرك بها مسبقاً حتى تكون مفاجئة لك .

ضحك الأستاذ نبيل ، وضحكت الطالبات وشكرن الأستاذ على غزيز علمه وسعة صدره ، وشكرت الطالبات اللاتي كلفهن الأستاذ بإعداد البحوث على مساعدته لهن في إعداد هذه البحوث .

وشكر الأستاذ نبيل رغبة الطالبات في المعرفة والبحث في أمور الدين والاعتراف بالحق متى علمنه ، متمنياً لهن النجاح والتوفيق .

***

محتوى الكتاب

فيمَ فرَّق الإسلام بين الرجل والمرأة ؟ ولماذا ؟

من مظاهر تكريم الله النساء

اختلاف عمل المرأة عن عمل الرجل

مناقشة حول قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

علاقة عمل المرأة بالبطالة

هل الحب حرام ؟

التفريق في الميراث

مناظرة حول ميراث المرأة

المرأة الغربية والمرأة المسلمة

التفريق في الشهادة

مناقشة حول شهادة المرأة

أسس بناء الحضارة الإسلامية وأسباب انهيارها

لماذا خلقت المرأة من ضلع أعوج ؟

محاضرة حول وضع المرأة في الإسلام



حُبِّبَ إليَّ النساء

درس في الحب

قصة يوسف الصديق مع امرأة العزيز



الزواج العرفي

النساء وفتنة الرجال

المجتمعات الغربية والحرية الجنسيَّة

هل المرأة مثل الكلب والحمار ؟

فلسفة الزواج في الإسلام

لعن الملائكة المرأة التي تمتنع عن زوجها

لماذا تعدد الزوجات للرجال دون النساء ؟

التعدد وظلم الزوجة الأولي

هل يجوز تعدد الأزواج ؟

***